

رواية
قصيدة

فَانْجِلِيْكُنْ

صَيْمَونَةُ أَبْدَعُ

فابیا آل عثمان

رواية_فاريا آل عثمان

نوع العمل_رواية قصيرة

نوع التصنيف_تاريخي

الكاتبة_ميمونة أحمد

تصميم الغلاف_ميمونة احمد

تنسيق داخلي_زينب أحمد

المَدَّة

في مَعْقِل العَرْش العُثماني، تَتَدَخَّلُ خُيُوطُ الْقَدْرِ بَيْنَ الجَشَعِ وَالْطُّمُوحِ، حَيْثُ تَلْتَقِي فَارِيَا آل عُثْمَان، الْأَمِيرَةُ الإِيطَالِيَّةُ الْفَارَّةُ مِنْ عَائِلَتِهَا الطَّامِعَةِ، بِالسُّلْطَانِ مُرَادِ الرَّابِعِ، الَّذِي يُحَارِبُ لِلْحَفَاظِ عَلَى سُلْطَتِهِ الْمُهَدَّدَةِ.

فَارِيَا، الْجَسُورَةُ الْمُحاَصِرَةُ بَيْنَ مَاضِيهَا الغَامِضِ وَطُمُوحِهَا، تَجِدُ نَفْسَهَا فِي مَتَاهَةِ الْقَصْرِ، حَيْثُ تُحَاكُ الْمُؤَامَرَاتِ فِي الظِّلَالِ، وَيَخْضُعُ الْوَلَاءُ لِالْخِتَارَاتِ دَائِمَةً.

أَمَّا مُرَادُ، السُّلْطَانُ الْمُمْزَقُ بَيْنَ قَسْوَةِ الْقَوَانِينِ وَضَعْفِ الْإِنْسَانِ، فَيَجِدُ نَفْسَهُ عَالِقًا بَيْنَ أَعْدَاءٍ يَتَخَفَّونَ كَأَصْدَقَاءِ.

بَيْنَ الْحُبِّ وَالْخَطَرِ، تَتَصَاعِدُ نِيرَانُ الشَّغْفِ، غَيْرُ أَنَّ الثَّمَنَ قَدْ يَكُونُ أَغْلَى مِمَّا يَتَوَقَّعُ أَحَدٌ.

تحت سقف القصر الذي يحوي أسرار القرون،
ترسم المعارك بالصمت والنظرات، حيث
يصعب التمييز بين الخليف والعدو.

هل سيصمد الحب في وجه المكائد؟
أم سيتحول إلى سلاح يستخدم في سباق
السلطة والفتنة؟

في عالم تسحق فيه الخيانة الأحلام، يبقى
المصير غامضا، والتضحيات أكبر من كل ما قد
يُتوقع.

«الْمُهَادَادُ»

إلى أصدق المشاعر وأطهر القلوب،

رغم أن الأقدار قد فرقت بيننا، فإنك تظل
الحاضر في ذكرياتي والوجه في أفكري.

لم تكن هذه القصة لتكتمل لو لا إلهامك
ودعمك.

شكراً لك على كونك في حياتي، وحتى وإن
كانت المسافات تفصلنا، ستظل دوماً ملهمي
وصديقي الوحيد.

عبدالله قصار

إلى فاتح بغداد والشاعر الغامض،
محطم المكائد، أهدي هذه الصفحات تعبيراً
عن تقديرني لشخصك وللقوة والحكمة و
الأسرار المدفونة في مسار حياتك.

شكراً لك على كونك مصدر الإلهام الذي شكل
كل تفصيلة في القصة وجعل رحلتي في عالم
السرد رحلة استثنائية.

إلى روح السلطان مراد الرابع، جوهر القصة
وملهم أحداثها.

مُتَيَّمَةُ مُرَاد

ميمونة أحمد

الحمد لله رب العالمين

إلى من يقرأ هذه الكلمات، والذين أرهقهم
الشغف والاهتمام، أهدي هذه الصفحات بكل
امتنان إليك.

حتى وإن تباعدت المسافات، تذكروا أنني
موجودة حتى من بعيد.

|| تَنْوِيَةُ هَامٌ ||

هذه القصة خيالية ولا تمت للواقع بصلة.

أحداثها تعبّر عن أفكار وتخيلات الكاتبة، وأي تشابه بينها وبين الواقع هو محض مصادفة ولا يعني تطابقاً حقيقياً.

إنما هي مجرد تجسيد لأحلام ورؤى أدبية لا أكثر.

الفَصْلُ الْأَرْدَنْ
يَكَادُ فِي الْيَنَادِ

كانت سماء إسطنبول تتوضّح بظلال الغروب،
حيث تلوّنت مياه البوسفور
بدرجات الأحمر والذهبي، وانعكّس الضوء على القلنسوة
السوداء التي ارتداها السلطان مراد.
كان يقف مع وزيره الأول، ذو الفقار، الذي لم تفارق
وجهه علامات الاحترام والولاء المطلق.

على الرغم من مظهره العادي، كان مراد يتأنّم السفن
القادمة من الغرب بعينين متيقظتين، يعلم جيداً أن وراء
كل سفينة قصة، ووراء كل قصة غموض لا يُكشف إلا
بذكاءٍ وحذر.

كانت السفينة القادمة من البندقية تثير فضوله، فقد
كان طلب امرأة مقابلة السلطان بشكل مباشر أمراً غير
اعتيادي.

انتشر خبر هذه السيدة في أسواق إسطنبول، وهي من
نبلاء إيطاليا، وقد هربت من أهلها.

طلبت مقابلة السلطان مراد شخصياً لتسنجّير به،
وكانت هذه القضية قد أثارت اهتمام ذو الفقار.
خبرته الطويلة جعلته يدرك أن وراء هذا الطلب أمراً
يستحقّ عناء الحضور.

توقفت السفينة، وأخذ الناس في الميناء يلتفتون ليروا
السيدة الشابة التي نزلت ببطء، ملتحفة بعباءة سوداء
تحفي ملامحها لكنها كانت تحمل في عينيها لون الزمرد،
الذي يلمع بأمل يكسوه غموض لا يوصف.

على عكس عائلتها الثرية التي كانت تنتمي إليها، كانت فاريا تتوق إلى الحرية والانطلاق، وقد اتخذت هذا القرار الجريء بالهروب من قيود عائلتها التي أرادت استغلالها كأدأة لتحقيق مصالحها، بعد أن أصبحت تاجرة ذات صيت وثروة في أنحاء إيطاليا كونها أميرة ذات علاقات سياسية قوية مع الشعب.

بينما كانت تخطو نحو الرصيف، شعرت بأن هذا اللقاء ليس مجرد لقاء رسمي، الرياح كانت تدفع عباءتها بخفة، بينما كانت خطواتها على الخشب المبلل تصدر صوتاً خافتاً.

الأرض تحت قدميها بدت وكأنها تتذبذب مع اهتزازات السفينة، لكنها كانت ثابتة كعادتها، وقفـت أمام الرجلين، عيناه مثبتتان على الرجل المتنـكر، وبدأت تشعر بتـيار غير مرئي يربط بينهما، تـيار من الفضـول والقوـة.

لم يـتحدث ذو الفقار أولاً، بل كانت عيناه تـنتظران إـشارة من الرجل الذي بـجانبه، التـرقب في الهـواء كان يـشبه اللـحظة التي تـسبق العاصـفة.

فاريا، التي مـرت بـتجارب كـثيرة في حـياتها، لم تـكن بـحاجـة إلى الكلـمات لـتفـهم ما يـجري.

في تلك اللـحظة القـصـيرة، تـملـكتـها حـدـساً بـأنـ الرجلـ الذي يـقفـ أمامـهاـ هوـ السـلطـانـ نفسهـ.

أخذت فاريا خطوة للأمام، لتكون أقرب إلى الرجلين، ونظرت إليه بعينيها الزمردية الثاقبتين.
فاريا: مولاي السلطان؟!

نطقت كلماتها بثقة وهدوء، لكنها كانت تحمل في طياتها جرأة كبيرة. التفت ذو الفقار نحوها بحدة، محاولاً كبح ابتسامته، التوتر كان واضحاً في ملامحه، وكأنه يخشى أن تكون قد تجاوزت الخطوط المسموحة.

لكن الرجل المتنكر لم يظهر أي إشارة على الانزعاج. بدلاً من ذلك، رفع يده بصمت، مانعاً ذو الفقار من التحدث. كانت تلك الحركة الصغيرة كافية لجعل فاريا تتأكد تماماً مما كانت تشك فيه.

في تلك اللحظة، كان بإمكانها رؤية ما هو أبعد من القلنسوة؛ تلك العيون الداكنة التي نظرت إليها بثبات وعمق، وكانت تحمل معها ثقل السلطنة وقوة السلطة التي لا تتزعزع، ابتسם السلطان مراد برقه، وقال بنبرة خافتة لكنها محملة بالقوة
مراد: لقد كنت دائمًا أسمع عن ذكاء الإيطاليين، لكنك تفوقين توقعاتي.

لكن فاريا، التي تعودت على التعامل مع الرجال الأقواء في التجارة والسياسة، لم تفقد ثقتها.

بل ابتسمت بدورها،
وقالت بصوت هادئ ولكن بنبرة قوية
فاريا: لم يكن الأمر صعباً. عندما يتعامل الجميع معك بهذا
الاحترام، من السهل معرفة من تكون.

ضحك مراد ضحكة قصيرة، مليئة بالتسليه والاحترام
المكتوم، وصرّح قائلاً
مراد: ذو الفقار... قد يكون مخلصاً، لكنه لا يتقن التخفي.
التفت ذو الفقار بوجه مرتبك، محاولاً إخفاء توتره.

كانت تلك اللحظة تحمل الكثير من الحذر بالنسبة له، فهو
لم يتوقع أن تكشف فاريا هوية السلطان بهذه السرعة.
سكت مراد لبرهة، ثم استعاد جدية الحدث، وبصوت
عميق ومنخفض همس
مراد: هل تحتاجين إلى مساعدة؟

ترددت لحظة، ثم أجبت بصوت هادئ لكنه يحمل قوة
غريبة، وكأنها تدرك جيداً من تخاطب
فاريا: أبحث عن ملجاً.
هربت من عائلتي، وجئت هنا لأطلب الحماية.

ظل مراد يراقبها عن كثب، وشعر بأن كلماتها تحمل ثقلًا
أكبر مما يبدو، كان في حديثها شيء غامض، شيء يثير
الفضول، وربما الخطر، انعكست صورته في عينيها، وكأن
كل منهما كان يحاول قراءة الآخر.

مراد: وما الذي يجعلك تظنين أنني سأساعدك؟
ألقى مراد بنبرة تحذيرية جملته،
لكنها كانت تعكس شيئاً من الاهتمام المتزايد، ردت فاريا
بتحدي واضح، وكأنها لم تأتِ لتوسل، بل لتقديم عرضاً لا
يمكن رفضه

فاريا: لأنني أملك شيئاً قد يهمك.
نظر مراد إليها بفضول، وتساءل ببطء
مراد: وماذا يمكن أن يكون هذا الشيء؟

تقدمت خطوة أخرى نحوه، ثم قالت بهدوء وبلا تردد
فاريا: ثروتي... لكنني لا أريدها، أريد فقط حماية نفسي من
عائلتي التي تسعى لاستغلالي.

تجمدت الكلمات في حلق مراد لبرهة، كان من النادر أن
يسمع هذا النوع من الصراحة من شخص غريب، لكن
الأغرب هو ذلك الشعور الذي تملكه، وكأنها لم تكن تطلب
منه حماية فحسب، بل كانت تقدم له شيئاً آخر، شيئاً لا
يمكن تجاهله.

مراد: ما رأيك أن نتحدث بعيداً عن أعين الناس؟
قال مراد وهو يراقب تحركاتها وحركات جسدها الدقيقة.

كانت نظراتها تتنقل بين الوزير ذو الفقار ومراد، محاولة
فهم طبيعة العلاقة بينهما.
ترددت فاريا للحظة،

وعينيها تتجول في المكان وكأنها تحاول
تقييم الوضع.

بدأ الصراع الداخلي واضحاً على وجوهها، بين الخوف من
المجهول والرغبة في الهروب من ماضيها.
تساءلت بصوت مليء بالأمل والخوف معاً
فاريا: أين؟

ابتسم مراد بخفة، لكن نظرته كانت تشع بجدية ثم أعلن
مشدداً

مراد: إلى القصر، سأستضيفك هناك حتى تتحسن الأمور.

اتسعت عيناهَا من الدهشة. لم تكن تتوقع أن يتم التعامل
معها بهذا السخاء، لكن في نفس الوقت، كان هناك شعور
بالخطر يرافق هذا العرض.

لذا تسأله فاريا بدهشة لم تستطع إخفاءها
فاريا: حقاً؟ هل سيكون ذلك آمناً؟

مراد: ستحاول.
لا يوجد من يحميك هنا، ومن يدرى؟

قال مراد بنبرة حادة ومبشرة:
ربما تحتاجين إلى من يحارب من أجلك.

في تلك اللحظة، شعرت فاريما بتيار من الارتياح
ينساب داخلها،
لكنه كان مصحوباً بشكوكها المعتادة.

عرفت أن الأمور في القصر العثماني ليست سهلة، وأن
السلطان نفسه لم يكن شخصاً يمكن الوثوق به بسهولة.

لكنها كانت بلا خيارات.
كان هذا الملجأ الوحيد المتاح لها، وكان عليها أن تلعب
أوراقها بذكاء.

التفت مراد إلى ذو الفقار وأعطاه إشارة سريعة، ففهم
الوزير أنه الوقت للتحرك.
بصمتٍ متبادل، انطلقا نحو العربات التي تنتظر على
مقربة من الميناء.

تحركت العربة باتجاه القصر، بينما كانت فاريما تجلس
داخلها بجانب مراد، تتأمل المدينة التي قد تصبح موطنها
الجديد... أو فخاً لا مهرب منه.

ومع ذلك، لم يكن مراد يدرك أنه كان يدخل في دوامة من
المؤامرات التي ستغير حياته للأبد، بعد لحظات، سار مراد
وفاريما باتجاه القصر، ملامح وجهها تتغير من الخوف إلى
الأمل.

كان قلبها ينبض بذكريات الألم، لكن الفكرة بأن تجد
الحماية في أحضان السلطنة بدأت تعطيها دفناً.

الفَضْلُ الثَّانِي
تَحْتَ ظِلِّ السُّوَاءِ اَمْرَابِ

استقبال مهيب
تحت سماء زرقاء صافية، كانت الساحة الكبرى
في القصر تعج بالحياة.
الأضواء تتألّأ في كل زاوية، والهواء يحمل عطر الورد
والياسمين.

في وسط هذا المشهد البهيج، وقف السلطان مراد ينتظر،
مرتديًا أبهى حلله، لاستقبال فاريا، الأميرة الهاورية التي
تحمل في قلبها سرًا ثقيلاً.

لم تكن مجرد ضيفة عادية في قصره، بل أميرة من عائلة
نبيلة تحمل جذوراً عميقة في تاريخ بلادها، قادمة من عالم
مملوء بالتحالفات والخيانة.

خطت فاريا بخطوات واثقة، رغم أن قلبها كان ينبض
بالخوف والترقب.

ارتدت ثوباً من الحرير الداكن، مرصعًا بخيوط الذهب التي
تعكس مجد أصولها الأرستقراطية.

عيونها المفعمة بالدهشة تجولت في أنحاء القصر، حيث
الأعمدة الرخامية الشاهقة، السجاد الفاخر، والثريات التي
تتألّأ كنجوم السماء.

تقدّم مراد نحوها محاطاً بنخبة من رعية القصر، وقد
ارتسمت على وجهه ملامح الصرامة،

لكنه في داخله كان متلهفاً لمعرفة ما تخبيه
هذه الأميرة الغامضة.

وبصوت يحمل الثقة والسلطة وبلهجة ترحيب هتف قائلاً
مراد: أهلاً بك في قصرنا، يا فاريا.

لم ترد فاريا على تحية السلطان واكتفت بإيماءة رأسها كرداً
عليه.

فكانت لا تزال يتملکها خوف دفين من المجهول.

وسط الأجواء الاحتفالية في الساحة الكبرى، تتابعت
لحظات استقبال فاريا بخطوات متأنية ومهيبة.

كان السلطان مراد يتقدم نحوها بملامح رسمية، بينما كان
الوزير ذو الفقار يراقب المشهد باهتمام.

وإلى جانب مراد كانت عائشة، مفضلة السلطان، وهي
تمسك بيد ولی العهد الصغير الأمير حسن، الذي بدا
مرتبكاً من المشهد.

خلفهم وقفت الأميرة كايا، ابنة السلطان، بعينين تراقبان
بدقة كل حركة.

رغم الحضور البهی، كان الجميع يشعر بغياب أحد الأركان
الهامة في البلاط.

خرجت السلطانة كوسيم من شرفة جناحها الملكي، التي تطل على الساحة الكبرى.

وقفت هناك بثوبها الحريري المزركش والمزين بالذهب، ملامحها مشدودة بتعالٍ واضح.

نظرتها كانت ثاقبة وثقيلة، ترکزت على فاريا وحدها.

رغم ابتسامتها الخفيفة التي ارتسمت على شفتيها، كانت عينها تحملان مشاعر معقدة بين ازدراء وتهديد.

توقفت فاريا للحظة، تشعر بتلك النظارات وكأنها سهم موجّه إليها.

كان الحضور يلتفتون نحو الشرفة، صمت مفاجئ خيم على الأجواء.

التوتر كان ملموساً، كأن الهواء نفسه قد أصبح أكثر كثافة.

لم تقل السلطانة كوسيم كلمة، لكنها بتلك الوقفة ونظرتها كانت كأنها تعلن أن وجود فاريا لا يُرحب به بسهولة في هذا القصر، وأنها تعتبرها تهديداً شخصياً.

بعد بضع ثوانٍ فقط، التفتت السلطانة ببطء وعادت إلى جناحها دون أن تنطق بحرف، وكأنها أرادت أن تترك أثراً لا يُمحى في نفوس الجميع، وخصوصاً فاريا.

شعرت فاريا بضغط جديد يثقل كاهلها،
وتيقنت من أن السلطانة كوسيم ليست مجرد عقبة
عاشرة، بل خصم خطير سيعين عليها مواجهته في الأيام
المقبلة.

تبادل السلطان مراد نظرة سريعة مع ذو الفقار وعائشة،
لكنه لم يعلق.

دخل الجميع إلى القصر، ولكن الفكرة التي كانت تجول في
الأذهان كانت واضحة المواجهة بين فاريا والسلطانة
كوسيم قد بدأت بالفعل، وستكون لعبة السلطة في البلاط
أكثر تعقيداً مما تبدو.

بعد الاستقبال المهيب وتلك النظرة الثاقبة التي تلقتها
فاريا من السلطانة كوسيم، كانت الساحة الكبرى للقصر
تعجّ بأصوات الخطوات والهمسات المتعددة، لكنها بدت
في آذان فاريا كأنها بعيدة، لأن الجميع حولها يتحركون في
مشهد صامت.

أمر السلطان بعد الاستقبال ذو الفقار بأخذ فاريا في جولة
داخل القصر.

كان مشهد القصر بكل تفاصيله المعمارية يحكي قصص
الأجيال والعظمة، ولكن خلف تلك الجدران الفخمة، كانت
القواعد تفرض هيمنتها.

بينما كانا يمشيان عبر الممرات الرخامية،
كانت الأروقة ضيقة وطويلة يغمرها الظلام، بينما تترافق
ظلال أنوار المشاعل المعلقة على الجدران لتبقى في
نفسها رهبة مضاعفة على رهبتها من المكان وأجواهه.
تشتت انتباها على أثر أصداء صوت ذو الفقار الجهور.

بدأ وهو يقودها عبر الممرات الرخامية يخبرها بأصول
القصر العثماني.

ذو الفقار: هناك قواعد صارمة في القصر عليكِ الالتزام بها،
يا أميرة فاريا.

أومت وهي تظهر اهتماماً واصفاً إلى حديثه.
تابع ذو الفقار حديثه مسترسلاً.

ذو الفقار: أولاً، عليكِ احترام السلطانة كوسيم، هي سيدة
القصر وسلطانته الأم والمتحكمة بكل شيء هنا.
كانت كلماته تحمل تحذيراً غير مباشر، ففاريا كانت تدرك
أن كوسيم لن تكون سهلة التعامل معها، خاصة مع فاريا
المسيحية التي قد تمثل تهديداً لمكانتها في قلب ابنها
مراد.

ذو الفقار: ثانياً، القصر ليس مجرد مكان للرفاهية، إنه عالم
 مليء بالسياسة والمكائد، كل حركة وكلمة تُحسب هنا،
وعليك أن تكوني حذرة فيما تقولين

توقف ذو الفقار للحظة،
ناظرًا إليها بعينين تحفيان حكمة قديمة، ثم تابع قائلًا
ذو الفقار: "الكلمات هنا سلاح، أو درع، اختاريها بحكمة."

استمعت فاريما بانتباه، عاقدة العزم على التكيف مع هذه
البيئة المعقدة، أومت مجيبة ثم صرحت قائلة
فاريما: أفهم، سأكون حذرة.

رمقها ذو الفقار بترى محاولاً التماس الصدق بين كلماتها،
ثم تنهد مختتمًا وصاياه التحذيرية
ذو الفقار: وأخيرًا، عليك أن تتدكري أن أصدقائك هنا
نادرون كل شخص يمكن أن يكون حليفاً أو عدواً.

كان ثقل هذه التحذيرات يملأ الجو، وفاريما بدأت تدرك أن
القصر ليس مجرد مكان للجوء، بل ساحة معركة على أكثر
من صعيد.

بعد انتهاء الجولة، قاد ذو الفقار فاريما إلى جناحها الجديد.
هنا، في زاوية بعيدة عن صخب الساحة، كان جناحها مزينًا
بألوان دافئة وسجاد فاخر، يعكس فخامة القصر.
مسحت بعينيها المكان تتأمله بسعادة وطمأنينة تحاول
التسلل من بين مخاوف تغمر قلبها.

بعدما أوصلها ذو الفقار إلى باب جناحها وتأكد من توفر
الحرس على بابه، انصرف ليكمل مهامه
الأساسية كوزير أول في ديوان السلطنة.

دخلت إلى الغرفة الفسيحة التي أعدت لها،
شعرت وكأن الجدران تراقبها.

الجدران العالية المزينة بالزخارف العثمانية واللوحات الذهبية اللامعة لم تُضف لها الراحة، كانت العظمة حولها خانقة، فكل شيء يُذكّرها بأنها الآن داخل دوامة السياسة والمكائد.

في تلك اللحظة، استرجعت المشهد الذي حدث في الساحة وقوفها أمام السلطان مراد، الحاشية التي تلتف حولهما، والنظرة القاسية من السلطانة كوسيم.

تلك اللحظة كانت إيذاناً ببداية فصل جديد في حياتها، فصل لن يكون سهلاً أو مليئاً بالراحة التي كانت تتوق إليها، شعرت بأنها محاطة بعده دوائر من التهديدات.

ورغم ذلك، لم يكن الخوف هو المسيطر عليها. كانت تشعر بتيار من الفضول والقلق يتسلل إلى أفكارها. كانت تدرك أن مصيرها هنا مرتبط بطريقة تعاملها مع مراد، هذا السلطان الذي يحمل في عينيه نظرة ثاقبة لكنها معقدة، نظرة لا تخبرك ما إذا كان يتعاطف معك أم يخطط للسيطرة عليك.

وهل يمكن أن تتحول مشاعر الثقة المرهفة التي تتنامى بينهما إلى شيء أعمق، أم أنها مجرد أداة في يده؟

دق الباب وانفتح بعد أن أذنت فاريا،
ودخلت فتاة ذات ملامح أوروبية، بشعر داكن
وبشرة فاتحة، إنها ليلى، الوصيفة الإيطالية التي تم تعيينها
من قبل السلطانة كوسيم.

كانت فاريا تظن أنها ستكون منفردة في إقامتها بالجناح،
فلم تكن تعلم أن عليها أن تكون لها مرافقة.
بادرتها فاريا بابتسامة.

انحنى ليلى بابتسامة دافئة قائلة بتركية يغلبها ل肯ة
إيطالية

ليلى: مرحبا بك، أميرة فاريا.
لقد تم تعييني لأكون وصيفتكم، وأنا هنا لأساعدكم على
التكيف.

فاريا، التي شعرت بالوحدة والغرابة في هذا المكان، ردت
بابتسامة متعددة.

فاريا: شكرأ لك، ليلى، وجودك هنا يخفف عنى الكثير.

تساءلت ليلى بلهجة ناعمة
ليلى: هل تفضلين الحديث باللغة الإيطالية؟ فهذا قد
يسهل علينا الأمور.

قالت فاريا بشيء من الامتنان مؤكدة على كلام ليلى
فاريا: نعم، هذا سيكون مريحا لي.

تبادلَتِ الاثنتانِ الأحاديثِ عنِ الحياةِ فيِ القصرِ،
وتحدثتِ ليلى عنِ التقاليدِ والقوانينِ التي تحكمِ
السلطاناتِ والحرملكِ.

كانتِ ليلى تعرفُ أنَّ الحياةَ هنا ليست سهلةً، لكنها كانتِ
مصممةً على مساعدةِ فاريَا فيِ مواجهةِ التحدياتِ.

ليلى: أريدكِ أنْ تعلمي، يا فاريَا، أنَّ كلَّ شيءٍ هنا يُحسب
بدقة، السلطانةِ كوسيمِ تراقبُ كلَّ شيءٍ وأعداؤكِ ليسوا
بالضرورةِ منِ الرجالِ فقط، قالتها ليلى بعينينِ حذرتينِ.

ابتسمتِ فاريَا بشجاعةٍ، لكنها شعرتِ بثقلِ المسؤوليةِ
التي وضعتِ عليها.

مع مرورِ الأيامِ، بدأتِ فاريَا تشعرُ بالضغطِ تزايداً.
كانَ ديوانُ السلطانِ والنبلاءِ ينظرونَ إليها بريبة، فهم
يعلمونَ أنَّ وجودها فيِ القصرِ قد يُؤدي إلى مشاكلِ
سياسيةٍ معَ البندقية، التي كانتِ تعتبرُها عنصراً سياسياً
ذا أهمية، كانتِ فاريَا، المسيحية، تشكلُ خطراً على التوازنِ
الدينيِّ والسياسيِّ داخلِ القصرِ، وكانتِ تعلمُ أنَّ هذا
الوضعِ يعقدُ الأمورَ أكثرَ.

السلطانةِ كوسيمِ كانتِ تراقبُ كلَّ خطوةٍ لفاريَا، غيرَ
مرتاحةٍ لتواجدها فيِ قصرِ ابنها، كانتِ تعلمُ أنَّ هذا الوضعِ
قد يُسبِّبُ خلافاتٍ داخليةٍ وربما يُؤدي إلى اضطراباتِ
دبلوماسيةٍ معَ البندقيةِ والدولِ الأوروبيةِ.

عائشة، الجارية المفضلة للسلطان
وأم الأمير حسن، كانت تراقب بعين الشك،
مستشيرة الخطر الذي قد يأتي مع دخول فاريا في قلب
السلطان مراد.

ومع كل ذلك، كانت فاريا تدرك أنها لن تكون مجرد أداة في
أيدي الآخرين.

كانت مصممة على الحفاظ على كرامتها وحريتها،
وأن تجد مكاناً لها في هذا العالم الذي يعج بالمكائد.

وبعد فترة من الراحة التي لم تدم طويلاً، جاءها استدعاء
للقاء مراد في مجلسه الخاص.

كانت كلمات ذو الفقار مقتضبة، لكنه شدد على أهمية هذا
اللقاء.

في طريقها إلى المجلس، كانت خطواتها بين أروقة القصر
تحملها نحو مصير جديد.

وبينما كانت تمر عبر الممرات الرخامية، كانت تشعر بثقل
المسؤولية التي تنتظرها.

كان هذا اللقاء أكثر من مجرد محادثة؛ كان اختباراً لبداية
مرحلة جديدة قد تحدد مستقبلها في هذا القصر.

جلس السلطان مراد في قاعة العرش،
وسط فخامة الأعمدة الرخامية واللوحات الذهبية
التي تحيط به، وبين يديه صولجانه الذي يمثل قوته.

كانت عيناه تراقبان فاريا، التي كانت تقف أمامه، محاولة
أن تُبقي ملامحها هادئة رغم التوتر الذي كان يعتريها،
بينما هو جالس بتباهی على كرسي عرشه.

تنهد بجسم ثم صرخ بنبرة هادئة، لكن فضوله كان يتزايد.
مراد: أريد أن أعرف المزيد عنكِ، يا فاريا.
فاريا: ماذا تريد أن تعرف؟

ردت فاريا بصوت متزن، رغم أن قلبها كان مليئاً بالتردد.
كانت تعلم أن كل كلمة قد تُستخدم ضدها في هذا
المكان.

مراد: كل شيء.
عن عائلتكِ، وعن تلك المؤامرات التي تهدد حياتكِ.

أحسست فاريا ببرودة كلماته، لكنها بدأت تروي قصتها.
فاريا: عائلتي كانت غنية، وكانت ثروتنا تأتي من التجارة.
لكنهم كانوا يرونني وسيلة لتحقيق مكاسبهم، وأرادوا أن
يُزوجوني بـرجل لا أحبه لإبعادي عن المشهد السياسي
كوني أميرة محببة للشعب وهذا يؤثر على مكانة أبي
السياسية وبقية العائلة، كوني قد أحظى بالعرش من
بعده.

أو ما برأسه، محاولاً فهم تعقيداتها، ثم تساءل
مراد: والآن، ماذا تتوقعين من هذا المكان؟

نهدت فاريا بألم داخلي يعتصر قلبها، ثم صرحت
مقاومة غصة في حلتها
فاريا: أريد حرتي، أريد أن أكون حرة من القيود التي حاولوا
فرضها علي.

بدأ مراد يشعر بشيء من التفاهم مما تعنيه فاريا والوضع
الذي فرض عليها، ثم همس بنبرة هادئة
مراد: أستطيع أن أساعدك، لكن عليك أن تكوني صادقة
معي.

ومع كل هذه التوترات التي تحيط بهما، كانت
فاريا تدرك أن علاقتها بمراد قد تكون مفتاحاً
لبقائها، لكنها أيضاً كانت تعلم أن الثقة في هذا
القصر قد تكون أصعب مما تخيل.

تحت ظلال المؤامرات، كانت حياتها في القصر
قد بدأت للتو، ومعها بدأت المؤامرات
تتكشف، وتتشابك خيوط المصير.

الفَصْلُ الثَّالِثُ فِي قَلْبِ الْعَاصِفَةِ

كان الليل قد بدأ يُسدل ستائره على القصر العثماني، لتغرق الجدران المزخرفة بالذهب في هدوء زائف.

خلف تلك الأبواب الكبيرة، كان كل شيء ينبع بالتوتر، حيث تصاعد المؤامرات في خفاء.

فاريا، الأميرة الهازدة التي أصبحت ضيفة في القصر، لم تعد مجرد ضيفة بريئة في نظر البعض، بل باتت تمثل تهديداً كامناً للسلطانة كوسيم ونفوذها على ابنها السلطان مراد.

مراد، الذي لم يكن معتاداً على الاهتمام بأمور تتعلق بالقلب أو بالعواطف الشخصية، وجد نفسه بشكل غير متوقع في مواجهة مشاعر مختلطة.

كانت فاريا بالنسبة له أكثر من مجرد امرأة أجنبية في القصر.

شيء ما فيها، سواء غموضها أو شخصيتها القوية، كان يجذبها نحوها رغم كل الشكوك التي كانت تحيط حولها.

في إحدى الأمسيات الحارة، كان مراد جالساً في جناحه الخاص، غارقاً في أفكاره المعقدة التي تشغله في الآونة الأخيرة.

انفتح الباب ببطء، لتدخل فاريا التي أرسل في طلبها قبل دقائق.

أمعن مراد النظر فيها ليجد الأميرة النبيلة
مرتدية ثوباً أبيض بسيطاً يعكس نور القمر المتسلل من
النافذة.

بدت بريئة، ولكن كان هناك دائمًا شيء معقد خلف عينيها،
ربما ذكرى مؤلمة أو سر مخفي.
تنهد مراد وهمس بنبرة هادئة
مراد: تعالى، اجلسني معي.

ترددت فاريا للحظات، لكنها استجابت لأمره في النهاية.
فاريا: بالطبع، يا مولي.

جلست فاريا على مسافة صغيرة منه، وكانت المسافة
بينهما مشحونة بشيء غير مرئي، توتر يسري ببطء بينهما.

مررت لحظات من الصمت قبل أن يكسره مراد.
تروى مراد لثوانٍ وهو يتأمل ظلال المشاعل المعلقة على
الجدران، التي تضيف إلى جلستهما شاعرية أكثر من
المشاعر الذي يحاول كبح جماحها.

لكن مع بزوع القمر في السماء وانعكاسه على زجاج
الشرفة، غمرت الأجواء بمشاعر لا يشوبها سوى الصدق.
تنهد مراد، مستسلماً للكلمات
مراد: منذ وصولك، تغير شيء ما في داخلي، لا أستطيع
إنكار ذلك.

غمغمت فاريا بصوت مرتفع وكلمات مرتعشة
فاريا: لم أكن أبحث عن التعقيبات، ولكن يبدو
أنني أجدها حيثما أذهب.

كانا ينظران إلى بعضهما وكأنهما يحاولان فهم ما يحدث
داخلياً.

اقرب مراد ببطء، بادرها بنظراته التي تغمرها مخاوفه
وآماله، لكن مشاعره كانت أقوى من المنطق.

لقد حاول تجاهلها، لكنها كانت تتغلغل في قلبه ببطء.

همس بنبرة منخفضة، محاولاً بث كلماته إلى عقل فاريا
مراد: هذا القصر مليء بالمؤامرات، فاريا، ولكنني لا أريدك
أن تكوني جزءاً منها، أريدك كما شهدتني وعرفتني: بريئة.

أجبته فاريا بهدوء وحذر
فاريا: لكنني أشعر أحياناً أنني لا أستطيع الهروب من ذلك.

كان الانجذاب بينهما لا مفر منه، ولكنه كان يرافقه خوف
من المجهول.

كلاهما كان يعلم أن هذه العلاقة محفوفة بالمخاطر، وأن
اقترابهما من بعضهما قد يضعف موقفيهما في هذا القصر
المليء بالخداع.

في مكان آخر من القصر، كانت السلطانة كوسيم تراقب الأحداث عن كثب. لم تكن غافلة عن التغيرات التي طرأت على ابنها، وكان قلبها ينبض بالشكوك.

في إحدى الليالي، اجتمعت كوسيم مع الوزير ذو الفقار في حديقة القصر، حيث كانت الأزهار تنشر روانحها العطرة بينما تصاعد كلمات مليئة بالمكائد.

أردفت بقلق يعتريها كوسيم: السلطان يمضي وقتاً طويلاً مع تلك الإيطالية لن يكون هذا في مصلحتي.

صرح ذو الفقار بهدوء يناسب شخصه ذو الفقار: يمكننا استخدام ذلك لصالحنا، مولاتي الشك هو سلاح قوي.

ترددت كوسيم للحظة قبل أن تتفق كانت تعلم أن مراد ليس بالشخص الذي يمكن التلاعب به بسهولة، لكنها لم تستطع تجاهل خطر فاريا.

كان عليها أن تتصرف بحذر شديد، فابنها قد ينقلب عليها إذا شعر بأي تلاعب.

نهدت وهي متارقة بالتفكير المستمر كوسيم: إن كان علينا زرع الشك، فيجب أن يتم ذلك ببطء. أي خطوة خاطئة قد تقلب الطاولة علينا.

أجاب ذو الفقار بثقة:
ذو الفقار: دعيني أتولى الأمر سأراقب تحركاتها وأرى ما
تحفيه.

ابتسمت كوسيم ابتسامة باردة، ولكن في قلبها كان القلق
يعترها.

فاريا لم تكن مجرد منافسة، كانت امرأة ذكية تستطيع
كسب ثقة ابنتها وربما قلبها.
لم تكن هذه معركة بين امرأتين فحسب، بل كانت معركة
من أجل السلطة في معقل القصر العثماني.

بينما كانت المؤامرات تنسج حولها، كانت فاريا تجد دعماً
غير متوقع من ليلي، الوصيفة الإيطالية التي تم تعيينها
لرعايتها.

ليلي، بذكائها وشجاعتها، أصبحت بسرعة أكثر من مجرد
وصيفة؛ أصبحت صديقة مقربة لفاريا.

همست ليلي بنبرة جدية
ليلي: أميرة فاريا، القصر مليء بالعيون والاذان؛ يجب أن
 تكوني حذرة في كل خطوة تخطيئها السلطان مراد محاط
 بالكثيرين، وقد يشكل أي منهم خطراً عليك.

نهدت فاريا بعد أن تملك منها القلق، وجمدت بصمت
 تفكير لثوانٍ

فاريا: أشعر أن الأمور تسير نحو شيء أكبر.
مراد... ليس كغيره من الرجال، لكنه محاط بمكائد أكبر مما
يستطيع أن يدرك.

ابتسمت ليلي بمرارة يشوبها قسوة مكتسبة من الواقع
ليلى: السلطان مراد قد يكون حاكماً قوياً، لكنه في النهاية
رجل.

الرجال دائمًا ما يضعفون أمام قلوبهم.
تمتمت فاريا بتردد

فاريا: وماذا عن كوسيم؟ لا أعتقد أنها ستسمح لي بالبقاء
هنا بسلام.

أجابتها ليلي بصرامة صادمة
ليلى: كوسيم هي الحاكمة الحقيقية لهذا القصر، وستكون
حذرة جدًا.

لكنها لن تتحرك علينا، ستراقب وتنتظر الفرصة المناسبة.

شعرت فاريا بأن الأمور تزداد تعقيداً.
لقد عاشت حياة مليئة بالمؤامرات، لكن في هذا القصر،
كانت المؤامرات أعمق وأشد خطورة.

ومع ذلك، كانت تعرف أنها يجب أن تبقى قوية، لأن
التراجع لن ين嗔ها.

مرت الأيام، وازداد توتر العلاقة بين فاريا ومراد،
خاصة فيما يتعلق بحد علاقتهما.

وفي إحدى الأمسيات، عاد مراد إلى جناحه الخاص بعد
لقاء مكثف مع والدته.

كان الجو مشحوناً، مليئاً بالتوترات التي لم تُحل بعد.
تحدث إليها بصوت متواتر محاولاً إثبات قوته ونفي
مخاوفها

مراد: أنت تعلمين أنني أستطيع حمايتك من كل شيء،
أليس كذلك؟

قابلته فاريا بنظرة تحدي
فاريا: لكن من سيحميك مني، يا مراد؟....
كانت كلماتها مليئة بالغموض، وكأنها تعلم أن الاقتراب
منه قد يجلب الدمار لكتلهم.

كانت تدرك أن العلاقة بينهما ليست مجرد نزوة عابرة، بل
ربما تكون بداية لصراع أكبر.
شعرت فاريا بشيء يتغير في الجو.
لم يكن مجرد سلطان يتحدث إلى ضيفته، بل كان هناك
شيء آخر في صوته، في عينيه، في كل حركة صغيرة يقوم
بها.

قبل أن تتمكن من استكمال حديثها، دخل أحد الحراس
إلى الغرفة بشكل مفاجئ.

قام الحارس بانحناءة خفيفة، ثم صرخ قائلاً
الحارس: عذرًا مولاي، السلطانة كوسيم تطلب
رؤتك فورًا.

توقف الوقت للحظة.
نظر مراد إلى فاريا نظرةأخيرة قبل أن يغادر الغرفة، تاركاً
خلفه شعوراً بالارتباك والقلق في قلبه.

توجه مراد مباشرة إلى جناح والدته كوسيم.
كان يعلم أن الوقت قد حان لمواجهة الشكوك.
وعندما دخل الغرفة، وجدتها جالسة بانتظاره بابتسامة
باردة.

ثم، بهدوء مشوب بالحذر، أردفت
كوسيم: مراد، القصر مليء بالمكائد.
يجب أن تكون حذراً فيما يخص فاريا.
لا أعلم نواياها، لكنها تبدو... مختلفة.

تساءل مراد بملامح حذرة
مراد: ماذا تقصدين يا أمي؟

كوسيم: فاريا... تلك المرأة الإيطالية.
لا أعرف ما الذي تخطط له، لكنها تصرف وكأن لديها خططاً
خاصة تسعى لتنفيذها.
لا أريد أن أراك تتاذى، بني.

نظر مراد إلى والدته بعينين غامضتين.
كان يعرف أن والدته تريد حمايته، ولكن في
الوقت نفسه، كان يحاول أن يفهم إن كانت نواياها تحمل
 شيئاً آخر.

مراد: أمي، هل أنت متأكدة؟ أم أنك فقط قلقة من وجود
امرأة أخرى في حياتي؟

أجابته كوسيم بحنكة وثقة متزايدة
كوسيم: ليس غيره، لكنني أخشى عليك يا بني،
كن حذراً.

قد تكون نواياها أكثر مما تراه عيناك.

شعر مراد بالاضطراب.

لم يكن يريد أن يستمع إلى المزيد من الشكوك، ولكنه كان
يعرف أن والدته دائمًا ما كانت على حق.

خرج من جناحها وهو غارق في دوامة من الشكوك.
كان قلبه ينقلب بين ما يشعر به تجاه فاريا والخوف من أن
تكون مجرد قطعة في لعبة أكبر منه.

المشاعر المتزايدة بين فاريا ومراد كانت تقود الأحداث نحو ذروة.

كوسيم، مع الوزير ذو الفقار، بدأ في نسج شبكة من المؤامرات لإبعاد فاريا عن مراد، ولكن العواطف كانت تسير في اتجاه آخر.

في قلب كل هذا، كان مراد وفاريا يقتربان من بعضهما البعض، على الرغم من كل التحذيرات والمخاطر.

الفَصْلُ الرَّابِعُ خُبُرُ طَالُوَّا تَرَابٍ

كان الليل قد أرخي بظلاله على القصر العثماني، والصمت الثقيل يغطي أجواء المكان، لكن خلف هذا الصمت كانت تتحرك خيوط خفية، محاكة بعناية وسط جنبات القصر، مؤذنة بقرب حدوث شيء عظيم.

فاريا، التي وجدت نفسها وسط تلك الدوامة، كانت تشعر بثقل لا يُحتمل، كما لو أن أسوار القصر الفاخرة تضيق من حولها شيئاً فشيئاً.

كان القصر الذي يُفترض أن يكون ملاذها، يتحول ببطء إلى قفص ذهبي محكم الإغلاق. الحياة داخل جدرانه كانت متاهة معقدة من المشاعر، المؤامرات، والتحالفات الخفية.

و في إحدى ليالي الربيع، حيث كانت النجوم تتلألأ كأحجار كريمة متتشرة في السماء، جلست فاريا بجوار السلطان مراد في حدائق القصر.

كانت الورود العطرة تملاً الهواء، وكأنها تحاول أن تخلق واحة صغيرة وسط بحر القلق الذي يحيط بهما.

كان مراد يتأملها بصمت، عيناه تعكسان مزيجاً من الفضول والشوق.

تلك اللحظات القليلة كانت تبدو كاستراحة مؤقتة من دوامة المؤامرات، ولكن قلوبهما لم تستطع الهروب من الواقع.

بينما كانت فاريا تجلس بجانبه،
كانت تحاول أن تخفي اضطرابها الداخلي،
ولكن نظراته كانت تثقل عليها، وكأنها تكشف كل أسرارها
المدفونة.

سألها بصوت منخفض، مليء بالحيرة
مراد: لماذا تنظرتين إلي هكذا؟
أجبته فاريا بصوت هادئ، وهي تحاول إخفاء مشاعرها
المتضاربة
فاريا: أحاول فهم ما يدور في عقلك... تبدو شارد الفكر.

أجبت وهي تتجنب النظر في عينيه العميقتين، مشدودة
بخوف من ما قد تجده هناك.
ابتسم مراد بخفة، ولكن كانت الابتسامة قصيرة ومملوءة
بالغموض
مراد: لا تفكري في ذلك، دعينا نعيش اللحظة الآن.
أنت هنا، وهذا هو المهم.

رفعت فاريا عينيها ببطء وتردد، ثم قالت بصوت خافت
ومتشوب بالقلق
فاريا: أشعر بأن هناك شيئاً ما يلوح في الأفق، كأن كل
شيء يتحرك من حولنا... المؤامرات تحيط بنا من كل
جانب.

مراد، الذي كان يحاول التظاهر بالقوة،
لم يستطع إخفاء القلق الذي بدأ يتسلل إلى قلبه.
استدار نحوها ببطء، وأخذ يراقب وجهها المتوتر.
لحظة، شعر أنهما ينجرفان في دوامة لا يستطيعان
الهروب منها.

حركته نحوها كانت بطيئة وحذرة، لكنه في النهاية مد يده
بلطف وأمسك بيدها، وكأنه يحاول التمسك بشيء ثابت
وسط العاصفة.

ثم همس، صوته مليء بالتردد.
مراد: أنتِ معي... ستظلين بأمان.

لكن تلك الكلمات كانت تفتقر إلى الثقة التي يحتاجها قلبها
المرهف.

ومع ذلك، لم تستطع فاريما مقاومة الإحساس بالأمان
المؤقت الذي جلبه لها.

حدقت في عينيه، بحثت عن الحقيقة خلف كلماته، لكنها
لم تجد سوى غموض.

ثم بادر مراد بعناد، ضمها إليه بقوة، وكأنما كان يحاول
حماية كل ما هو هش و مهتز في حياتهما.

كانت دفء ذراعيه محاولة يائسة لطمأنتها، لكنها شعرت
بثقل العالم على كتفيه، عرفت أن الحماية التي وعد بها
ليست إلا وهمًا قصير الأمد.

دمعة خائنة تجمعت في عينها،
لكنها لم تسقط. بين ذراعيه، همست
بصوت بالكاد يُسمع، وكأنها تخشى أن تلك
اللحظة قد تكون آخر لحظات السلام بينهما.
فاريا: وماذا لو لم أكن أستطيع الهروب من هذا المصير؟
لم يرد، فقط ضمها إليه أكثر، وكأن العناق وحده يستطيع
إسكات المخاوف التي تغمرهما.

في تلك اللحظة الصامتة، كان الاثنان يعلمان أن العاصفة
تقرب، وأن الأمان الذي وعد به مراد قد يكون شيئاً لا
يستطيع حتى هو تأمينه.

لكنه لم يستطع إخفاء حقيقة أن القلق نفسه كان يسكنه.
كانت المشاعر تتعقد بينهما، كما تتعقد خيوط المؤامرات
من حولهما.

عندما استدعت فاريا شجاعتها وتساءلت،
فاريا: هل ترانى كعدوة، أم كحليفة؟

انبثقت مشاعر القلق والتوتر بينهما.
كان مراد يحمل تساؤلات داخلية عن الولاء الحقيقي في
هذه اللعبة المعقدة، لكن...
رد مراد بشغف، لكنه كان يفتقر إلى الثقة،
مراد: في عيونك أرى نور الصباح
ووجهك كالبدر في الليلة المقرمة
قلبي يغرق في بحر حبك
ولا أريد سوى أن أكون بجانبك للأبد.

تبادل النظارات المليئة بالشكوك،
وكان كل منهما يختبر الآخر.

كان الجو قد اشتد بالتوتر، لكنهما شعرا بأن هناك شيئاً أكبر قادم، وأن الأحداث التي ستتواتى ستغير كل شيء.

في صبيحة يوم ملبد بالغيوم، وصل إلى بوابة القصر العالى في إسطنبول رسول أرسل مع تجار البندقية من إيطاليا.

كان يحمل رسالة مختومة بالشمع الأحمر تحمل طابع ملك إيطاليا، رسالته لا يتوقعها أحد، خاصة أن وقتها جاء في غمرة الأحداث المتواترة التي تعصف بالسلطنة.

وقف الحراس عند بوابة القصر يتفحصون الرسالة بعناية، ثم اقتادوا الرسول إلى الداخل ليتسلم الرسالة الوزير ذو الفقار بنفسه.

ذو الفقار رجلاً الوزير ذو هيئة صارمة وعيونٍ حادة تقرأ ما بين السطور قبل أن تقع على الكلمات. أمسك بالرسالة بقوة بينما كان يراقب الرسول وهو ينسحب بهدوء، تأمل الشمع المختوم لفترة وجيزة قبل أن يكسره.

بدأ يقرأ الرسالة وعيناه تضيقان مع كل سطر، حتى انقبضت ملامحه تماماً عند النهاية.

الرسالة نصت على:
"إلى السلطان مراد، حاكم الشرق،
باسم جلالتي، ملك إيطاليا، أبعث إليك تحذيراً
شديد اللهجة.
نعلم أن فاريا، التي تطارد其a عدالة المملكة،
تجد مأوي في بلاطك.
إذا لم تخل عنها وتسلمها إلى رجالنا، فستضطر
مملكتنا إلى اتخاذ خطوات قاسية.

لن نسمح بوجود شخص يتجرأ على تهديد
استقرار ممالكنا على أراضيكم.
اعتبر هذا إنذاراً أخيراً.
ملك إيطاليا."

طوى ذو الفقار الرسالة ببطء، ثم خطا خطوات متزنة نحو
جناح السلطان مراد، كان يعلم أن هذه الرسالة ستثير
عاصفة في قلب الحاكم، ولكنه لم يكن ليتردد لحظة في
توصيلها.

في داخل جناح ذو المساحة الواسعة تغمره الأضواء
المتدفقة من النوافذ العالية، جلس السلطان مراد على
كرسي مكتبه محاطاً بآثارٍ من الذهب والحرير، تتساقط
من عينيه الشرارات المتقدة بالتفكير العميق في أمور
الدولة وال الحرب.

أمامه وقف الوزير ذو الفقار، وفي يده الرسالة
التي تتطاير فيها الكلمات كأنها سُمٌّ بطيء.
اقرب ذو الفقار بخطوات ثابتة وقال بهدوء وهو يمد
الرسالة

ذو الفقار: مولاي، رسالة من ملك إيطاليا والد فاريا.
أخذ مراد الرسالة بيده القوية، ومزق الشمع بحركة سريعة،
ثم بدأ يقرأ.

ازداد شحوبه تدريجياً، حتى بدت غضبة قاتلة تجتمع في
عينيه، وبدأت يده ترتجف وهي تقبض على الورقة.
صاحب بصوتٍ كأنه الرعد.

مراد: كيف يجرؤ!.. يهددني في قصري؟ في مملكتي؟
حاول ذو الفقار تهدئة السلطان بهدوء
ذو الفقار: مولاي، هذا الرجل يسعى لخافتكم.
هو يعلم قوتك ويثق ب مدى قدرتك على حماية الأميرة
بفاريا، ويرى في وجودها تهديداً لسلطته.

تجول مراد في الغرفة كالنمر المحبوس، خطواته تصطدم
بالأرضية الملساء بقوه.

هل يعتقد أنني سأخضع لتهديده؟ فاريا... فاريا لن أسلمها
من وثقة في سلطان المسلمين ولن أنحنى تهديداته.

وفي هذه اللحظة، انفتح الباب، لتدخل فاريا بهدوء بعد أن
استدعيت من قبل مراد، كانت تبدو وكأنها شعرت
بالغضب المشتعل في الهواء.

أحنى ذو الفقار منسحب للخارج وهو يراقب المشهد بصمت بعد أن أشار إليه مراد بطرف أصبعه أذن له بالخروج.

وقفت أمامه بثقة، ولكن عينيها عكستا القلق والخوف العميق.
فاريا: مولاي لقد طلبت.

نظر إليها مراد بعينين تشعان بنيران متقدة، لكنه في ذات الوقت حملت نظرته شغفاً مختلطًا بالحيرة وهو يمسك الرسالة بين قبضته بقوة بارزة بالغضب.
مراد: فاريا، والدك أرسل إلى مكتوب يهددني ويطالب بتسليمي

نهدت فاريا بأنفاس محملة بالأنكسار.
فاريا: حاولت أن الهروب من فرض سيطرتهم علىّ لكن يبدو أنهم لن يدعوني وشأني، لذا ربما يجب أن أرحل ولا أدخلك معهم في هذا الصراع
مراد: فاريا... لن أدعهم يأخذوك.
مهما حدث.

خطت نحو مراد ببطء، عينها تحاولان اختراق كل الجدران التي بناها حول قلبه.

فاريا: أعرف أنك لست مضطراً لخوض هذه المعركة من أجلي، هم يهددون حياتك، امبراطوريتك، لا أريد أن أكون عبئاً عليك.

رَدَّ مَرَاد بِغَضْبٍ مُفْرطٍ
مَرَاد: أَنْتِ لَسْتِ عَبْئًا! لَقَدْ اخْتَرْتَ أَنْ أَحْمِيكِ
وَلَنْ يُثْنِيَ مَلْكُ إِيطَالِيَّ أَوْ أَيْ تَهْدِيدٍ آخَرَ

تَقْدَمَتْ مِنْهُ فَارِيَا خَطْوَةً أُخْرَى، وَتَعْلَقَتْ نَظَرَتَهَا بِعَيْنِيهِ
الْمُتَوَتِّرَيْنَ وَلَامَسَتْ يَدَهُ ثُمَّ تَنَاهَتْ قَائِلَةً
فَارِيَا: مَرَاد، أَنَا أُحِبُّكَ .. لَكِنْ لَا أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ نَهَايَتَنَا بِسَبِّبِ
طَمْوَحَاتِ سِيَاسِيَّةٍ وَإِنْ كَانَ ثَمَنُ وِجُودِيِّ هُنَا هُوَ هَذَا
الْتَهْدِيدُ، فَدُعَنِي أَرْحَلُ.
يُمْكِنُنِي أَنْ أَذْهَبَ قَبْلَ أَنْ تَقْعُدَ تَسْوِيَ الأَوْضَاعَ.

صَمَتَ لِلْحَظَةِ، كَانَ يَعْجِزُ عَنِ الْهَرُوبِ مِنْ كَلْمَاتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ.
لَكِنَّهُ كَانَ يَخْشِيُّ خَسَارَتِهَا أَكْثَرَ مِنْ أَيْ تَهْدِيدٍ خَارِجِيٍّ.
لَنْ أَتَرْكَكِ. لَا أُسْتَطِيعُ.

ابْتَسَمَتْ فَارِيَا بِسُكِينَةٍ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَتَصَارَعُ مَعَ حَزْنٍ
دَاخِلِيِّ ثُمَّ نَطَقَتْ بِصَوْتِهَا الْهَادِئِ
فَارِيَا: إِذْنُ، دُعَنِي أَسْاعِدُكَ، ثَرْوَتِي، مَا لَدِي مِنْ أَمْوَالٍ
وَمَجَوِهَاتٍ... إِنَّهَا كُلُّهَا تَحْتَ تَصْرِفِكَ.
يُمْكِنُنِي أَنْ نَقاومَ هَذَا التَهْدِيدَ مَعًا، إِذَا كَانَ الْمَالُ سَيَخْفَفُ
الْعَبْءُ عَنْكَ، فَهُوَ مَلِكُكَ وَتَحْتَ تَصْرِفِكَ.

تَقْدَمَ مَرَادُ نَحْوَ فَارِيَا بِخَطْوَاتٍ وَاسِعَةٍ، عَيْنَاهُ الْمُتَقْدِتَانِ
بِالنَّارِ تَتَلَاقِي بِعَيْنِيهَا الْهَادِئَيْنِ، وَكَأَنَّهُ يَوَاجِهُ مَعْهَا مَعرِكَةً
أُخْرَى، لَكِنَّهَا دَاخِلِيَّةٌ هَذِهِ الْمَرَّةِ.

هنا اختلج قلب مراد، كانت فاريا مستعدة
للتضحية بكل ما تملكه للبقاء بجانبه،
لكنه في قراره نفسه كان يعرف أن الأمر يتجاوز المال.
كان حبهما عاصفة تتصادم فيها الرغبة والخوف، الأمان
والخطر.

في تلك اللحظة، تجمد وجه مراد للحظة، وكأنها صفعته
بالكلمات، فجأة تغيرت ملامحه تماماً، وغامت عيناه
بالغضب المكبوت، الذي بدأ يتصاعد من داخله كبركان
يتأهب للانفجار.

قبض على يديها فجأة وبقوة، حتى شعرت بالضغط
يتسلل إلى عظامها.

صاح بغضب متتصاعد، وكأن صوته يمزق الجدران حولهما.
مراد: ثروتك؟!، أتظنين أني أحتاج مالك لأحميك؟! أتظنين
أن السلطان رجلاً قد يساوم على حماية المرأة التي لجأت
إليه بالذهب؟!"

تراجعت فاريا قليلاً، مرتعشة من الحدة المفاجئة التي
أطلقها غضبه، لكنها لم تتراجع كثيراً؛ فهي تعرف ما الذي
يحركه، نظرت إليه بعيون متفهمة، لكن ملامحها كانت
ثابتة، رغم العاصفة التي تدور حولهما.

فاريا: لا، مراد... لا أفكرك هكذا، لكنني أعلم أن المال قد
يكون وسيلة لصمود أمام عائلتي أنا لا أريد أن أكون عبئاً
يُثقل كاھلك.

لـكـنـهـ لـمـ يـكـنـ فـيـ حـالـةـ لـلـاسـتـمـاعـ،ـ نـظـرـ إـلـيـهـ
بـشـرـاسـةـ،ـ وـجـهـهـ تـوـهـجـ بـالـغـضـبـ الـمـكـبـوتـ.
مـرـادـ:ـ عـبـءـ؟ـ فـارـيـاـ،ـ وـجـودـكـ لـيـسـ عـبـئـاـ.

أَنْتِ تَعْرِفِينَ أَنِّي أَقَاتِلُ الْعَالَمَ مِنْ أَجْلِكِ، وَأَنْتِ الْآنَ
تَعْرِضِينَ عَلَيَّ الْمَالَ كَأَنِّي أَجِيرٌ؟ كَأَنْ عَلَاقَتِنَا صَفْقَةٌ يُمْكِنُ
عَقْدُهَا بِذَهَبِكِ؟!

ازداد توتر الجو حولهما، والشرارات تتطاير في الهواء. تقدمت فاريا نحو مراد محاولة أن تمسك بيده، لكنه انتزع يده بعيداً، خطوة للخلف وكأنه يحاول الهروب من فكرة أن تُقدم له المساعدة على هذا النحو.

قالت بصوتها المرتعش قليلاً، لكنه قوي بما يكفي ليُسمع
بوضوح وسط غضبه

فاريا: مراد!، أنا لا أشك في حبك، ولا أشك في قوتك
لكنني أشعر بالخوف من أن يكون حبنا السبب في نهاية
كل شيء، إن كان المال سيساعدك في التصدي
للتهديدات التي تحيط بنا، فأنا أقدمه لك ليس كسلطان،
بل كرجل أحبيته بكل كياني.

كانت كلماتها مثل الريح التي تهدئ من غضب العاصفة،
لكنه لم يكن لينتهي بهذه السهولة.

استدار مبتعداً عنها للحظة، يركل كرسيّاً بالقرب منه بقوّة، صوت الخشب يتحطم على الأرض كدليل على غضبه الجارف ثم هتف محتد من أعماق قلبه.

مراد: أنت لا تفهمين فاريا... الأمر ليس مسألة مال! أنا السلطان مراد، أحكم إمبراطورية تمتد من الشرق إلى الغرب.

لكن في هذه اللحظة، أماليك، أنا مجرد رجل يحارب من أجل امرأة.

لا أحتاج إلى ذهبك لأتّبُت ذلك، أنا أريديك أنت، وليس ما تملكيّنه.

انتابه الصمت لبعض لحظات، الغرفة كلها تغرق في صدى انفجاره، ثم استدار نحوها، عيناه ملأتهما الحزن والتعب معاً، لكنه لم يخفف من حدة مشاعره.

مراد: إذا أردت أن تكوني بجانبي، فاريا، فلا تعرضي علىّ ما لا أحتاجه، عرضك يشعرني وكأنك لا تثقين في قدرتي على حمايتك. هل هذا ما ترينه؟

هنا، امتلأت عينا فاريا بالدموع، ليس بسبب غضبه، بل بسبب معرفتها أن ما قاله كان نابعاً من شعورٍ أعمق بالضعف والخوف من فقدانها.

مدت يدها إليه مجدداً، هذه المرة ببطء، لمسه كأنها تحاول تهدئة الأسد الجريح و القت بنفسها بداخل حضنه فقابلها مراد غامرها بزراعيه.

فاريا: مراد... أنا أثق أنك قادرًا على حمايتي لكنني
خائفة... خائفة عليك، وخائفة على ما يجمعنا
وليس لدى ما أفعله الثروة هي الشيء الوحيد الذي
يمكنني تقديمها لأساعدك في هذه الحرب التي نخوضها
معًا.

نظر إليها هذه المرة بعينين أكثر هدوءًا، لكنهما لا تزالان
محمليتين بالثقل.

مراد: فاريا... لا أحتاج ثروتك، أحتاج قلبك، وثقتك.
إذا كنتِ معي، فنحن سنواجه العالم معًا، بدون أي
حسابات مادية، ثروتي هي وجودك بجانبي وأنني حظيت
بيك.

انسابت دموعها أخيرًا، وأمسكت بيده، لم يعد هناك حاجة
للكلامات.

أخذ يدها ببطء، وحين التقى عيناه بعينيها، قال بصوت
أكثر هدوءًا، لكن بحزم

مراد: فاريا، أريدك بجانبي، ليس من أجل مالك أو ثروتك.
أريدك لأنك أنت... وإذا كان الثمن مواجهة العالم، فليكن.

نهدت فاريا وهي تشعر بالحب الجارف، لكنها كذلك
شعرت بثقل القدر.

فاريا: إذن، نحن معًا، مهما حدث، حتى النهاية.
وفي تلك اللحظة، كان الهواء بينهما مشبعًا بالتوتر، بمزيجٍ
من الحب والتحدي همس بصوت دافئ
مراد: حتى النهاية.

في ليلة عاصفة، حيث كانت الرياح تعصف بحدائق القصر وتلفح الأشجار بعنف، اجتمع الخوف والغضب في سماء إسطنبول كما تلبدت الغيوم القاتمة فوق المدينة.

القصر العثماني، الذي عادة ما كان يمثل رمزاً للهيبة المطلقة، أصبح في تلك اللحظات أشبه ببركان يغلي من الداخل.

كل حجر من جدرانه كان يحمل همسات الماضي والمستقبل، لكن ما كان يدور خلف الأبواب المغلقة في جناح السلطانة كوسيم يمكن أن يحدد مصير الإمبراطورية العثمانية بأكملها.

كوسيم، التي لم يعرفها التاريخ إلا كامرأة قوية وصارمة، كانت الآن في مواجهة مع ابنها، السلطان مراد، الرجل الذي تربى في ظل قوتها، لكنه بات ينافسها في عناد لم تكن تتوقعه.

نظاراتها الثاقبة مليئة بالقلق والحدر، لكنها أيضاً مليئة بالتصميم.

لقد سمعت بالرسالة الإيطالية، التي حملت في طياتها تهديدات خفية وأخرى واضحة، وعلمت أن وجود فاريا في القصر أصبح قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي لحظة.

حين دخل مراد إلى جناحها، كانت الكلمة الأولى التي تخرج من فمها مثقلة بالتحذيرات كوسيم: مراد، هذا الأمر لا يمكن تجاهله، استضافة فاريا قد تجلب علينا مشاكل لا حصر لها.

كان مراد واقفاً، كتفاه مشدودتان وكأنه يستعد لمعركة، وصدره يعلو ويهبط بثبات، لكن الغضب كان يعتمل داخله، عيناه لمعتا بعناد قبل أن يرد بصوت هادئ لكنه محمل بالرفض

مراد: أعلم ما تفكرين به، أمي، لكنني لن أسلمها.

لم تكن كوسيم ممن يقبلون التحدي بسهولة، وكلام مراد كأنما أشعل فتيلًا في أعماقها. رفعت صوتها بحدة كوسيم: إنك تعرض سلطنتنا للخطر، ملوك أوروبا لن يتربدوا في استغلال هذا الوضع.

بابتسمة ساخرة، نظر إليها مراد كمن يتحدى كل تلك القوى الخارجية، وأردف

مراد: تسليمها يعني خيانة مبادئنا، نحن لا نخون من يلجأ إلينا طلباً للحماية.

لكن كلمات مراد لم تهدئ من غضب كوسيم، بل زادت من حدته، كانت تعلم أن الموقف أكبر من مجرد ضيافة أو شرف، في عينيها، كان كل شيء يتداعى كوسيم: وماذا عن شعبك؟ ماذا عن مستقبلنا؟

رد مراد ببرود حاد، نبرة صوته عكست
تصميميما لا يتزعزع
مراد: سأتحمل المسؤلية، أنا السلطان يا أمي.

لم يكن ذلك مجرد تصريح بل كان تحدياً، رأته كوسيم
أمامها، ابنها الذي طالما اعتبرته طفلاً في حاجة إلى
توجيهها، لكنه الآن وقف أمامها كسلطان قرر أن يسير في
طريقه الخاص.

ومع ذلك، كانت تعلم أن الطريق الذي يسلكه قد يقودهم
جميعاً إلى الهاوية
كوسيم: مراد، أنت تلعب بالنار! لا يمكننا تحدي ملوك
أوروبا بهذه الطريقة، يجب عليك تسليمها قبل فوات
الأوان.

نظر مراد في عينيها مباشرةً، لم يهتز صوته، ولم تغير
لامحه، كان كالصخرة الثابتة وسط العاصفة
مراد: لن أسلّمها، تلك المرأة لجأت إلينا، ونحن لا نخون من
يستجير بنا، سلطان العثمانيين لا ينحني أمام التهديدات.

كانت تلك الكلمات بمثابة إعلان حرب ضد كل ما كانت
كوسيم تؤمن به في تلك اللحظة.

رأت أن ابنها يسير نحو الهاوية بعينيه
مفتوحتين، وأنه بقراره هذا يضع الإمبراطورية بأكملها على
المحك، حاولت مرة أخيرة أن تصل إليه

كوسيم: هذه ليست مجرد قضية شرف، إنها مسألة حياة
أو موت، العرش في خطر.

لكن مراد، بقوة متزايدة في صوته، ختم النقاش بجملة
حاسمة

مراد: أتفهم مخاوفك، لكن قراري نهائي.

عندما غادر مراد جناح والدته، كان صوت صدى
قدميه في الممرات يعكس التوتر المتتصاعد،
كانت أنفاسه تتسرع، ولم يكن غضبه يهدأ.

علم ذو الفقار أن الأمر لن ينتهي بسهولة.
لكنه كان يعلم أيضاً أن ثني السلطان عن قراره
مستحيل في هذه اللحظة.

كان يعلم أن قراره قد لا يكون محبوباً لدى
والدته، لكنه لم يكن ليتراجع.
في هذا العالم المليء بالمؤامرات والمكائد، كان قراره هو
الوحيد الذي شعر أنه يحافظ على كرامته وسلطته.

وفي طريقه إلى جناحه الخاص، التقى
بذى الفقار، الذى كان واقفاً بانتظار الإذن للدخول.
التقى الرجلان بنظرات مليئة بالفهم، لم يكن ذو الفقار
غافلاً عن الأحداث الجارية.

ذو الفقار: مولاي، أرجوك أن تعيد النظر، التهديدات
حقيقية، وقد تكون لها عواقب وخيمة.

رد مراد بحدة، وكأن كل كلمة تنبض بالغضب الذى لم
يستطيع التفريغ عنه سابقاً
مراد: لن أتراجع، ذو الفقار.
إنهم يختبرون قوتنا.

حاول ذو الفقار، الذى عرف مراد منذ شبابه، أن يهدئ من
حدة الموقف، فاقترب بلطف أكثر:
ذو الفقار: ولكن الحكمة تقتضي أن نتجنب الصراعات غير
الضرورية.

لكن مراد، بعينين تحدقان بثبات، رد بحدة
مراد: أحياناً، تكون المواجهة هي الحل الوحيد.

قرر أن يتحالف مع رغبة مراد،
على الأقل حتى يتسعى له احتواء الأزمة
ذو الفقار: على الأقل، دعنا نتخذ احتياطات إضافية، القصر
ليس بمنأى عن المؤامرات.

أومأ مراد برأسه، وأجاب بصوت هادئ لكنه ما زال حازماً
مراد: افعل ما تراه مناسباً.

وفي تلك اللحظات، لم يكن القصر سوى
مسرح لأحداث تزداد تعقيداً، حيث بدأت
الأطراف تتخذ مواقعها في لعبة تصاعد نحو
 المصير مجهول.

تحت جنح الليل، وبين جدران القصر الباردة
التي شهدت على كثير من المكائد والمؤامرات،
كانت العقول تخطط في صمت مريب.

القصر العثماني، الذي ينبض بالفخامة والتاريخ، كان يعج
بالهمسات الخفية التي تشبه الرياح الغادرة.

خلف كل باب مغلق، وكل زاوية مظلمة، كان هناك من
يرسم خطوطاً على خرائط الفتنة، محاولاً التلاعب بالأقدار.

في هذا المساء، كانت الغيوم الكثيفة تحجب
ضوء القمر عن السماء، وكأنها تشير إلى مستقبل
 مليء بالظلم والمصير المجهول، وبينما كانت فاريما غارقة
 في شكوكها وخوفها من خيانة من حولها، كان ذو الفقار
 يقود نقاشاً حاسماً في أحد أركان القصر المظلمة مع
 السلطانة كوسيم.

جلست كوسيم بوقار وسلطة، نظراتها الحادة تراقب
 تحركات ذو الفقار وهو يخطو بخطوات مدروسة، وكأن كل
 حركة من جسده كانت جزءاً من خطة مدروسة بعناية.

كانت القضية تتعلق بفاريا، المرأة التي قلب ميزان القوى
 داخل القصر بوجودها، وشغلت بال السلطان مراد
 بعاطفته المتاججة نحوها، لكن هذا الانجذاب كان يشكل
 تهديداً سياسياً كبيراً.

بدأ ذو الفقار كلامه، بصوت منخفض وهادئ
لكنه يحمل في طياته خطورة الخطبة
ذو الفقار: علينا إيجاد حل لإبعاد فاريما دون أن يشعر
السلطان.

رفعت كوسيم حاجبيها بشيء من القلق والاهمام،
وسألت بحذر
كوسيم: وماذا تقترح؟

صمت ذو الفقار للحظة وكأنه يفكر في وزن
كلماته قبل أن ينطق بها، ثم قال
ذو الفقار: قد يكون الحل في استغلال وضعها الديني.
كونها مسيحية، يمكننا تحريك الديوان ضدها.
وجودها لا يتناسب مع قوانين حرم السلطان، وهذا
سيضعف موقفها أمام الجميع بلا شك.

رغم حذرها، كانت كوسيم تعلم أن هذه الخطوة وحدها لن تكون كافية.

فاريما كانت تمثل للسلطان أكثر من مجرد امرأة في الحرم؛
كانت بالنسبة له رمزاً للعواطف المختلطة بين القوة
والضعف، الولاء والخيانة.

علقت كوسيم بنبرة جافة
كوسيم: لكن مراد سيظل متمسكاً بها.

أوما ذو الفقار برأسه، معترفاً بعناد السلطان،
وقال بتأنى وهو ينظر إليها
ذو الفقار: أجل، لكنه إن فقد ثقته بها... سيتغير كل شيء.

نظرت كوسيم إليه بترقب واضح، وعينيها تلمعان
بالفضول والرغبة في معرفة تفاصيل خطته
كوسيم: وكيف سنفعل ذلك؟

بدا الحذر على ملامح ذو الفقار وهو يتكلم، وكأنه
يزن كل كلمة

ذو الفقار: لدينا ليلي، وصيغتها المقربة.
يمكننا استخدامها لجمع المعلومات وتدبير بعض
الأفخاخ.

امتلأت عيني كوسيم بابتسامة باردة، وكأنها وجدت
الطريق الذي سيؤدي إلى إسقاط فاريا.
هذا الحل الذي كان يبدو بارداً وقاسياً، لكنه في الوقت
نفسه كان دقيقاً في إصابة الهدف.

ابتسمت ببرود، وردت بنبرة ثابتة تحمل في طياتها
غموضاً

كوسيم: أفعل ما يلزم، ذو الفقار.
لكن كن حذراً... لا نريد أن يكتشف أحد نوايانا.

كانت كلمات كوسيم تحمل في طياتها الثقة بالخطة،
ولكنها لم تكن لتترك أي فرصة للفشل.

ثم أضافت بتأكيد مشدد
كوسيم: الأمر ليس كافياً.
 علينا أن نكون أكثر حذراً.

يجب أن نخفي نوايانا جيداً، وألا ترك لها فرصة للدفاع عن
نفسها.

خرج ذو الفقار من الغرفة بخطوات واثقة، بينما عادت
كوسيم إلى التفكير بعمق في خطة الإطاحة بفاريا.

كان القصر يشبه في تلك اللحظة ساحة
شطرنج ضخمة، وكل قطعة تحركت بتأني نحو
 المصير لا مفر منه.

الجميع في انتظار اللحظة الحاسمة، لكن كوسيم وذو الفقار
كانا يعرفان أن اللعبة قد بدأت بالفعل، وأن سقوط فاريا لم
يعد سوى مسألة وقت.

وفي مكان آخر، كانت ليلى تستعد للدور الذي ستلعبه في
هذه المؤامرة.

لم تكن تعلم أن كل حركة، وكل كلمة ستقولها، ستساهم
في رسم ملامح النهاية التي لم تخيلها فاريا حتى في أسوأ
كوابيسها.

كانت الليلة قد ألقت بظلالها الثقيلة
على القصر، وجعلت كل زاوية فيه تبدو
وكأنها تحتضن أسراراً مظلمة.

كانت الرياح الخفيفة تهب على النوافذ العالية، تنقل معها
همسات الماضي وأصوات الحاضر، وكأنها تروي قصصاً
عن الخيانة والمكائد.

في قلب هذا الجو المشحون بالتوتر، كانت
ليلى، الوصيفة المخلصة لفاريا، تتحرك
بخفة وسط الممرات المظلمة.

كل شيء كان هادئاً بشكل مريب، وكأن القصر بأكمله
يحبس أنفاسه، متربقاً ما قد يحدث في الساعات
القادمة.

خطوات ليلى كانت خفيفة مثل ظل ينساب على الجدران
القديمة، عيناهَا تراقبان بحذر، تتفحص كل زاوية، كأنها
تخشى أن ينكشف سرها في أي لحظة.
وصلت إلى باب حجري مخبأ بعناية خلف أحد الأروقة
السرية.

مددت يدها المرتعشة لفتحه، وفي اللحظة التي انفتح فيها
الباب، استقبلتها ضوء خافت وغرفة صغيرة تغمرها
الظلال.

هناك، وسط هذا العالم الخفي، كان
ذو الفقار ينتظرها، وجهه لم يخف قسوة
المؤامرات التي تدور في خلده.
بصوت هادئ مملوء بالثقة، سألها دون أن يتحرك
ذو الفقار: ما الأخبار؟

ردت ليلى بصوت هامس، مفعم بالخوف والرهبة من ما
سيأتي
ليلى: فاريा تشعر بالضغط. بدأت تشك في الجميع، حتى
في السلطان مراد.

ابتسم ذو الفقار ابتسامة خفية،
وكان ينتظر هذه اللحظة منذ فترة.
بعد لحظة من الصمت، قال بإيماءة موافقة
ذو الفقار: جيد.

هل حصلت على معلومات يمكننا الاستفادة منها؟

جلست ليلى أمامه، قلبها يخفق بين الخوف والولاء لمن
تعمل معه.

سردت له التفاصيل التي تعرفها عن اضطراب فاريा، عن
مخاوفها المتزايدة، وعن رغبتها في مغادرة القصر إذا
استمرت الأمور بهذا الشكل.

كانت تعلم أن كل كلمة تنطق بها قد تغير
جري الأحداث، وأن المعلومات التي تنقلها
ليست سوى وقود يشعل نار المؤامرات.

تنهد ذو الفقار، وكأنه يفرغ شغفه في هذه اللحظة الحاسمة،
ثم قال بصوت مليء بالحزم
ذو الفقار: سنستغل هذا الوضع، وأصلي مراقبتها عن كثب.

كانت ليلى تعرف تماماً أن هذه المعلومات لن
تُستخدم لخير فاريا، لكنها لم تبال.

كانت جزءاً من مؤامرة أكبر، مؤامرة تبتلع كل
من يجرؤ على الوقوف في طريقها ، فهي معركة أزلية بين
الولاء والخيانة لا أحد يتوقع أيهما الرابح النهائي.

وفي تلك اللحظة، التي قد تدرك فيها أن القصر ليس سوى
فخ كبير، مكان يختبئ فيه الجميع وراء أقنعة زائفة، كل واحد
يراقب الآخر، وكل حركة تُحسب بحذر.

وفي أعمق هذه اللعبة الخفية، لم يكن أحد
آمناً، سواء أكانت فاريا، أم ليلى، أم حتى
السلطان مراد، كان الجميع في قلب عاصفة
من الخيانات والمؤامرات التي قد تقلب على
الجميع في أي لحظة.

بدأت الشمس في الصعود بهدوء،
تاركة خيوط ضوء خافتة تتسلل عبر نوافذ القصر
العتيق، إلا أن فاريا لم تستقبل هذا الصباح بشعور من
الطمأنينة.

كان هناك شيء ثقيل في الهواء، شعور بالخطر يحوم
حولها، وكأن العيون الخفية تترقب كل حركة تقوم بها،
كانت نظرات الخدم والجواري تخفي خلفها تساؤلات وريبة،
ولم يكن بوعها تجاهل ذلك بعد الآن.

فاريا، التي طالما شعرت بالضياع
وسط هذا العالم الغريب، قررت أن تواجه مخاوفها وتطلب
حديثاً آخر مع السلطان مراد، شعرت بأن الأمور تتعدّد
حولها، وأن البقاء هنا ربما لم يعد الخيار الأمثل.

فاريا: مولاي، أشعر بأن الأمور تزداد تعقيداً... ربما كان من
الأفضل أن أغادر القصر.

نظر مراد إليها بعينين مشححتين بالقلق، وكأن ما قالته
قد زاد من عبء الشكوك التي تسكنه.

مراد: لا يمكنك المغادرة الآن.
سيكون خطراً أكبر عليك هناك. إضافة إلى أنني قد
أرسلت ردّاً للملك برفض تسلیمك، لن أتركك.

فاريا شعرت بتأنيب الضمير وهي
تنظر إلى عينيه المثقلتين بالمسؤوليات.
فاريا: لكن بقائي هنا يسبب لك المشاكل... لا أريد أن أكون
عبيداً عليك.

تحدث مراد بثقة ظاهرية، لكنه لم يستطع إخفاء التردد
الذي بدأ يتسلل إلى قلبه.
مراد: سأتعامل مع ذلك.
أثق بك، فاريا... وأريدك أن تثق بي.

لكن في داخله، كانت كلمات والدته
وتحذيرات ذو الفقار تتردد في ذهنه، تغرس
بذور الشك.

هل يمكنه حقاً الوثوق بفاريا؟ أم أن هناك
مؤامرة أكبر تحاك حوله، قد تكون فاريا جزءاً
منها دون أن يدرك؟

في إحدى الليالي الحالكة، كان مراد يتجلو ببطء
في حدائق القصر.

الأزهار كانت تفوح بروائح العطر،
لكن ذلك لم يكن كافياً لتهذئة العاصفة التي بدأت تتشكل
في داخله، تسلل إلى جناحها دون أن يُعلن عن قدومه،
ودون أن يطرق الباب.

التقى بذي الفقار الذي كان ينتظره بجدية واضحة على
وجهه.

ذو الفقار: مولاي، هناك أمر مهم يجب أن أخبرك به.

وقف مراد، وأدار وجهه ببطء، متفحضاً ملامح ذو الفقار
بعينين مليئتين بالتوjis.
مراد: ما الأمر؟

ابتلع ذو الفقار كلماته للحظة،
وكأنه يحاول تهذيب الحديث. لكنه كان يعرف أن ما
سيقوله قد يقلب الأمور رأساً على عقب.
ذو الفقار: توجد شائعات، مولاي.

أحد جواسيسه أخبرني أن فاريا قد تكون تتواصل مع
جهات خارجية... وبالتحديد مع ولي عهد المملكة
البريطانية.

تجمد مراد في مكانه، وكان الهواء حوله
أصبح فجأة ثقيلاً، كانت هذه الكلمات
كأنها خنجر غرس في قلبه.

مراد: ماذا تعني؟ هل تتهمنها بالخيانة؟

حاول ذو الفقار أن يحافظ على نبرة هادئة، لكنه لم يستطع
إخفاء الشكوك التي تغلي في داخله.

ذو الفقار: لا أتهم أحداً، يا مولاي... لكن يجب أن نتحقق،
المصادر موثوقة ولا يمكن تجاهلها.

تقدم مراد بخطوة نحو ذو الفقار، وكأنه يحاول إخفاء
العاصفة التي تعصف في داخله، لكنه لم يستطع إخفاء
غضبه.

مراد: سأتحقق بنفسي.
سأعرف الحقيقة.

في تلك الليلة، قرر مراد أن يواجه فاريا مباشرة، تسلل إلى
جناحها دون أن يُعلن عن قدومه، ودون أن يطرق الباب.

وتجدها جالسة بجانب النافذة، تحدق
في السماء التي كانت مزدانية بنجوم متلائمة.
بدا وكأنها في عالم آخر، غير مدركة لما ينتظرها.
التفتت إليه بصدمة عندما شعرت بوجوده.
فاريا: مراد! لم أرك تدخل...

لكن صوته كان بارداً، أكثر برودة من
نسيم الليل الذي يتسلل عبر النافذة.
مراد: هل هناك شيء تريدين قوله لي، فاريما؟

نظرت إليه بارتباك.
فاريما: ماذا تقصد؟ لم أفهم...
اقرب منها ببطء، وعيونه تعكس غضباً مكتوماً.
مراد: سمعت أنك تفكرين في المغادرة... وأنك تتواصلين
مع جهات خارجية،ولي العهد الإنجليزي تحديداً.

كانت كلمات مراد كالرصاص في قلب فاريما، تجمدت
للحظة، ثم ردت بصدمة.
فاريما: من قال هذا؟ هذا غير صحيح على الإطلاق! لم أخن
ثقتك أبداً.

تردد مراد لوهلة، وكأن بينه وبين الحقيقة جداراً غير مرئي.
كان الغضب والشك يتصارعان في داخله.
مراد: إذن ما الحقيقة؟ لماذا يشعر الجميع بأنك تخفيين
شيئاً؟

رفعت فاريما صوتها وقد ملأتها مشاعر
الحيرة والخوف.
فاريما: أنا أشعر بالضغوط من كل مكان، الجميع يتصرفون
بغرابة من حولي.
حتى أنت أصبحت مختلفاً... أنت تشك فيّ.

انحنى مراد نحوها، وصوته أصبح منخفضاً،
 مليئاً بالحزن.

مراد: الثقة بيننا أصبحت مهتزة، فاريما، لا أعلم إن كنتِ
 صادقة أم لا... قلبي في صراع.

دموع فاريما تجمعت في عينيها، لكنها لم تسمح لها
 بالسقوط.

فاريما: أقسم لك، لم أخنك أبداً يا مراد. بحياتي، لم أفعل.

ظل مراد صامتاً للحظة، ثم تنهد بعمق.

مراد: أتمنى أن يكون ذلك صحيحاً...

تركها في الغرفة، وحيدة مع أفكارها، بينما كانت الدموع
 تتسلل ببطء من عينيها.

أدركت في تلك اللحظة أن الخناق يضيق حولها، وأنها قد
 تفقد كل شيء قريباً.

وقف مراد في شرفته، حيث تلاقت عيناه مع الأفق الممتد
 أمامه، ولكن نظرته كانت تائهة، تبحث عن إجابات لا يجدها
 في النجوم البعيدة أو في الرياح الباردة التي تمر به.

داخله كان يعصف بين ثقة عميماء اعتاد
 أن يمنحها لفاريما، وبين الشكوك التي بدأت
 تتسلل إلى قلبه كسمٍ بطيء.

تلك الشكوك التي أشعلها ذو الفقار،
وعمقتها التصرفات الغريبة التي رأى أنها تحيط بفاريا،
صوت الرياح الباردة كان يبدو وكأنه يهمس له بخيبات
قلبه المضطرب.

في زاوية أخرى من القصر، كانت فاريا جالسة في غرفتها،
بجوار نافذتها المشرعة على الليل، تعكس وحدتها
وضياعها، الهواء الذي يملأ الغرفة كان ثقيلاً، كأنه يحمل
عبء الأسرار التي لا تعرفها، والمكائد التي تحاك حولها
في الظلال.

الدموع لم تجرؤ على السقوط، لكنها كانت تملأ عينيها بنورٍ
خافت، كانت تعرف أن شيئاً ما يتغير، أن كل ما وثقت به
بدأ يتهاوى من حولها، وأن الخطر الذي يهددها ليس بعيداً.

أفكارها كانت تطاردها، تبحث عن مهرب، لكنها لا تجد
 سوى جدران القصر الصامدة التي تخفي بين طياتها
مؤامرات تنتظر اللحظة المناسبة للظهور.

في هذا القصر، كانت فاريا تعلم أن لا أحد آمن.

الَّفْضُلُ الْخَاتِمُ
إِنْسِعَادَةُ السَّيِّدِرَةِ

كان الصباح هادئاً على غير العادة في قصر
السلطان مراد، إلا أن هدوء القصر لم يكن يعكس
حال سكانه.

خلف جدران هذا المبني العتيق، كانت عيون مشحونة بالقلق
ترافق تحركات بعضها البعض، وكل خطوة باتت تُحسب
بعناية.

الجو كان مشحوناً بالتوتر المتزايد، وكل شيء بدا وكأنه على
وشك الانفجار.

لم يكن هناك وقت للراحة أو الاسترخاء، خاصة بالنسبة
للسلطانة كوسيم، التي بدأت تشعر بأن سلطتها في خطر.

فاريا، المسيحية الجميلة التي أدخلت إلى قصر السلطان، قد
أثارت قلقها، حيث بدأت الشائعات تتزايد حول نفوذ فاريا
وتأثيرها على مراد.

كوسيم، التي لطالما كانت القوة الخفية وراء عرش ابنها،
شعرت بأن هناك من يهدد مكانتها.

بدت فاريا وكأنها أكثر من مجرد ضيفة في القصر، ومع كل يوم
يمر، كانت فاريا تقترب أكثر من مراد، والسلطان يبدو كما لو
أنه يتغاضى عن الحدود التي يجب أن تفصل بين القصر
والحب.

السلطانة كوسيم، العجوز الحكيمة وصاحبة العقل السياسي
الحاد، كانت تعرف جيداً أن أي هدوء في القصر ما هو إلا
فأصل قصير قبل أن تعصف الرياح بالعواصف الجديدة.

في جناحها الخاص، حيث أحاطت نفسها بالأغراض الملكية التي جمعتها على مر السنين، بدت وكأنها تحيط نفسها بحصن من الأمان. لكن عيناهما كانتا تضيقان بالشكوك، وهما تتبعان بصمت كل تحرك يجري في القصر.

دخل ذو الفقار، ذراعها اليمنى وصاحب الولاء المطلق، إلى الغرفة بخطوات حذرة. علم من نظرات كوسيم أن هناك أموراً كبيرة ستطرح.

صرحت بصوت مفعم بالثقة والعزز كوسيم: يجب أن نتحرك الآن، فاريما باتت تشكل تهديداً علىّ، إنها تغرس الشكوك في قلب مراد، ولن أسمح لها بذلك.

ذو الفقار، الذي تعلم أن يصفي دائمًا قبل أن يتحدث، أومأ برأسه وسائل بجدية ذو الفقار: ما الذي تخططين له يا مولاتي؟

ابتسمت بتلك الابتسامة الصغيرة التي لا تكشف عن كامل أفكارها.

كوسيم: يجب أن نجعل مراد يشك في ولاء فاريما. سأستخدم كل ما أستطيع لإظهارها كتهديداً يهدد سلطته وحياته.

تساءل ذو الفقار، معتبراً عن تحفظه بحذر
ذو الفقار: وماذا عن مراد؟ هل تظنين أنه سيقبل بذلك؟

أجبت كوسيم، وقد ازداد بريق الحزم في عينيها
كوسيم: سيقبل.

سأجعل الأمر يبدو كما لو أن مشاعرها له ما هي إلا غطاء
لخيانتها، سُنُّ ظهر لها ولاء زائفاً، ونجرها إلى الفخ.

في نفس اليوم، شعرت فاريا بأن الخناق بدأ يضيق حولها.
كانت تشعر بأنها محاصرة، وأن كل العيون تراقبها.

لم تكن تعرف من تثق به بعد الآن، كانت تشعر بضرورة
الحديث مع مراد، ولكن في الوقت ذاته، كانت تخشى أن
يكون هو الآخر قد تأثر بتلك المؤامرات التي تحاك في
الخفاء.

ذهبت فاريا إلى جناح مراد، وكانت خطاتها سريعة وغير
ثابتة.

عندما وصلت إليه، وجدته منهمماً في دراسة بعض أوراق
الدولة، ولكن كان واضحاً أنه مشتت.

قالت بصوت خافت، لكنه حمل مشاعر مضطربة
فاريا: مراد، أحتاج أن أتحدث معك.

التفت إليها مراد، وعيناه تخفيان قلقاً حاول
أن يخفيه خلف ملامحه الجادة.
سأل وهو يحاول أن يبدو مطمئناً
مراد: ما الأمر، فاري؟

فاري كانت تشعر بقلق يزداد داخلها مع كل كلمة تقولها.
فاري: أشعر بأنني محاصرة هنا، الكل يراقبني وكأنني
موضع شك.

تنهد مراد محاولاً نفخ أثر الإرهاق عن رأسه
مراد: أعلم أنك لست معتادة على تلك الأجواء المقبضة
للقصر هنا، لكن أدعوك أن تزول أزمتك قريباً.

فاري: ما دمت قريباً مني سأتحمل، مولي.
أشاحت بوجهها ناظرة إلى الأفق عبر زجاج الشرفة ثم
نبذت قائلة
فاري: ألا أستطيع أن أغادر القصر لبعض الوقت؟ أشعر
بأنني بحاجة للتنفس بعيداً عن هذا المكان.
هل استضافتك لي تمنع خروجي؟

لم يكن مراد يريد أن يزيد من توترها، لكنه كان يعلم أن
خروجها من القصر قد يعرضها لخطر أكبر.
تردد للحظة ثم قال

مراد: لا شيء يمنعك من المغادرة، فاري.
إذا أردت، يمكنك إرسال بعض من أفضل رجال ليكونوا
برفقتك لحمايتك.

فكرت فاريا للحظة، ثم ابتسمت ابتسامة
صغريرة تخفي توترها
فاريا: أريد أن أذهب إلى السوق.
قد يبدو مكاناً يغمره الحياة البسيطة.
ربما يساعدني ذلك على الشعور بشيء من الراحة كونه
قريباً من شاطئ الميناء.

وافق مراد، على الرغم من أن قلبه كان يصرخ
بالتحذيرات، لكنه لم يرغب في منعها، فقد كان يعلم أن
شعورها بالسجن داخل القصر قد يزيد من التوترات.
قال مراد، وعيناه مليئتان بالحب والقلق في آنٍ واحد.
لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير في الخطر الذي قد
يواجهها في الخارج
مراد: سأرتب كل شيء

في الوقت الذي كانت فيه فاريا تستعد للخروج إلى
السوق، كان مراد يجتمع بالديوان لمناقشة شؤون الدولة.
كانت القضايا المطروحة مهمة، وكانت الجلسة حافلة
بتوتر، لكنها لم تكن تعني له الكثير في تلك اللحظة.
كان ذهنه مشغولاً بفاريا، وخوفه عليها يتزايد مع كل دقيقة
تمر، خصوصاً بعد أن أعرب الوزراء عن استيائهم من وجود
فاريا في قصر السلطان وكان الجو مشحوناً بالاحتجاجات.

فوجئ مراد بمعارضة الوزراء لتواجد فاريا
في القصر، فقد اعتبروه تهديداً للشريعة
الإسلامية، خاصة أنها ليست جزءاً من حرم السلطان
الرسمي، بل مسيحية.

قال أحد الوزراء بنبرة حادة:

-لا يمكن أن تبقى فاريا هنا، إنها ليست من الحرم، وجودها
يتعارض مع الشريعة الإسلامية، ويشكل خطراً
على سلوك ولي عهدهنا.

التفت السلطان إلى وزرائه، وعيناه تنقدان بالغضب
وأردف بحده

مراد: الأميرة فاريا هنا بدعوتي، ولها كل الحق في البقاء
وهي ضيفتي إلى أن أقرر أنا إنتهاء زيارتها.

تابع وزير آخر، وأشار بإصبعه إلى عدم الارتياح:
-يجب أن تأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار مولاي.

شعر مراد بالتوتر يتضاعد في صدره.
كان عليه أن يتخذ قراراً، لكنه كان يدرك أن كوسيم والوزراء
يتآمرون خلف الأبواب المغلقة.
وفي تلك اللحظة، قرر أن يتحدث.

الوزير غيات الدين، الذي كان دائماً ما يثير الجدل ويعارض
السلطان علينا في شتى الأمور، تحدث بصوت جاف.

غياث الدين: وجودها هنا يعرضك ويعرضنا
جميعاً للخطر، يا مولاي.

الشعب يرى ذلك على أنه تعدد على قيمنا وتقالييدنا، الأمر
على المحك هي مسيحية، وجودها لا يتناسب مع قوانين
الحرملك كما تعلم مولاي.

أحس مراد بالغضب يتضاعد داخله، لم يكن قادرًا على
تقبل فكرة أن فاريما قد تصبح هدفًا لمؤامراتهم.
لكنه أيضًا أدرك أنه لا يستطيع تجاهل تلك التحذيرات.

بينما كان مراد يحاول السيطرة على غضبه في الديوان،
كانت فاريما ترافق وصيفتها ليلى في السوق، تستنشق
هواء المدينة، وتحاول التخفيف من التوتر الذي يخنقها.

كانت مشاعرها مختلطة، وكانت الألوان والروائح تثير
حواسها، لكنها شعرت بوجود نظرات متطفلة تراقبها.
كانت تحاول أن تستمتع بوقتها، لكن القلق كان يتسلل
إلى قلبها.

لاحظت فاريما أن بعض النظارات بدأت تتركز عليها.
حاولت تجاهلها، لكنها لم تستطع أن تمنع شعور القلق
من التسلل إلى قلبها.

كان الجو هادئًا في البداية، لكنها لم تكن تعرف أن العاصفة
على وشك الانفجار.

أثناء تجوالها بين الباعة، وبينما كانت تتفقد المعروضات، فجأة، تقدم رجل غريب واقرب منها بوجه متجمهم، عابسًا، ثم هاجمها بلهجة قاسية

-أنتِ... أنتِ تلك المسيحية التي تزني مع السلطان؟ كيف تجرؤين على تدنيس قصره؟ كيف يجرؤ السلطان على السماح لكِ بالدخول إلى الحرم؟

كانت الدموع تملأ عينيها، لكنها حاولت أن ترد، دافعة بصوت مرتجف.

فاريا: ما الذي تتحدث عنه؟

لكن الرجل تجاهل ما قالته فاريا وبدأ يتحدث بصوت مرتفع.

-أنتِ تزنين مع السلطان، تلك المسيحية تدنس قصر سلطاننا!

تجمعت الناس بسرعة حول الرجل، وأصوات الغضب بدأت تتصاعد.

هتف أحدهم ثم تبعه البقية بصوت جهوري -هي كافرة! لا مكان لها هنا!

فاريا تجمدت في مكانها، شعرت بأن قلبها توقف عن الheartbeat، لم تعد تعرف ماذا تفعل، كان الهجوم غير متوقع، والرعب بدأ يستولي على جسدها.

تجمعت مجموعة من الأشخاص حولها،
وأخذوا يتبادلون الأحاديث بسخرية.

-انظروا، إنهم يحمون المسيحية في قصرهم، إنها خائنة
لحاكم بلادها وأتت إلى هنا لتحريك مؤامرات على سلطانا.

بدأت الجموع تتجمع حولها، وأصواتهم ترتفع بشكل متزايد.

كانت تشعر بالخوف، كل كلمة كانت كالسيف الذي يخترق قلبها، زادت دقات قلبها، وكأن العالم من حولها قد تحول إلى كابوس.

نظرت إلى ليلي، وصيفتها، التي كانت تحاول أن تحميها بجسدها، لكن فاريما لم تعد قادرة على التفكير، فقط كانت تود لو تختفي.

في تلك اللحظة، أدركت فاريما أن حياتها مهددة بشكل حقيقي، كانت الأيدي تمتد نحوها، والضربات بدأت تنهال عليها.
حاولت الهرب، لكنهم حاصروها، كان الأمر وكأنها محاصرة داخل دوامة من الكراهية.

بينما كان مراد يستعد للعودة إلى القصر،
جاءه ذو الفقار مسرعاً، حاملاً الأخبار المروعة.
ذو الفقار: مولاي، تم الهجوم على فاريا في السوق!

كانت تلك الكلمات كافية لتحريك كل مشاعره، لم يستطع التفكير، لم يكن هناك سوى شعور واحد يسيطر عليه، الخوف.
الخوف على فاريا.

قفز مراد على حصانه بسرعة، وعواصف الخوف والغضب تتصارع في قلبه، وانطلق نحو السوق بسرعة جنونية، كل نبضة في قلبه كانت تهتف باسمها.

عندما وصل إلى السوق، كان المشهد أمامه مأساوياً، رأى فاريا محاصرة تتعرض للضرب والإهانة.
كان وجهها مليئاً بالخوف والدموع، وجسدها مغطى بالكدمات.

مشهدنا على تلك الحالة كان كابوساً حياً لمراد.
تحت ضغط الهجوم، بدأت فاريا تشعر بالعجز، كانت تحاول الهروب، لكن الأيدي الخشنة كانت تجرها إلى الوراء.
كانت الجموع تتحدث بغضب، والكلمات تترافق في الهواء مثل السيف.
"اقض على المسيحية!"

كانت صرخاتهم تتعالى، وكأنها في مشهد من الجحيم.

فجأة، رأت مراد قادماً، وعينيه تتألقان
بالغضب والحب في آن واحد.

هتف بصوت مفعم بالسلطة والأمان الذي شارفت على أن
تنسى كيف يكون شعوره به.
مراد: ابتعدوا عنها!

مع دخوله، تجمدت الأيدي التي كانت تمسك بفاريا، كانت
ترى في عينيه كل المشاعر التي لم تستطع التعبير عنها،
والخوف الذي يكتنفه.

مراد اقترب منها، واحتضنها بسرعة، وكأن حضنه هو
الحماية التي كانت تبحث عنها.
مراد: أنا هنا، فاريا.

قالها بصوت هادئ، لكنه كان يرتعش من الخوف ثم توجه
نحو المهاجمين، وبدت هي تتعلق به كآخر أمل في عالم
مملوء بالفوضى، كان قلب مراد ينبض بقوة، كأنه يحاول
أن يضخ القوة في كل جزء من جسد فاريا.

كان وجهه متوجهماً، وعيناه تلمعان بالغضب.
 أمسك بها برفق، ورفعها بين ذراعيه، وكأنها قطعة ثمينة
قد كادت تضيع منه.

مراد: لن يؤذيك أحد بعد الآن.

قال لها بصوت مليء بالعاطفة، لكنه كان يعلم أن هذه
الكلمات لم تكن كافية لطمأنتها.

انسحب مراد حاملاً إياها من بين الجنود
الذين انتشروا بأرجاء السوق كاستعداد غزو،
وليس قمع حادثة شغب.

وبرغم أنه تمكن من فض الاشتباك وإنقاذ فاريا من بين
أيديهم، لم يستطع التحكم في غضبه فدفع نحو المهاجمين
بجنوده، وأمر باعتقال كل من تجرأ على لمس فاريا.

بعد اعتقال جميع المهاجمين، أمر بإحضارهم إلى ساحة
القصر، كان مراد مصمماً على إرسال رسالة واضحة
لجميع.

أنه لن يتسامح مع أي تهديد لفاريا.
بعدما استعاد مراد السيطرة على الوضع، ألقى القبض على
جميع المعتدين.

كانت ساحة القصر مليئة بالجنود، وعيnahme تلمعان
بالغضب.

بدأ استجواب المعتدين، بينما كان قلب فاريا لا يزال
يرتجف من الفزع، لكن مراد كان إلى جانبها يبث إلى قلبها
جرعات من الطمأنينة.

أصبح مراد في غاية الإصرار عندما اعترف أحد المعتدين
بأن الوزير غيث الدين هو من أمرهم مقابل أموال.
ارتجم قلب مراد.

كانت الكراهيات قد تسللت إلى عروق السلطة،
وعليهم أن يدفعوا ثمن خيانتهم.

في ساحة الإعدام، أحضر غياث الدين،
وأصبح الحضور يمتليء بالجنود والمراقبين.
كان مراد يقف أمامه، عينيه ملتهبتين بالغضب.
كان يعرف أنه يجب أن يكون قويًا، لكن هذا الضعف الذي
يشعر به تجاه فاريا لم يتلاش.

قال مراد بصوت عميق، مرتفع
مراد: أنت خائن... لن أسمح لأحد بتهديد ما هو لي.
لقد أضررت بامرأة لا تستحق ما فعلته.

لم يكن مراد ليتردد.
تم إعدام جميع المعتدين أمام أعين فاريا في الساحة،
ليُظهر لها أنه سيحميها مهما كلفه الأمر.
لكن الأمر لم ينته هنا.

وبينما كان جنود الوزير يراقبون في صمت مرير، أمسك
مراد بصلجانه الضخم، الذي كان يرمي إلى سلطته وقوته
كسلطان.

كان الحشد المتجمع حول الساحة يتبع المشهد بأنفاس
محبوسة، لم يكن هناك شك في أن ما سيحدث سيحمل
رسالة قوية للجميع، سواء في القصر أو خارجه

وقف غياث الدين مكبل اليدين، ورأسه منكسة.
لم يكن أمامه سبيل للهروب،
ولم يعد بإمكانه التراجع.

كان يعلم أن نهايته قد حانت، لكن مراد لم يكن ينظر إليه كوزير خائن فقط، بل كرمز لكل من حاول زعزعة سلطته وإيذاء فاريا.

رفع مراد صولجانه ببطء، ووجه نظراته الغاضبة نحو غياث الدين، كان الغضب والتوتر يتضاعدان داخله مثل نار حارقة، لكن ما كان يدفعه حقاً هو الخوف على فاريا، لم يكن يريد أن يفقدها، ولم يكن ليتسامح مع أي تهديد يمس سلامتها.

بضربة واحدة قوية، هو مراد بالصولجان على رأس غياث الدين.

كان صوت الاصطدام ثقيلاً، حاداً، وصدى الضربة تردد في الساحة كأنه إعلان واضح: أي خيانة أو تهديد لن يغفر. سقط جسد الوزير على الأرض بلا حراك، وصمت الحشد أمام مشهد الموت المفاجئ.

مراد، وهو لا يزال يحمل الصولجان، كان يتنفس بعمق، كأنما يحاول تهدئة النيران التي تتأجج بداخله. توجه مراد نحو فاريا، التي كانت تراقب كل شيء بعينين مليئتين بالخوف والدهشة.

كان قلبها ينبض بسرعة، ورائحة الدماء والموت كانت تحيط بها، لكنها كانت تعلم أنها بحاجة للبقاء قوية.

عندما اقترب منها مراد، كانت عيناه
تحملان مزيجاً من الحزن والغضب والقلق.
وضع يده بلطف على كتفها، وقال بصوت هادئ، لكنه يحمل
في طياته القوة
مراد: لقد انتهى، لن يجرؤ أحد على الاقتراب منك بعد الآن.

فاريا، التي كانت تحاول استيعاب كل ما حصل، شعرت
بقلبها مثقلًا.

كانت تعلم أن الأمور في القصر لا تسير كما كانت تتمنى.
الخطر لا يزال يحيط بها، والعداوات تترىص بها
في كل زاوية.

لكنها في تلك اللحظة، مع وجود مراد بجانيها، شعرت بشيء
من الأمان.

على الأقل، كان هناك من يقاتل من أجلها!...
بينما كانت فاريا تراقب من بعيد، شعرت
بشيء من السعادة والحزن.

كان مراد يحميها، ولكن الثمن كان غالياً.

لم تتمكن من تمالك نفسها، وتفجرت دموعها
وهي تشاهد تلك اللحظة.

بينما كانت تستعيد أنفاسها، عادت إلى
تفكيرها في ما قد يحدث بعد ذلك.

كانت هناك مؤامرات تُحاك خلف الأبواب
المغلقة.

في مساء ذلك اليوم، وبينما كان القصر غارقاً في صمت الموت الذي خلفته الإعدامات، اجتمعت السلطانة كوسيم مجدداً مع ذو الفقار في غرفتها السرية.

كان الجو مشحوناً بالتوتر، لكن كوسيم لم تبدُ متأثرة بالأحداث الأخيرة، على العكس كان في عينيها بريق جديد. بريق الشخص الذي أدرك أن خطته تسير كما هو مخطط لها.

قالت وهي تجلس بارتياح على كرسيها المزخرف. كوسيم: الآن، الأمور بدأت تتشكل، مراد بدأ يظهر ضعفه، لقد سمح لعواطفه بأن تسيطر عليه، هذا بالضبط ما أردته.

ذو الفقار، الذي كان يتبع بصمت، سأله
ذو الفقار: وماذا عن فاري؟

ابتسمت ببرودة
كوسيم: فاري؟ ستكون الحلقة الأضعف في هذه اللعبة. سنستغل حب مراد لها لنضمن سقوطه، ولكن علينا أن نتحرك بحذر، الأمور قد تصبح خطيرة إذا فقدنا السيطرة.

سأله ذو الفقار، بينما عيناه تراقبان وجه السلطانة بحذر.
ذو الفقار: ما هي خطوتك التالية مولاتي؟

قالت بنبرة هادئة، لكنها حملت في طياتها قوة هائلة.

كوسيم: سنجعل الجميع يشكون في فاريا، سنبذر بذور الخيانة في قلب القصر، ومراد لن يعرف من يثق به بعد الآن.

ابتسم ذو الفقار وهو يدرك أن اللعبة الكبيرة بدأت، قصر السلطان كان أشبه بساحة معركة خفية، حيث كان كل شخص يحاول فرض سيطرته، ودماء الأبرياء والمذنبين على حد سواء أصبحت وقوداً لمكائد السلطة.

في تلك الليلة، بينما كان مراد يقف وحيداً في شرفته المطلة على القصر، كانت الأمواج المتلاطمة داخل قلبه تعكس صراعاته الداخلية.

كان يحب فاريا حباً جارفاً، لكن الخوف من أن يكون هذا الحب هو سبب سقوطه كان يسيطر عليه.

كان يشعر وكأن القصر، الذي بناه أجداده، أصبح مليئاً بالمؤامرات والخيانة.

وفي جناحها، كانت فارييا تجلس بجوار النافذة،
تحاول أن تستجتمع شجاعتها بعد يوم طويل مليء بالخوف
والرعب.

كانت تشعر بالوحدة والعزلة أكثر من أي وقت مضى.

لم تكن تعرف من تثق به، ولم تعد تعلم إن كان
وجودها في القصر سيوفر لها الحماية أم سيجلب لها
الموت.

**بين الشك والخوف، الحب والخيانة، كان
مصيرهم جمِيعاً يتَشكُّل ببطء، وفي قصر
السلطان العثماني، لم يكن أحد آمناً.**

الفصل السادس النَّارُ تَحْتَ الرَّغَادِ

كان الليل قد غطى سماء إسطنبول
بظلمته، وكذلك قصر توپکابي بوشاح من
الظلم الكثيف، لكنه لم يستطع أن يحجب قلقاً كان يزحف
عبر جدران الحجر البارد.

ظل مضاءً بضوء الشموع المترافقية، كأنها تعكس
اضطرباً داخلياً يتخلل جدرانه المزخرفة.

خلف هذه الجدران، وفي عمق جناحها الفخم، كانت فاريا
تحاول النوم، لكن الكوابيس لم تكن ترحمها.

رأت نفسها واقفة وسط ساحة الإعدام، الدماء تغمر
الأرض، والوجوه المشوهة للمحكومين بالإعدام تلتف
حولها، تتسلل إليها.

بينما كان مراد في وسط ساحة الإعدام، ويداه ملطختان
بالدماء، كان ينظر إليها بعيون مشتعلة بالجنون، وكان
الحب الذي جمعهما قد تحول إلى لعنة.

بدأت فاريا تستيقظ تدريجياً من نوم مضطرب، جسدها
غارق في العرق البارد بعد سلسلة من الكوابيس المروعة.
استيقظت وهي تلهث، ترتجف رغم دفء المكان، قلبها
مثقل بالقلق، بعد أن شهدت مشاهد الإعدام البشعة في
ساحة القصر.

تلك الصور المرعبة كانت لا تزال تسيطر على ذهنها؛ الوجوه البائسة، الدماء التي غطت الأرض، وأنفاس الموتى التي تراكمت في الهواء. اقشعر بدنها وهي تتذكر تلك اللحظة التي قُتلت فيها الوزير غيات الدين وعدد من المتورطين في مؤامرة الاغتيال صدتها.

نهضت فجأة من سريرها، عرق بارد يتصلب على جبينها، وصوت أنفاسها المرتعشة يملأ الغرفة. حاولت أن تستجمع قواها، لكن قلبها كان يضرب صدرها بقوة؛ كانت الكوايس أكثر من مجرد تذكير بالأحداث السابقة، بل كانت انعكاساً لمخاوف أعمق تعيشها الآن. تحركت ليلي، وصيفتها المقرية، التي كانت تراقب بصمت من زاوية الغرفة.

قالت بصوت خافت وهي تقترب بخطوات حذرة والقلق يعتريها.

ليلي: مولاتي، هل تحتاجين شيئاً؟
هذت فاريا رأسها بيضاء، محاولة السيطرة على نفسها وتنظيم أنفاسها.
فاريا: لا، لا شيء... فقط كوايس.

نهدت ثم أومت بهدوء.
ليلي: أفهم، ما حدث في الساحة كان مرعباً للجميع. لكن السلطان فعل ما كان عليه فعله.

ترددت فارييا قبل أن تتحدث، عينها تنظران
إلى الخارج نحو السماء المظلمة.

فارييا: وأنا؟ هل كان علىَّ أن أكون هنا؟ هل كان يجب علىَّ
مغادرة دياري؟ هل حقًا أصبت باختياري مراد حليفًا؟

توقفت ليلى للحظة قبل أن ترد، ثم غمغمت معربة
ليلى: الجميع يقولون إنك السبب.
يقولون إن حب السلطان لك هو ما يثير كل هذه الفوضى.

نظرت إليها فارييا بذهول، وكأن الكلمات أصابتها
في صميم قلبها.

"هل حقًا أكون سببًا في معاناته؟ هل أخطأت بالبقاء هنا؟
هل كان حبي لمراد هو الخطأ الذي سيكلفني حياتي؟"

في أعقاب الإعدامات الجماعية التي أمر بها السلطان مراد
في ساحة السوق، كانت إسطنبول مدينة مشتعلة.
في كل زاوية وزقاق، كان يمكن سماع الهمسات الغاضبة
والتدمر الذي انتشر بين الناس مثل وباء.

صارت المدينة كالنار تحت الرماد، تنتظر فقط الشرارة
التي ستتشعل الفتنة.
الأهالي شعروا بالغضب العارم من قرارات السلطان.

رائحة الدم التي انتشرت في الشوارع
ضاعت في هواء بارد، لكن أثراها لم يغب
عن نفوس الناس.

تلك الإعدامات لم تكن مجرد عقاب لجناة متهمين؛ بل
كانت شرارة أشعلت نار الغضب والخوف بين الجموع.

الجثث التي تدلّت من جبال المشانق، بلا محاكمة عادلة،
جعلت الجميع يشعرون بأن عدالة السلطان مراد لم تعد
عدالة، بل وحشية مستبدة.

الوجوه الغاضبة التي ملأت الساحات والشوارع تتحدث
بصوت خافت، صوت يحمل في طياته الغضب، الخوف،
والتمرد.

لم يكن الأمر مجرد فزع من الفوضى، بل كان شعوراً بأن
ظلمًا أعمق قد حل بالمدينة.

الإنكشارية، تلك القوة التي كانت تُعتبر العمود الفقري
لحكم السلاطين، بدأت تتململ في صمت.

كان أولئك الجنود يرون أن السلطان، رغم قوته وبأسه، قد
تجاوز حدود الشريعة التي تُحكم بها الإمبراطورية.
كانت الخيانة تُعاقب، نعم، ولكن ليس بهذا الشكل الذي
يثير الفتنة ويستفز النفوس.

تحت تلك السماء الثقيلة التي بدت وكأنها تحبس غضبًا
أعمق مما يظهر، بدأ الجميع يشعرون بأن إسطنبول أشبه
بنار تحت الرماد.

الجند، التجار، وحتى البسطاء الذين
يملؤن الطرقات الضيقة، كانوا يتساءلون بصمت
متى تنفجر هذه النار؟ هل سيكون ذلك في ساعة غير
متوقعة، أم أن السلطان مراد سيتدارك الأمر قبل أن
يفوت الأوان؟

لكن الأمل الذي كان يشوبه القلق ظهر في شخص واحد:
أنيس أفندي، شيخ الإسلام وقاضي القضاة.

الرجل الذي كان يُعتبر آخر حبل للعدالة في المدينة
المشتعلة، والذي نفذ الإعدام الجماعي دون مشورته،
ودون محاكمة عادلة يكون قاضيها شيخ الإسلام أنيس
أفندي، كونه القاضي الأعلى في الدولة.

كان الناس يرون في أحكام الإعدام الجماعية تجسيداً
للظلم، وتجاوزاً واضحاً للشريعة والقوانين التي طالما
حكمت الإمبراطورية العثمانية بالعدل.

لم يكن أنيس أفندي شخصاً يمكن إهماله؛ في نظر
الشعب والجند، كان رمزاً للحق والعدالة التي طالما رعت
الإمبراطورية لستين.

وعلى الرغم من احترامه للسلطان، كان يدرك أن الأمور قد
خرجت عن السيطرة.

لم يكن أنيس أفندي شخصاً يحب المواجهة،
لكنه كان يعلم أن صمته سيُعتبر تواطئاً مع
الفوضى التي بدأت تجتاح قلوب الناس.

مع كل يوم يمر بعد تلك الإعدامات، كان الضغط يتزايد
عليه من الداخل والخارج.

دعا أنيس أفندي نفسه للخروج إلى الساحات، مخاطباً
الناس، محذراً إياهم من الفتنة.

لقد كان يعلم أن الكلمة هي أقوى سلاح في لحظةٍ مثل
هذه، وأن عليه أن يستخدمها لتهديئة النفوس، حتى لو كان
ذلك مؤقتاً.

وفي ظهرة أحد الأيام الملبدة بالغضب المكبوت، خرج
أنيس أفندي من مقره بمسجد آيا صوفيا ليتحدث إلى
الجتمع.

تجمع الناس أمامه في الساحة، أعينهم مشبعة بالغضب
والحيرة، ولكن أيضاً بالاحترام.

كان شيخ الإسلام يعرف أن غضبهم ليس بلا سبب، لكنه
أراد أن يحمي المدينة من الانفجار الذي كان وشيكاً.

صوته كان هادئاً لكنه قوي، كما لو كان يتحدث بحكمة
نابعة من قرون من المعرفة والتاريخ.
أنيس: أيها الشعب المؤمن!.

بدأ كلامه، وقد تجمع المئات حوله،
يستمعون بانتباه.

"لا تدعوا الفتنة تأخذكم إلى الهلاك ولا تدعوا الغضب
يُعمِّي عقولكم.

إننا نمر بأوقات عصيبة، ولكن لا يجب أن ننسى أن العدالة
الإلهية هي التي تحكمنا، وليس أيدي البشر.
إن السلطان مراد قد اتخذ قرارات قاسية، ولكن علينا أن
نترى ونصرف بحكمة، فلا نزيد النار اشتعالاً."

كان حديثه موجّهاً لقلوب الناس التي تكاد تتفجر
بالضفينة، ورغم أن كلماته لم تُطفئ الغضب تماماً، إلا أنها
نجحت في تهدئتهم لبعض الوقت، وكأنهم كانوا ينتظرون
أي بصيص أمل ليلاقي الضوء على طريقهم المظلم.

ولكن خلف تلك الأعين التي التمعت قليلاً بكلمات شيخ
الإسلام، ظل الخوف يسيطر؛ الخوف من أن تكون هذه
الكلمات ليست إلا وقوداً آخر لنارٍ أكبر.

داخل قصر السلطان، كان مراد يجلس وحيداً في جناحه
الفخم، لكنه كان يشعر بثقل الكون على كتفيه.
الأسقف المزخرفة والجدران العالية لم تستطع أن تحميه
من الشكوك المتزايدة التي كانت تطارده.

لقد كان يعلم أن قراراته الأخيرة أثارت موجة من الغضب،
 وأن الفوضى أصبحت على اعتاب قصره.

ضوء الشموع الخافت كان يعكس ظلاً
مضطرباً على ملامحه، وعمق الصمت من حوله
زاد من وطأة التفكير.
مراد كان رجلاً معقداً.

كان يعلم أنه بحاجة إلى أن يكون قائداً صارماً، لكنه لم
يكن يتوقع أن يصل به الأمر إلى هذه الدرجة من العزلة
والشك.

في تلك اللحظات، كان يتساءل.
هل أصبح حقاً رجلاً وحشياً؟ هل أخطأ في قراراته؟ ولكنه
كان أيضاً عاجزاً عن التراجع.

كان يعلم أن السلطة لا تتحمل التردد، وأن قوته هي
التي تحفظ النظام، حتى لو كانت تلك القوة مطالية
بالدماء.

كانت الغرفة دافئة بفضل النيران المشتعلة في المدفأة
الكبيرة، ولكن دفء النيران لم يصل إلى مراد، فقد كان
قلبه مشتعلًا بتوتر لا يهدأ.

عيناه الداكنتان كانتا جامدتين، محاطتين بهاالة من
الإرهاق والشعور بالضيق، والأفكار كانت تدور في رأسه،
تضرب جدران عقله بلا توقف.

قراراته الأخيرة، أو بالأحرى المجازر التي
أمر بها، كانت تزعزع استقرار حكمه،
أخبار الإعدامات الجماعية انتشرت في الإمبراطورية كالنار
في الهشيم، ولم يكن الشعب وحده هو الذي اشتعل
بالغضب؛ بل كان حتى جنود الجيش الانكشاري يغلي في
صمت.

مراد، الذي اشتهر بصلابته وقوته، وجد نفسه محاصراً
بشيء لم يعتد عليه.

الشكوك. لقد اعتقد أن القتل والحزم سيضمنان
استمرارية حكمه، لكنه الآن يشك في أن تلك القرارات قد
أشعلت الفوضى بدلاً من إخمادها.

وفي أعماقه، كان يخشى أن يكون قراره بإعدام الوزير غياث
الدين والعديد من المتورطين في الهجوم على فاريا قد فتح
عليه أبواب جحيم لا يستطيع السيطرة عليه.
بينما كان غارقاً في أفكاره، طرق باب جناحه بلطاف. التفت
مراد، وكأنه عاد من غيبة عميقه، وقال بصوت منخفض
ولكنه مليء بالسلطة:
مراد: ادخل.

دخل ذو الفقار بخطوات واثقة، كان رجلاً ضخم الجثة بوجه
متجمهم يعكس عباء المسؤولية.
منذ عهد مراد كان ذو الفقار بمنصب المستشار العسكري
للسلطان، حتى أثبت جدارته وأصبح القوة
التي تليه كوزير أول.

كان يعلم أن الوقت ليس في صالحهم.
انحنى ذو الفقار بإجلال مؤدياً تحيته أمام السلطان
ثم وقف متظراً إذنه بالكلام.

رفع مراد رأسه ببطء، عيناه مليئتان بالقلق والحيرة، ثم
أشار بإصبعه، سامحاً له بالتحدث.

اقترب ذو الفقار بخطوات محسوبة، حافظاً على هدوئه
المعتاد، لكنه كان يعلم أن الوضع يزداد خطورة، وبصوت
ثابت يحمل تحذيراً ضمنياً قال.

ذو الفقار: مولاي، الوقت ينفد، والقرارات الأخيرة بدأت
تُظهر عواقبها، الوضع في المدينة ليس كما ينبغي.
الشعب غاضب، والإنكشارية يتذمرون.
الأمر يتطلب حلاً دينياً وسياسياً أكثر منه عسكرياً.

نظر إليه مراد بعينين غائرتين، وكأن ثقل القصر بأكمله قد
انصب على كتفيه.

سيطر الصمت على الأجواء لثوانٍ، ثم أومأ مراد برأسه،
محاولاً السيطرة على مشاعره.

مراد: أعرف ذلك، ذو الفقار، لكن لا يمكنني التراجع الآن، لا
يمكنني أن أبدو ضعيفاً أمام الشعب أو أمام أعدائي في آن
واحد.

لقد أریتهم الحزم، والضعف ليس خياراً.

تقـدم ذـو الفـقار خطـوة إـلـى الأـمـامـ، وـوـقـفـ عندـ
جـانـبـ الطـاـوـلـةـ الـقـرـيـبـةـ، مـتـطـلـعـاـ إـلـىـ السـلـطـانـ
بـجـديـةـ، تـنـهـدـ بـعـمـقـ ثـمـ تـحـدـثـ بـنـبـرـةـ حـازـمـةـ
ذـوـ الفـقارـ؛ لـكـنـ الـاسـتـمـرـارـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـسـارـ، مـوـلـاـيـ، قـدـ
يـجـلـبـ مـاـ هـوـ أـسـوـاـ مـنـ الـضـعـفـ، أـنـتـ تـعـلـمـ مـاـ حـدـثـ
لـشـقـيقـكـ، السـلـطـانـ عـثـمـانـ؛ الـانـكـشـارـيـةـ إـنـ شـعـرـواـ بـتـهـدـيـدـ
وـجـودـهـمـ، لـنـ يـتـرـدـدـواـ فـيـ أـحـدـاـثـ انـقلـابـ.

كـانـ ذـكـرـ عـثـمـانـ، شـقـيقـهـ القـتـيلـ، كـفـيـلـاـ بـإـثـارـةـ مـوجـةـ
مـنـ الـأـلـمـ الـقـدـيـمـ فـيـ قـلـبـ مـرـادـ، لـكـنـهـ أـخـفـيـ مـشـاعـرـهـ
بـعـنـيـةـ، كـمـ يـفـعـلـ دـائـمـاـ.

نـظـرـ مـرـادـ إـلـىـ ذـوـ الفـقارـ بـنـظـرـةـ مـزـيجـ مـنـ التـرـدـ وـالـغـضـبـ، ثـمـ
شـرـدـ يـسـأـلـ نـفـسـهـ لـوـهـلـةـ

هـلـ حـقاـ أـسـيـرـ عـلـىـ خـطـىـ عـثـمـانـ؟

مـرـادـ: لـسـتـ مـثـلـ أـخـيـ عـثـمـانـ أـوـ وـالـدـيـ أـحـمدـ.
الـانـكـشـارـيـةـ؟ هـمـ يـتـقـاضـونـ رـوـاتـبـهـمـ، وـيـدـيـنـونـ لـيـ بـالـوـلـاءـ،
لـمـاـذـاـ قـدـ يـنـقـلـبـونـ عـلـيـّـ، ذـوـ الفـقارـ باـشـاـ؟ـ"

تنهد ذو الفقار، ثم أشبك أصابعه معاً
بحسم، وصرح موضحاً

ذو الفقار: لأنهم، مولاي، لا يتسامحون مع قرارات قاسية
تأتي دون محاكمةٍ شيخ الإسلام أنيس أفندي.
لم يستشر في الإعدامات، وهذا ما قد يُشعل نار الغضب
في قلوب الشعب قبل الانكشارية.

هؤلاء الجنود يرون فيك قوة، ولكن إذا تحولت القوة إلى
ظلم، فإنهم سيعتبرون ذلك تهديداً لهم.
تذكر، مولاي، أنهم نفس الجيش الذي أسقط عثمان من
العرش وذبحوه دون رحمة، وأهدروا دمه في ضواحي
إسطنبول.

كان اسم شيخ الإسلام يُثقل الأجواء، لم يكن مراد ينسى
الأخبار الأخيرة التي جاءت من جواصيسه الذين أخبروه
بخروج أنيس أفندي من مسجد آيا صوفيا، إلى ساحات
إسطنبول محاولاً نشر الوعي ضد أحداث الفتنة.

لكن مراد كان يعرف أيضاً أن أنيس أفندي هو الرجل
الوحيد الذي يمكن أن يكون له تأثير حقيقي على الشعب،
خاصةً في هذه الظروف، مما جعله يرى فيه مخلصاً وحل
الأزمة الوحيدة.

سؤال مراد ببرود:
مراد: وماذا يريد أنيس أفندي؟

رد ذو الفقار بنبرة هادئة، لكن قاطعة.

ذو الفقار: يريد العدل، مولاي.

العدل الذي يجب أن يكون مرجعنا جميعاً.

يجب أن تعرض قراراتك على القضاء الشرعي، ويجب أن تنهي هذه الفوضى بالاستماع إلى صوته، وخصوصاً ما يتعلق بفاريا...

رفع مراد حاجبه بتوتر:

مراد: فاري؟ ماذا عنها؟

تنهد ذو الفقار، محاولاً اختيار كلماته بعناية.

ذو الفقار: إذا طبقنا ما تفيض به القوانين التي يستعين بها أنيس أفندي، فإنه مؤكداً سيطالبك برحيل فاري.

ضرب مراد الطاولة بقبضته قوية، عاقداً حاجبيه.

مراد: فاري ليست مجرد امرأة في حياتي الآن، إنها جزء من مدى إظهار قوّة سلطتي.

كيف يمكنني أن أطلب منها شيئاً كهذا؟ لو شوهدت فاري بالقرب من سواحل البندقية، سُنُقتل.

اقرب ذو الفقار منه، ناظراً بثبات.

ذو الفقار: مولاي، ليس الأمر متعلقاً بفاريا فقط بل بمستقبل السلطنة.

أنت تعلم جيداً ما حدث لشقيقك السلطان عثمان، الانكشارية لن يتسامحوا إذا شعروا أنك تتصرف بنفس الطريقة المستبدة التي قادت أخاك إلى القتل.

تحرك مراد في كرسيه، بدا أن كلمات ذو الفقار تلامس وترًا حساسًا، كانت تحمل ذكريات مؤلمة عن مقتل السلطان عثمان على يد الانكشارية.

كان مشهدًا مرعبًا، درسًا قاسيًا في أن السلطة ليست بالضرورة محمية بالسيف وحده، كان التاريخ قريباً جدًا، وأحداثه ما زالت تلاحق مراد كظلال لا تنفك تتبعه. شعر مراد لثوانٍ أنه ليس لديه ما يحل تلك المعضلة، لذا أجاب متسائلاً.

مراد: وأنت، ماذا تقترح إذا؟

اقرب ذو الفقار خطوة أخرى، بنبرة هادئة ولكن قاطعة ذو الفقار: عليك أن تخرج من هذا القصر المحصن، مولاي، اذهب إلى الناس، دعهم يرونك ويعرفون أنك لست ضدهم.

والأهم من ذلك، عليك مقابلة شيخ الإسلام أنيس أفندي لسماعه ومناقشته حول قراراتك، سيُظهر لك وللجميع أنك تهتم بالشريعة والعدالة، وقد يتبيّن له حل آخر بخصوص مسألة فاريا.

صمت مراد للحظة، ينظر في عيني ذو الفقار. لم يكن هذا ما يريد أن يسمعه، ولكنه في قرارة نفسه كان يعلم أنه محق.

مراد: أتظن أن مقابلة شيخ الإسلام ستغير من موقف الانكشارية؟.

ابتسم ذو الفقار ابتسامة بسيطة، لكنها
كانت محملة بالمعاني.

ذو الفقار:لن تغير موقف الانكشارية وحدها، بل ستعيد
التوازن إلى حكمك، مولاي، الشعب والانكشارية على حد
سواء يحتاجون أن يروا فيك القائد العادل،لا يريدون أن
يتذكروا ما حدث للسلطان القتيل عثمان ويتخوفون من أن
التاريخ يعيد نفسه.

كان ذكر شقيقه القتيل كافياً ل يجعل الصمت
يملاً الغرفة مرة أخرى.

وقف مراد فجأة، وكأنه اتخذ قراراً نهائياً.
مراد:إذن، سأذهب لمقابلة شيخ الإسلام.
أبلغ الحرس بأنني سأغادر القصر بمفردي الليلة.

انحنى ذو الفقار باحترام وقال.
ذو الفقار:كما تأمر، مولاي.

وقف مراد وحده للحظة في الغرفة بعدها خرج ذو الفقار،
عيناه تحلقان في الفراغ، كان يعرف أن قراره هذا ليس
فقط لحماية عرشه، بل ليثبت لنفسه ولشعبه أنه لا يزال
الحاكم القوي والعادل الذي يمكنهم الوثوق به.
ولكن، في أعماقه، كان يدرك أن الطريق أمامه محفوف
بالمخاطر.

تحت جنح الليل، انحنى قمر خافت على
سماء إسطنبول، بينما كانت الرياح الباردة
تسلل عبر الأزقة الضيقة وتنماذج مع أنفاس
المدينة المثقلة بالغضب والاضطراب.

في ذلك الوقت، خرج السلطان مراد من قصره متنكراً،
مرتدياً عباءة سوداء تتماشى مع الظلال التي احتضنت
المدينة في هذه الليلة الحالكة.

كانت كل خطوة تقربه من مسجد آيا صوفيا تثقل كاهله
أكثر، وكأنه يسير بين سحب من الريبة والشك.

مراد، السلطان الذي لا يخشى أحداً، كان يتوارى اليوم عن
الأنظار، محاولاً الابتعاد عن الأعين المتلصصة التي تتوق
إلى التآمر.

كان اختياره لهذا التنكر ليس فقط لحمايته من نظرات
ال العامة، بل ليحجب عنه ثقل السلطة التي عادةً ما تُثقل
كاهله.

عباءة سوداء تتطاير أطرافها مع الرياح، وقبعة تخفى
وجهه، لكن حتى ذلك لم يخف جوهره، فالعيون المراقبة
دائماً تستطيع التمييز بين رجل السلطة ورجل عادي، في
تلك اللحظة، لم يكن مراد السلطان المطلق، بل رجلاً
يطلب النصيحة، ربما حتى الغفران.

حين اقترب من البوابة العظيمة لمسجد آيا صوفيا، كان يتردد في قلبه صدى ثقيل من الشكوك والمخاوف، وقف لحظة يتأمل جدران المسجد العتيقة، التي شهدت قروناً من الحكم والدين والدولة.

كان يعلم أن داخل هذه الجدران، تنتظره مواجهة لا تقل خطورة عن أي معركة خاضها على ساحة المعركة. دخل مراد المسجد بخطوات ثقيلة، حيث كان الهواء مشبعاً بروائح البخور والصمت العميق.

في قاعة الصلاة الكبرى، لم تكن هذه الليلة في نظره كالليالي الأخرى، إنها ليلة مواجهة ليست مع الأعداء، بل مع الذات والقيم التي حكم بها.

دلف إلى المسجد العتيق، تسللت أصوات خافتة من جدرانه، همسات تردد صدى التلاوات الخاشعة، عند دخول مراد إلى قاعة الصلاة الكبرى، كانت عيناه تبحثان في أرجاء المكان عن أنيس أفندي.

لكن ما وجده كان أكثر رهبة مما توقع؛ شيخ الإسلام، الذي عادة ما يكون صلباً في حضوره، كان يجلس بهدوء مهيب على الأرض، يقرأ من المصحف الشريف. كلماته الرقيقة تردد في فضاء القاعة، كأنها تجوب السماء والأرض في لحظة خشوع لا تعرف سوى الخضوع لله.

لم يستطع مراد إلا أن يتوقف، ليشاهد تلك اللحظة الروحانية، كيف لهذا الرجل الذي يمسك بزمام الشريعة والدين أن يظهر بتلك الطمأنينة العميقه؟

صوت التلاوة كان ينفذ إلى أعماق قلب مراد، يتعدد بين أركان روحه المثقلة بالأحكام والأزمات، شعر بثقل الكلمات التي لم يسمعها بوضوح، لكنها اخترقت صدره كما لو كانت رسالة سماوية.

رفع أنيس أفندي عينيه عن المصحف، وأغلقه بهدوء وهو يضعه جانباً.

لم يكن بحاجة إلى التتحقق من هوية الزائر المتخفى؛ نظرته الثابتة اخترقت حجب الزمان والمكان.

قال بنبرة هادئة لكنها مثقلة بالمعاني، وكأنه يستقبل ليس مجرد سلطان، بل رجلاً تخبطه أزمات القلب والضمير.
أنيس: أتيت متخفياً، يا مراد؟

في تلك اللحظة، شعر مراد بأن الحاجز الذي بناه حول نفسه قد بدأ يتصدع، لكن مشاعره بقيت مكبوة، وغضبه مكبل، كما لو أن هناك قوة عليها تمنعه من الانفجار.
أجاب ببرودٍ مصطنع.

مراد: جئت لأسمع رأيك في ما يحدث.
هناك فوضى، وأنت تعلم أنني فعلت ما كان يجب فعله.

نظر أنيس أفندي إلى السلطان بعينين تملؤهما الحكمة والتحدي.

نظر أنيس أفندي إلى السلطان
بعينين تملؤهما الحكمة والتحدي.

أنيس: جئت متخفيًا خوفاً من الناس، لكن ألا تخشى الله؟
أنت الآن أمام أمر أكبر من مجرد فوضى في الشوارع، دماء
المسلمين لا تراق بغير حق.

كانت كلمات الشيخ كالسيف، تقطع ببطء، لكنها حادة لا
تعرف الرحمة، شعر مراد بأن أنيس أفندي لا يوجه له
اتهاماً سياسياً فحسب، بل دعوة إلى مواجهة ذاتية،
السلطان الذي حكم بالقوة، كان اليوم رجلاً يواجه الحقيقة
المطلقة.

كلمات الشيخ كانت كالسياط، تضرب مراد بقوة، بدأ
يشعر بأن الحديث يتجاوز مجرد انتقاد سياسي، إنه هجوم
مباشر على شرعيته كسلطان، لكنه لم يكن يريد إظهار
ضعفه أمام أنيس أفندي.

بلهجة تخللها صرامة واضحة غمغم قائلًا.
مراد: هؤلاء خونة، تأمروا على حياتي وعلى الدولة كان يجب
التخلص منهم.

لكن الشيخ لم يهدأ.

أنيس: الخيانة تثبت بالعدل، وليس بالدماء. لم يكن لهم
قاضٍ يحكم عليهم، أنت الآن في موقف ضعيف، يا مراد،
وقد بدأت الريبة تناول من حكمك، الشعب يريد العدالة،
والإنكشارية غاضبون.

تسارع نبض السلطان مراد في صدره،
بدأ يشعر بالخطر الحقيقي الذي يحيط به، لم يكن مجرد
تمرد داخلي، بل صراع على السلطة من نوع آخر، صراع بين
القوة المطلقة والقانون.

كان مراد يدرك أن شيخ الإسلام ليس خصماً عادياً، بل هو
رمز للشرعية في عيون الشعب والأنكشارية.
أخفى ضيقه وراء نظرة قاسية، وقال.
مراد: وماذا تقترح يا شيخ الإسلام؟

نظر أنيس أفندي إلى مراد بنظرة عميقة تحمل في طياتها
الحكمة والعزم، ثم قال بحزم.

أنيس: هناك طريق واحد لاستعادة ثقة الناس وإيقاف
الفوضى، إما أن تشهر فاريا إسلامها ويتم تعينها في
القصر من الرعية، أو ترحل، لا يمكنك الاحتفاظ بها في
القصر وهي أجنبية، خارج حماية الشريعة والدولة.

تجمد الزمن للحظات في عقل مراد.
فاريا... الحلم الذي أحب، المرأة التي أضفت على حياته
لمسة من الإنسانية وسط فوضى السياسة والدماء.

كيف يمكن أن يُطلب منه أن يختار بين قلبه وحكمه؟ بين
حبه وحياته؟

كان يعلم أن هذا المطلب هو أثقل ما يمكن أن يُطلب منه، كانت فاريا جزءاً لا يتجزأ من حياته، لكنها أيضاً أصبحت مأزقاً سياسياً ودينياً يهدد استقرار حكمه.

شعر وكأن أرض المسجد تهتز من تحته، لم يكن الأمر مجرد نقاش سياسي، بل هو تحدٍ لعمق ذاته.

طلب مراد مهلة من الشيخ، وهو يدرك أن العودة إلى القصر ستكون أصعب خطوة يقوم بها.

مراد: سأفكر في ما قلته، ياشيخ الإسلام، لكنني لا أستطيع اتخاذ قرار بهذه السرعة.

خرج مراد من المسجد وهو مثقل بالهموم، الرياح الليلية لفحته بينما كان يسير في الأزقة المعتمة، كأنما هي تذكير بأن الأجواء حوله مشبعة بالفوضى والتوتر.

في تلك الليلة الباردة التي طفت عليها رائحة البحر المالحة التي تحمل معها عبق مدينة إسطنبول التاريخية، كانت الليلة تتوسح بظلال ثقيلة تخنق سماء وتزيد من وطأة الكآبة التي تسكن قلب مراد.

بينما يجلس في جناحه الخاص، محاطاً
بعزلة موحشة، كان الهواء الثقيل المحمّل بالتوتر والخوف
يتسرّب إلى روحه، وكان كل شيء حوله يهمس بالخطر؛
المؤامرات، التمرد، والغضب الشعبي يتّنام في النار تحت
الرماد.

الأصوات الخافتة للمشاعل كانت ترسم ظللاً طويلاً على
الجدران، وكأنها شبح الماضي الذي لا يستطيع التخلص
منه.

لم يكن مراد يستطيع نسيان ما فعله في اليوم السابق؛
الإعدامات الجماعية التي أمر بتنفيذها، تلك اللحظة التي
كان يحاول فيها إعادة السيطرة على حكمه بالقوة.

لقد سقطت رؤوس المذنبين وغير المذنبين على حد
 سواء، ومراد هو من أمر بقطع تلك الحبال التي كانت تربط
 بين الحياة والموت.

جلس الآن مشوش الفكر، تلاحقه صور تلك الوجوه التي
نظرت إليه بالرعب والخوف.

كان يتساءل في صمت بينه وبين نفسه، هل هذا هو
مصير الحاكم؟ أن يحكم بالخوف والدماء؟ هل قوة
السلطان تفاس بمدى صلابته وقسوته أم أن هناك شيئاً
أعمق يختبئ في الظل؟

كان يعلم أن الحاكم يحتاج إلى القوة، لكن في تلك اللحظات، كان يتساءل إذا كان قد ضل الطريق.

مذ يديه أمامه فكان يرفعهما بثقل لا يُطاق، وكأن الدماء التي أراقها تلتصق بهما، تذكره بما فعله.

بينما يجلس وحيداً في تلك الليلة الباردة، شعر بشبح أخيه السلطان عثمان يطارده.

تذكر جيداً كيف انتهت حياة عثمان القتيل؛ كيف تمردت الإنكشارية عليه وانقلبت الدولة رأساً على عقب، كان عثمان ضحيةً لتردد وضعفه في اتخاذ القرارات الحاسمة.

ومراد كان يخشى أن يلقي نفس المصير، ضحيةً للتمرد والغضب الشعبي الذي بدأ يتنامي يوماً بعد يوم. لكنه كان يدرك أيضاً أنه مختلف عن عثمان؛ لقد تعلم درساً قاسياً من موت أخيه، وأنه إذا تراجع الآن، فإن سلطته ستنتهي.

ومع ذلك، كانت هناك عقبة واحدة لم يتوقع أبداً أن تقف في طريقه بهذا الشكل...

فاريا، تلك المرأة التي أحبها، والتي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياته، كانت فاريا تشكل تحدياً لحكمه، ليس فقط لأنها أجنبية، بل لأنها أصبحت رمزاً للمؤامرات التي تحاك من حوله، وجودها في حياته كان يجعله يتساءل إذا كان

يمكنه الاستمرار في التمسك بها بينما العالم من حوله يحترق، تلك الأميرة الإيطالية التي دخلت حياته كنسمة هاربة من عالم مختلف، باتت الآن مربطاً يُقيده بشدة، وجودها في القصر كأجنبية، كرمز للاختلاف والتحدي، أصبح يشكل نقطة ضعف لا يمكن إخفاؤها.

فاريا لم تكن فقط جزءاً من حياته، بل باتت حجر الزاوية في هذا الصراع السياسي والديني، جبها كان مأزقاً، واستمرارها في القصر خطراً لا يمكن تجاهله.

لقد علم من أنيس أفندي، شيخ الإسلام، أن فاريا إما أن تعلن إسلامها وتصبح جزءاً من رعية القصر، أو ترحل. كان القرار حاسماً وواضحاً، وكان يعلم أن عدم اتخاذه لهذا القرار سيزيد من غضب الشعب والإنكشارية على حد سواء.

كان يعرف أن فاريا لن ترضى بتلك الشروط بسهولة، ولكن إذا لم ينفذ هذه الشروط، فإن حكمه قد يتعرض للخطر.

شعر مراد بتناقض عميق بين قلبه وعقله، قلبه كان يتثبت بحب فاريا، ذلك الحب الذي كان يمثل له أكثر من مجرد علاقة شخصية؛ كان يمثل نوعاً من الحرية والتحدي لكل ما هو متوقع منه كسلطان.

لكن عقله كان يدرك أن الحب وحده لا يستطيع أن يحمي العرش. الأسئلة كانت تتلاحق في ذهنه كأمواج البحر، هل يمكنه التضحية بحبه من أجل الحفاظ على سلطته؟ أم أن التمسك بفاريا سيقوده إلى نهايته؟

بينما كانت هذه الأفكار تتلاطم في رأسه، تذكر كلام أنيس أفندي، ذلك الرجل الحكيم الذي لم يهاب قول الحقيقة أمام سلطان.

"لقد نفذت أحكام الإعدام دون عرضها على القضاء الشرعي.

تجاوزت القوانين، وما فعلته يصعبك في موقف لا تحسد عليه أمام الله وأمام الأمة."

كانت تلك الكلمات تحفر في أعماقه، كان يعلم أن العدالة التي يحتاجها السلطان ليست مجرد قوة، بل شرعية.

لكن في خضم كل تلك الصراعات، كان مراد يشعر بأن الأمر أعمق من مجرد صراع على السلطة.

لقد بدأت المسألة تأخذ طابعًا فلسفياً بالنسبة له؛ هل الحرية التي يبحث عنها الإنسان تأتي من السلطة أم من الحب؟ وهل يمكن للحب أن يكون قيدها كما هو تحرير؟

كان مراد يدرك أن فاريا جاءت إلى القصر هرّباً من قيود عائلتها، بحثاً عن الحرية، لكنها الآن أصبحت مقيدة بشروط جديدة فرضها عليها شيخ الإسلام.

كانت تسعى للهرب من قفص واحد، فقط لتجد نفسها في قفص آخر، أكثر ذهباً لكنه لا يقل قسوة.

استنشق مراد نفساً عميقاً، ثم وقف فجأة، لقد حان الوقت لمواجهة الحقيقة، لم يعد هناك مجال للهروب.

كان عليه أن يخبر فاريا بالشروط التي فرضها عليه شيخ الإسلام.

تلك الشروط التي قد تضع حبهما على المحك، كان يعلم أن هذه اللحظة ستكون فارقة في حياتهما، وأن قراره اليوم قد يغير مسار كل شيء.

كان الليل قد أرخي سدوله على قصر السلطان مراد، مغطّياً الأفق بسحابة داكنة وكئيبة، بينما تعجّ السماء بالغيوم الثقيلة التي كأنها تعكس روح القلق التي تسود الأرجاء.

في ذلك الجو المشحون بالتوتر، كان القصر، الذي كان يُعتقد يوماً أنه ملاذ السلطة، يتحول إلى ساحة مفتوحة للخيانة والمكائد، حيث تنتشر رائحة الخوف والغدر كظلالٍ تلتف حول أركانه.

منذ إعدام الوزير عياث الدين، لم يكن الخطر يُخفى بل تسلل إلى كل ركن من أركان القصر، ليملأ القلوب برهبة الانتظار.

في جناحها الفخم، جلست فاريا تحدق في نيران الموقد المترافقية، محاولةً البحث عن دفء يذيب جليد الوحيدة الذي أحاط بقلبها.

جاءت إلى هذا القصر باحثةً عن الحرية، عازمةً على التمتع بحبها مع مراد، بعيداً عن قيود أهلها وسلطة العالم من حولها.

لكن ما لبست أن اكتشفت أن القيود لا تزول في القصور، بل تأخذ أشكالاً جديدة.

أحسست أن حُرّيتها كانت حلمًا بعيد المنال، وأنها أصبحت أسيرةً لقفصٍ من ذهب، مليء بالمؤامرات والوشایات. تساءلت في أعماقها، "كيف يمكن للحرية أن توجد في قلب السلطة؟"

ترددت كلمات ليلى في أذنيها، كصوت
هادئ يهمس بسلاماتٍ خانقة.
"الحب وحده لا يكفي... هناك قوانين وحدود لا يمكن
تجاوزها."

فجأة، اقتحمت الوصيفة ليلى الغرفة، لكن دخولها لم يحمل
معه الأخبار السارة، كان وجهها مشوشًا، وكأنها تحمل
هموم العالم على كاهلها.

ليلى: مولاتي، السلطان قادم في طريقه إليك، يقولون إنه
يحمل أخبارًا مهمة.

تبعد التركيز في عيني فاريا، وشعرت بثقل ما سيأتي، هل
هو قرار مصيري آخر؟ هل ستُجبر على تقديم تنازلات
جديدة؟

في تلك الأثناء، كان مراد يشق طريقه نحو جناح فاريا عبر
الأروقة الطويلة للقصر، مشوشًا في أفكاره، استمع لنصائح
أنيس أفندي، وكان يدرك أنه يجب أن تحدث تغييرات.

كانت اقتراحات شيخ الإسلام واضحة، للحفاظ على توازن
السلطنة، يجب أن يقييد فاريا، أن يفرض عليها شروطًا قد
تجعلها تشعر بالاختناق.

لكن في قلبه، كان هناك شيء يتمرد.
"كيف يمكنني أن أقيّد المرأة التي أحب؟"

تساءل مراد بينه وبين نفسه، لكن ثقل
الواجب والسلطة كان أقوى من عواطفه.
بينما كان يقترب من جناحها، حدث ما لم يكن في
الحسبان... قفز أحد الخدم من بين الظلال، وبيده خنجر
حاد، مصوّباً نحو مراد.

للحظة، شعر مراد بحد السكين يقترب من عنقه، وكأن
الموت كان على بعد خطوة منه.
تسارع قلبه بشدة، وتدفق أفكار عن السلطة، الحب،
والخيانة في رأسه، وكأن الزمن توقف.

لكن قبل أن تصل السكين إلى هدفها، انقضّ ذو الفقار
كالشبح من العدم، مختصرًا المسافة في لحظة خاطفة،
وأطاح بالخادم.

صوت سقوط الجسد وصوت السيف كانا كافيين لملء
المكان بجو من الرهبة والدهشة.

وقف مراد مكانه، مرتعشاً للحظة، ثم نظر إلى ذو الفقار
الذي كان يتفحص الجثة وكأن الأمر لم يكن أكثر من حركة
روتينية.

ذو الفقار: مولاي، هل أنت بخير؟

شعر مراد بالغضب، ليس فقط من محاولة اغتياله، بل من
كل شيء حوله، سأله بغضب لا يخفى شعوره بالخيانة.
مراد: من كان هذا؟ ومن أرسله؟

رد ذو الفقار بنبرة حذرة، وهو يتفحص الجثة
المسجاة على الأرض.

ذو الفقار: على الأغلب حارس كان على صلة بـ الوزير عياث الدين، لكنني لا أعتقد أن هذه نهاية القصة، مولاي.
يبدو أن هناك مؤامرة أكبر تُحاك في الظل.

شعر مراد بالغضب يتضاعد داخله، لكنه تمالك نفسه.
مراد: الخيانة تحيط بي من كل جانب.

حتى هنا، في قلب قصري... حتى بين من أظنهم الأوفياء.
نظر ذو الفقار إلى السلطان مليئاً بالقلق.

ذو الفقار: مولاي، الأمور تتعقد، وقد يكون الوقت قد حان
لمراجعة بعض من حولك... وأقرب الناس إليك.

كانت تلك الكلمات كالسيف الذي غُرس في قلب مراد.
أقرب الناس؟ هل كان ذو الفقار يقصد فاري؟، لم يستطع
مراد التغاضي عن هذه الفكرة، التي بدأت تكبر مثل الغيمة
السوداء فوق رأسه.

صمت مراد لبرهة، بينما كان الصراع النفسي داخله
يتضاعد، الشك كان يلتهم ثقته في الجميع، حتى في أقرب
المقربين إليه، لكنه لم يكن ليظهر ذلك.

مراد: أريد أن يستجوب كل من له علاقة بهذا الحارس، لن
أترك أحداً يتآمر ضد سلطتي.

أومأ ذو الفقار برأسه، لكن في قلبه كانت هناك علامات استفهام أكثر من الأجوبة.

هل كان ينقد الأمر بداعف الولاء، أم أن هناك مكاسب تدفع هذا الرجل الغامض؟ ولاؤه لم يكن واضحاً، والسلطان مراد، رغم ثقته الظاهرية، بدأ يشك حتى في الذين أنقذوه.

استأنف مراد طريقه نحو جناح فاريا، وعيnahme لا تزال تحملان توتر الحادثة، دخل الغرفة دون سابق إنذار، وكان وجهه يعكس مزيجاً من القلق والغضب. طقت فاريا، وهي ترى شدة الاضطراب على وجهه. فاريا: مراد... ما الذي حدث؟

اقرب منها بخطوات ثقيلة، ونظر إليها بعينين تحملان ثقل الأسئلة.

مراد: فاريا، لدينا أمور يجب أن نتحدث عنها. صوته كان هادئاً، لكن التوتر كان واضحاً بين الحروف.

نهدت بحسم ثم تابع حديثه. مراد: شيخ الإسلام أنيس أفندي قدم لي شروطاً يجب أن نلتزم بها.

شعرت فاريا وكأن قلبها غرق في قاع بئر مظلم. فاريا: شروط! ماذا يعني هذا؟ أأنت السلطان أم ماذا؟

أخذ مراد نفساً عميقاً قبل أن يتحدث.
مراد: أنيس أفندي ي يريد أن نضع قيوداً
عليكِ... وذلك لضمان سلامتك، أخبرني، إما أن تُشهري
إسلامك وتكوني ضمن حاشية القصر، أو ستغادر رين البلاد.

تجمدت فاريا في مكانها، كانت تعلم أن حياتها في القصر
ستأتي بتحديات، لكنها لم تتوقع أن يتحول حبها لمراد إلى قيد
يُقبل حريتها.

فاريا: مراد، هل جئت بي إلى هنا لأصبح سجينه؟
كانت كلماتها مغمومة بالمرارة.

حدق مراد في الأرض للحظة، وكأنه يبحث عن الكلمات
المناسبة.

مراد: فاريا، أنت تعرفين أنني أحبك، لكن السلطنة أكبر من
الحب، هناك توازن دقيق يجب الحفاظ عليه، الناس هنا...
الوزراء، العلماء... كلهم يراقبون.

نظرت فاريا في عينيه، محاولةً أن تفهم كيف يمكن لهذا الحب
الذي كان نقياً أن يتحول إلى شيء آخر.

فاريا: جئت إليك بحثاً عن الحرية، والآن تطلب مني أن أضعها
تحت قدميك؟ كيف يمكنني أن أعيش محبة لك بينما أنا
مكبلة؟

شعر مراد بالثقل يزداد على كاهله.

مراد: هذا ليس ما أريده، لكن السلطة ليست اختياراً، إنها
التزام... وعبء.

وعلينا أن نكون أذكي من أن نسمح للمؤامرات بالتلغلل بیننا.

فاريا: لن أتخلى عن ديني، لن أكون أسيرة
لقوانين لا تؤمن بروحي.
مراد، إذا كنت تحبني حقاً، فلن تجعلني أختار بينك وبين
نفسي.

رفضت فاريا كلا الخيارين، لم يكن الأمر لا يتعلق بديانتها
فحسب، بل بحريتها وثقتها التي وضعتها بين يدي مراد.
كان مراد في ذروة صراع أصعب من صراعه حول عرشه،
إنما مشاعره طوال تلك الفترة، أدرك أن حبه لفاريا أكثر
تعقيداً من تلك القوانين التي تحكم وتوادي العرش.
هتف مراد محتداً:

مراد: أنتِ تجعلين الأمر أكثر تعقيداً، فاريا!

أشاحت فاريا بوجهها ناظرةً إلى النار التي تحرق الرماد
داخل المدفأة، ثم صرحت.

فاريا: سأقابل شيخ الإسلام بنفسي.

وفي تلك اللحظة، عرف كلاهما أن العلاقة بينهما
أصبحت ساحة معركة جديدة، ليست فقط بين
الحب والسلطة، بل بين الحرية والقيود التي
تفرضها الحياة في ظل الإمبراطورية.

كانت السماء ملبدة بالغيوم الثقيلة، والقمر بالكاد يظهر بين السحب المتراكمة بينما يسير مراد في الظلال، خطواته ثابتة ولكن قلبه مضطرب.

وبجنبه كانت فاريا، ترتدي عباءة سوداء، وجهها مختبئ وراء الحجاب، كأنها تحاول التلاشى في ظلال الليل.

توجهوا معاً نحو مسجد آيا صوفيا، حيث ينتظرهما شيخ الإسلام أنيس أفندي.

وبلحظة دخولهما المسجد، كان الجو داخله مهيباً، أنيس أفندي كان جالساً بهدوء في الركن الأمامي للمسجد، يقرأ من المصحف.

رفع عينيه بهدوء فرأى مراد وفاريا، لم يظهر على وجهه أي تعبير، لكنه كان يعلم أن هذا اللقاء قد يغير مجرى التاريخ.

لم يبدي أي حرف، اكتفى بالمسح بيده على سجاد الأرضية، فجلس مراد بسكينة وتبعته وفاريا أمام شيخ الإسلام، الجو كان مشحوناً بالصمت.

بدأت المحادثة بتحية رسمية من مراد، لكنه لم يستطع إخفاء التوتر في صوته.

بينما كانت فاريا تحتفظ برباطة جأشها، ناظرة إلى أنيس أفندي بنظرات حادة مليئة بالتحدي.

بدأ أنيس أفندي الحديث بنبرة هادئة
ولكنها حازمة.

أنيس: أميرة فاريا، أعلم أنك تدركين تماماً موقفك في هذه الإمبراطورية، ولقد طرحت عليك خيارين واضحين، إما أن تشهري إسلامك وتعيشي بيننا، أو أن تغادري.

نظرت فاريا إليه بعينين ثابتتين، وقبل أن يرد مراد،
تقدمت هي بالكلام.

فاريا: أنا هنا لأقدم لك عرضاً مختلفاً، عرضاً يليق بقيم العدالة التي تتحددون عنها، سأترفع بشروتني كاملة لأهالي الأشخاص الذين نفذوا حادث الاعتداء في السوق ولكن بشرط واحد، لن يقدم مراد للمحاكمة، وأحافظ بذلك على النظام الذي تزعمه.

كان صوتها ثابتاً، نقياً، قوياً،
انفجرت كلماتها كالصاعقة في قلب مراد.

لم يكن يتوقع أن تقدم على مثل هذا القرار، قرار ينبع من شجاعة تفوق حدود التوقعات، لكن قبل أن يستطيع الرد، رفع أنيس أفندي يده طالباً الصمت.

أنيس: هذا عرض نبيل، لكنه لا يغير من حقيقة الأمر، سأمنحك مهلة لتغادري البلاد بعد تنفيذ هذا القرار، فأنت تعلمين أن الناس لن يتوقفوا عن إثارة الفوضى طالما بقيت هنا.

لم يستطع مراد إخفاء صدمته، كان قلبه ينبع بقوة، وصور فاريا وهي تُقدم على التضحية بثروتها من أجله تملأ عقله.

كيف يمكن لامرأة أن تكون بهذا القدر من الشجاعة والنبل؟ وكيف يمكن له أن يفقدها إلى الأبد؟ الغضب والخزي احتلطا بداخله، وأدرك أن فقد سيكون كارثياً.

وفجأة، ومن دون تردد، قرر مراد أن يخالف كل القوانين.
مراد: فاريا، لن أسمح لك بالمعادرة.
سأطلب منك شيئاً آخر.

استدار نحو أنيس أفندي، نظراته جادة وثابتة.
مراد: سأتزوجها...

ساد صمت رهيب أبتليع كل شيء لبضع ثوانٍ كانت هذه الكلمات أشبه بانفجار، أنيس أفندي رفع حاجبيه، متفاجئاً من جرأة طلب مراد.

أنيس: هذا غير ممكـن، يا مولـي، قوانـين الـدولـة تمنـع السـلطـان من الزـواـج بـغـير الـمـسـلـمـات.

أماء مراد بثقة تامة.
مراد: أعلم ذلك.

تنهد بأصرار ثم رد مراد بنبرة قوية.
مراد: لكنني لن أتراجع، سأقبل بكل شروطك، لكنني لن أفقدها.

تنهد بعمق أنيس أفندي ثم قال.

أنيس: إن كنت مصرًا، فهناك شروط لا مجال لتجاوزها؛ لن يُمنح لها لقب سلطانة، فهي مسيحية، ولن تكون لها سلطة على المسلمين، عليها أن تلتزم بالزي النسائي العثماني خارج الحرملك، وإن شاء الله وكان لها أبناء من الذكور، لن يكونوا مرشحين لولاية العهد.

صمت مراد للحظة، ثم نظر إلى فاريا، كان يعلم أن هذه القيود ستكون ثقيلة، لكنه كان مستعدًا للتضحية بكل شيء من أجل إبقاءها بجنبه.

مراد: سأقبل بذلك، ولكن بشرط أن تمنح بفرمان رسمي الحرية في التعبد في الكنيسة التابعة للقصر، وأن تحفظ برموزها الدينية في جناحها الخاص.

نظر أنيس أفندي إلى مراد بتمعن، ثم أومأ برأسه.

أنيس: سأوافق على ذلك، ولكن لتعلم يا مولاي، أن قرارك هذا سيحدث ضجة كبيرة في أرجاء الإمبراطورية.

تبادل مع فاريا النظارات ثم صوب بصره على أنيس وهمس بنبرة هادئة.

مراد: فليكن يا شيخ الإسلام، لن يملي على الناس أو القوانين المرأة التي أتزوجها.

كان الصباح مشرقاً، لكن داخل جناح فاريما كان الضوء خافتاً، وكأن الشمس ترفض اختراق ستائر العتمة التي كانت تلتف حول قلبها.

وقفت فاريما أمام المرأة، ترتدي ثوب الزفاف العثماني، ثوباً مزيناً بالذهب والحرير، يمتد بطوله حتى الأرض، وكأنها محاطة بجدران خفية من قيود لا مرئية.

أغمضت عينيها للحظة، محاولة الشعور بجذورها القديمة، بأيام طفولتها في إيطاليا، بالأميرة الحرة التي كانت ذات يوم.

فتحت عينيها ببطء، ورأت في المرأة امرأة غريبة، تلك المرأة التي كانت تراها ليست الأميرة الإيطالية التي كانت تعرفها طوال حياتها، بل كياناً آخر، نصفه ينتمي إلى ماضيها ونصفه الآخر أصبح أسيراً لهذا العالم الجديد، عالم السلطان والسلطنة.

شعرت بأنها لم تعد فاريما التي كانت تعيش حرة في قصور بلادها، بل أصبحت مجرد جزء من ممتلكات السلطان، قطعة من قطع شطرنج لإمبراطورية العثمانية.

كانت المرأة تعكس صورتها وهي ترتدي ثوباً فاخراً، لكنه كان ثوباً لا يحمل روحها، كان يمثل شيئاً آخر، شيئاً غريباً عنها.

شعرت بأن هوية جديدة تُفرض عليها، هوية
تشبه الغطاء الثقيل الذي يضغط على
صدرها، يُغرق ماضيها ويُحوله إلى ظل باهت، كأنها تغرق
في بحرٍ من العادات والقوانين التي لم تختر أن تعيش
تحتها، وكأنها تختفي تدريجياً، كأن روحها تُمحى ببطء.

اقربت فاريا من المرأة، تأملت وجهها، انعكاسها في
الزجاج بدا لها كأنه شبح، شبح لامرأة أخرى، امرأة مختلفة
عن تلك التي جاءت إلى هذا القصر بحلم الحرية.

تنفست بعمق، وكأنها تستجتمع قواها ثم استدارت ببطء
نحو الكتاب الذي كان موضوعاً على الطاولة بجانب السرير.
كان الكتاب هدية من مراد، رمزاً لعلاقتهما التي بدأت يوماً
بحبٍ نقي ولكنها الآن تتشابك وسط المصالح والقوانين.

أمسكت الكتاب بين يديها، وراحت تتلمس غلافه برفق،
وكأنها تحاول استرجاع تلك الذكريات البريئة التي كانت
تجمعها بمراد قبل أن يتلوث كل شيء بسياسة السلطة.

جلست فاريا على الكرسي بجانب النافذة، والشمس تلقي
بضوء خافت على وجهها من بين ستائر الحريرية.

أخرجت ورقة صغيرة من درج الطاولة، وبدأت تكتب،
بحروف مرتعشة أحياناً وقوية أحياناً أخرى، كانت تعرف أن
هذه الرسالة قد لا ترى النور أبداً، وربما لن تصل لأحد.

لكنها شعرت بحاجة ملحة لأن ترك جزءاً من روحها، قطعة من هويتها، في مكان ما قبل أن تُبتلع تماماً في دوامة السلطنة.

بدأت الكتابة بتلك الجملة التي تحمل وزناً ثقيلاً من ماضيها.

"أنا فاريا، ابنة الملك فيتوريو دي روسيني، أمير تاج التجارة..."

كانت هذه الكلمات تخرج من قلبها، تحمل كل ما كانت تمثله قبل أن تجد نفسها محاصرة في هذا القصر.

في تلك اللحظة، لم تكن أميرة قصر السلطان، بل كانت فاريا الحقيقية، ابنة ذلك الرجل العظيم الذي ربّاها على الحرية، على القوة، وعلى الاستقلال.

شعرت بأن كتابة هذه الكلمات أشبه بمحاولة الإمساك بآخر خيط من حريتها المفقودة.

تابعت الكتابة، تحدثت عن نفسها وعن أصولها، عن الحب الذي جمعها بمراد، عن التضحيات التي قدمتها، وعن القيود التي تُفرض عليها يوماً بعد يوم.

كانت تشعر بأن هذه الرسالة هي صرخة في وجه الزمن، محاولة لثبت هويتها التي بدأت تتآكل.

"أنا فاريا، ابنة الملك فيتوريو دي روسيني، أمير تاج التجارة. ولدت في البندقية بقصر الحكم كان مليء بالفخامة، لكنني لم أكن أريد سوى الحرية.

الحرية كانت حلمي، كانت رغبتي الوحيدة في هذا العالم، ولطالما ظننت أنني قادرة على الهروب من كل القيود التي وضعها العالم من حولي."

كانت الكلمات تناسب بحرف عثمانية بحبر أسود كأنه اعتراف حزين، نظرت إلى ثوبها مرة أخرى، أحسست بأن الأقمشة التي تلف جسدها ليست سوى قيود جديدة، قيود ذهبية، لامعة، لكنها ثقيلة.

شعرت كأنها جارية، جارية في قصر السلطان، ليست أميرة كما كانت، بل مجرد جزء من نظام أكبر لا تملك فيه سلطة ولا صوت.

كلما كتبت كلمة أكثر، تشعر وكأنها تقاوم تلك القوة التي تحاول ابتلاعها وتحويلها إلى مجرد جارية أخرى في قصر السلطان.

"أصبحت جزءاً من السلطنة، جزءاً
من حياة لا تشبهني، وجزءاً من قصة لم أكن أريد
أن أكون فيها.

أنا لست من هؤلاء، أنا لست من هنا، قد يُقال
إنني اخترت هذا المصير، لكن الحقيقة أنني
اخترت الحب، واخترت الرجل الذي ظننت أنني
أستطيع أن أكون معه حرة."

أغمضت عينيها للحظة، واستحضرت ذكريات بيتها في
إيطاليا، الشوارع الضيقة، رائحة الزهور في الهواء، ضحكات
الأطفال، وصوت أبيها الملك وهو يعطي أوامره للحاشية.

كانت تلك الذكريات تبدو بعيدة، كأنها من حياة أخرى، حياة
لم تعد تنتهي إليها.

"أصبحت مجرد قطعة في لعبة أكبر مني، أداة في يد الزمن والتاريخ، لست فاريا، الأميرة التي كانت تحلم بالحرية، بل أصبحت فاريا التي ستدرك كزوجة للسلطان العثماني، أو ربما لن تذكر أبداً."

كانت الكلمات الأخيرة تتخللها مشاعر مراارة، مشاعر فقدان الهوية التي كانت تصارعها من الداخل، شعرت أنها تباد في هذا المكان، أن جزءاً منها يموت ببطء، بينما تحول إلى شيء آخر، شيء لم تكن يوماً تريده أن تكونه.

نظرت فاريا مرة أخرى في المرأة، نظرات مليئة بالتساؤلات والتحدي، وكأنها تحدى العالم ليذكر قصتها كما هي.

"قد لا يذكر التاريخ قصتي، أو يحرفها،
لكنني أعلم من أنا.

أنا فاريا، ابنة فيتوريو دي روسيني، ولن
يستطيع أحد أن يسلبني هويتي، حتى لو
حاولوا دفني تحت عباءة السلطة."

غمست القلم مرةأخيرة في المحبقة
ثم شدة أحرفه الكلمات بتراخي.

"أكتب هذه الكلمات لأن تذكر من كنت، قبل أن
تحول هويتي إلى شيء آخر.

كنت فاريا فيتريو دي روسيني وألان أصبحت فاريا
آل عثمان."

مع تلك الكلمات، شعرت فاريا بارتياح داخلي، أدركت أن
هويتها ليست فيما ترتديه أو المكان الذي تقف فيه، بل
فيما تختزنه في قلبها.

حتى لو أصبحت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، فإن
روحها ستظل حرة، حرة كما كانت دائماً، حتى لو لم يُكتب
ذلك في كتب التاريخ.

طوت الورقة ببطء، ووضعتها بين صفحات الكتاب، وكأنها
ترى جزءاً منها هناك، خفية عن العيون، شعرت بشغل
الورقة بين الصفحات، وكأنها جزء من روحها العالقة بين
دفتير كتاب.

رفعت الكتاب إلى صدرها للحظة، وكأنها تودع نفسها
القديمة ثم أعادته إلى درج الطاولة، وقفـت ببطء، ثم
استدارت نحو المرأة مـرة أخرى، المرأة التي كانت تراها
الآن كانت أقوى، لكنها لم تكن نفسها.

شعرت أن هويتها الحقيقية قد وُضعت
بين صفحات الكتاب، وأن المرأة التي ستخرج الآن إلى
زفاف هي نسخة أخرى منها، نسخة تخضع للقدر، لكنها
في داخلها لا تزال تقاوم.

خطت ببطء نحو الباب، وألقت نظرةأخيرة على جناحها،
شعرت بأن هذه اللحظة تمثل انقساماً بين ماضيها
وحاضرها، بين فاريما الأميرة الحرة، وفاريا التي أصبحت
الآن جزءاً من السلطنة.

لكن في داخلها، كانت تعرف أن روحها لا تزال حرة، حتى
لو كان جسدها محاصراً بالقيود.

خرجت من الجناح، مستعدة لمواجهة العرس، لكنها
تحمل في قلبها قصة لن تُمحى، حتى لو لم تُكتب في
كتب التاريخ.....

في قصر السلطان مراد، اشتعلت الأضواء، وزُينت الأروقة بالأقمشة الحريرية، والزخارف الذهبية، كان الحفل مشهداً لا يُصدق، حفلاً يجمع بين الفخامة والغرابة.

الجميع في حالة من الدهشة والصمت غير المصدقين لما يجري.

السلطان مراد، أعظم سلاطين الدولة العثمانية، يتزوج أميرة إيطالية مسيحية في احتفال ضخم، يهز أركان السلطنة.

الحضور كانوا مزيجاً من الفرح والذهول.

الوجوه تحمل تساؤلات وتوجسات، وكان البعض يهمس عن المؤامرات التي قد تُحاك في الخفاء، الوزراء والعلماء والجنود، جميعهم كانوا يراقبون الموقف بدقة مشوبة بالحذر.

وفي قلب الحفل، كانت فاريا ترتدي زياً عثمانيًا فاخراً، لكن عينيها كانتا تحملان مزيجاً من الحزن والتحدي.

مراد كان بجانيها، يقف بثقة رغم العواصف التي تدور حوله.

كان يعلم أن هذا الزواج سيصنع عهداً جديداً في تاريخ السلطنة، لكنه كان مستعداً لأي تحدي قد يواجهه.

أجواء الاحتفال كانت مشحونة، وكانت
الهمسات تزداد يوماً بعد يوم، لكن مراد وفاريا، في تلك
الليلة، لم يكونا يهتمان بالسياسة أو المؤامرات.

في تلك اللحظة، كانت هناك قصة حب
تتجدد وسط قيود السلطة، قصة حب قد
تُحطم القوانين، أو تُغير وجه التاريخ.

ليل آخر قد حل على قصر السلطان مراد، لكنه لم يكن ليلاً عادياً، كل شيء في القصر بدا وكأنه متورط في دائرة من الغموض والريبة، منذ أن أعلن السلطان مراد تحديه الصريح لكل القوانين وتزوج فاريا، الأميرة الإيطالية.

ذلك الزواج الذي صعق الجميع، لم يكن حدثاً عابراً، بل كان شرارة أضرمت نيران الشائعات في زوايا القصر وأروقة الحرمك.

في أحد الأجنحة المظلمة، كانت فاريا تجلس في زاوية غرفتها، تتأمل النيران المشتعلة في الموقد، ذلك الدفء كان يحمل تناقضًا غريباً مع البرودة التي بدأت تتسلل إلى قلبها.

منذ أن وطئت قدمها أرض القصر بعد الزواج، لم تعد فاريا تلك الأميرة الإيطالية الحرة التي تمشي بخطى واثقة، بل أصبحت "فاريا آل عثمان"، محاصرة بين جدران القصر الذهبية التي تحولت إلى سجن لا مفر منه.

سمعت فاريا همسات الجواري وهي تتردد بين الممرات، كانت تلك الهمسات تصفها بالساحرة، مدعية أنها قد سحرت السلطان ليكون تحت سيطرتها. الكلمات اخترقت قلبها مثل السهام، وشعرت وكأنها تتلاشى شيئاً فشيئاً في بحرٍ من العزلة.
"هل هذا قدرٍ؟"

تساءلت فاريا، وهي تمسك بيدها رسالة قد كتبتها لنفسها قبل الزواج، كانت الكلمات التي خطتها هي الواجهة الوحيدة التي تبقي لها من هويتها الأصلية.

"كنت فاريا فيتريو دي روسيني، والآن أصبحت فاريا آل عثمان."

كانت تلك الجملة، التي كتبتها في لحظة ضعف، شاهدة على التحول الكبير في حياتها، لكنها شعرت أن تاريخها وقوتها قد اندثرت في ظل السلطان مراد، وفي ظل قصص السحر والشوم التي نسجتها الألسنة حولها.

تساءلت فاريا مرة أخرى، متأملةً في صمت ما آلت إليه الأمور.

"هل الحب يستحق هذا الثمن؟"

وفي زاوية أخرى من القصر، كان مراد يعاني من صراع داخلي لم يعرف له حلًّا، رغم أنه كان الحاكم الأقوى في السلطنة، إلا أنه وجد نفسه في دوامة من الخوف والتردد.

لم يكن يخشى من فاريا، بل من ما قد يتربى على قراره بالزواج منها.

كان مراد يدرك أن قوانين القصر والدين تمنع زواجه من غير المسلمة، وأنه بتحديه لتلك القوانين، قد فتح على نفسه أبواب الجحيم.

كان يرقد على فراشه، يتأمل السقف
المعتم، فيما كان قلبه ينبض بقوة.
هل خسر نفسه أمام تلك الشائعات التي بدأت تنتشر
مثل النار في الهشيم؟

هل تجراً على كسر النظام من أجل الحب فقط ليجد نفسه
مهدداً بفقدان كل شيء؟

لم يكن يستطيع النوم، وكان فكره مشغولاً بما قد يحدث لو
خرجت الأمور عن السيطرة، تخوفه من أن يثور عليه
المقربون، أن يفقد دعم علماء الدين، وأن يُتهم بأنه قد
انجرف وراء كما يقول البعض.

"سحر فاريا"

أما في جناح آخر، كانت عائشة، والدة ولی العهد الأمير
حسن، تجلس في الظلام وهي تفك في تطورات الأحداث
بقلق متزايد.

منذ أن تزوج مراد من فاريا، بدأ القلق يتسلل إلى نفسها.
كانت تخشى أن هذا الزواج قد يهدد مستقبل ابنها حسن
كولي للعهد.

في قلبها، كانت عائشة مقتنعة بأن فاريا ليست سوى
عقبة جديدة قد تؤدي إلى تدمير توازن القوة داخل القصر.
تساءلت في سرها
"هل سيكون لابني مكان في هذا القصر بعد الآن؟"

كانت عائشة تعلم جيداً أن القصر مكان مليء بالمؤامرات، وأن كسب النفوذ يتطلب حذراً ودهاءً كبيراً، بدأت تتحرك في الخفاء، تحرك الجواري لنشر الشائعات حول فاريا، وتشير التساؤلات بين نساء القصر والحرملك عن مدى صحة زواج مراد منها.

كانت الكلمات التي انتشرت بين الجميع مثل سُمٌّ يتسرّب ببطء، يؤجج الخلافات ويزرع الشكوك في كل زاوية من زوايا القصر.

عائشة لم تتوقف عند هذا الحد، بل لجأت إلى كوسيم، المرأة القوية التي كانت تتحكم في القصر من خلف الستار، لتنشر القيل والقال بين الخدم والجواري.

"فاريا نذير شؤم"
"فاريا سحرت السلطان"

كلمات تحولت إلى سيف تلاعب بعقول الجميع وتدفع بهم نحو التمرد.

وفي أروقة القصر، كانت الجواري يتناقلن الحكايات، بعضهن يهمسن وبعضهن يضحكن بخبث

"لقد سحرت السلطان"
"فاريا جعلته يتزوجها بسحر أسود"
"إنها لعنة على السلطنة".

الشائعات بدأت تلتهم الحقيقة، وتحولت إلى وقود يشعل النيران في النفوس مليئة بالحسد والغيرة.

كانت تلك اللحظات مشبعة بالترقب، حيث بدت الأجراء داخل القصر وكأنها تنتظر انفجاراً وشيكاً، كل شخص كان يراقب بحذر، محاولاً أن يتفادى العاصفة القادمة، لكن الريح كانت تحمل إشارات لا تخطئ.

وفي خضم هذه الفوضى، كان مراد يعلم أن شيئاً كبيراً قد يحدث قريباً، تلك النيران التي أشعلتها الشائعات لم تكن سهلة الإخماد، وأعداءه في القصر وخارجيه بدأوا يتحركون ببطء، ينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض.

وفي تلك الليلة، بينما كانت السماء مليئة بالغيوم الداكنة والريح تعصف بالمدينة، جلس مراد في جناحه متأنلاً في ما سيأتي.

كان يعلم أن اللعبة قد بدأت، وأنه يجب أن يكون مستعداً لما هو قادم، بين الحب والسلطة، بين الشائعات والحقائق، كان مصيره معلقاً على خيط رفيع.

بينما في جناحها، كانت فاريا تتأهب لمواجهة قدرها، عازمة على أن لا تتلاشى في خضم هذا الصراع الكبير.

أما عائشة، فقد كانت مستعدة للقتال
من أجل ابنها، حتى لو كان الثمن هو تدمير الجميع.

في تلك اللحظة، لم يكن هناك طريق للعودة...

الفصل السابع

أصداء المؤثر

كان الليل قد أرخي أستاره على القصر العثماني، وبدت أروقة الحرملك هادئة كأنها تحبس أنفاسها في انتظار حدث غير معلوم.

في جناحه الخاص، كان السلطان مراد يغرق في نوم قلق، على سرير من الحرير الفاخر، بجانبه فاريا، المرأة الإيطالية التي قلبت توازن القصر رأساً على عقب. كانت ظلال القناديل المعلقة تترافق على الجدران المزخرفة، ترسم أشكالاً مبهمة كأنها تعكس اضطراب الأرواح التي تسكن المكان.

بينما هو غارق في أحلام متقطعة، يُطارده كابوس لم تتضح ملامحه، كانت قدماه تلامسان أطراف الفراش كأنها تبحث عن مخرج من هواجسه، فجأة، يسمع خطوات خافتة تقترب من الباب.

يستشعر وجود الخادم قبل أن يصل، وكأن الحواس المتحفزة للسلطان قد أدركت أن الليلة لن تمر بسلام.

قرع الأغا أردخان الباب بهدوء مريض، وكأن الطرق كان بحد ذاته يحمل رسالة غير مريحة، فتح مراد عينيه ببطء، وسرعان ما ارتفع في جلسته، متحسساً غموض اللحظة. كانت أنفاسه تتسارع كما لو أنه يقف على حافة هاوية. ألقى نظرة سريعة نحو فاريا النائمة إلى جانبه، متربداً في إيقاظها أو إزعاج راحتها.

قال الحراس بصوت خافت.
أردخان: مولي، أعتذر للإزعاج، لكنني أحمل رسالة هامة.

أغمض مراد عينيه للحظة، وكأنه يستجمع قواه قبل أن يرد
بصوت هادئ ولكنه حاز.
مراد: ادخل.

دخل الحراس بخطوات حذرة، وقد بدت ملامحه تحمل
أثر التوتر الذي كان يلف أجواء القصر في الأيام الأخيرة.
تقدّم ببطء نحو الطاولة الصغيرة قرب السرير، ووضع
الرسالة المختومة بالشمع الأحمر عليها.

تسأل مراد بصوت محمل بالريبة.
مراد: من أين جاءت هذه الرسالة؟

أردخان: جاءت من شخص مجهول يا مولي، وُضعت أمام
بوابة القصر قبل قليل.

كانت كلمات الحراس كافية لزرع المزيد من الشكوك في
قلب السلطان.

كانت نظرات مراد عميقة وكأنها تحاول كشف ما بين
السطور قبل أن يفتح الرسالة، أو ما برأته للحراس،
مشيراً له بالخروج، وحين انغلق الباب خلفه، شعر مراد
بوخزة في قلبه.

بينما فاريا، كانت مستلقية في سلام ظاهري، بدأت تشعر بغياب مراد عن جانبها، فتحت عينيها ببطء لتجد السلطان جالساً عند الطاولة، بوجه غارق في التوتر والقلق.

همست بصوت ناعس، محاولة التقاط أي إشارة توحى بما يحدث.

فاريا: مراد... ما الأمر؟

أدبر مراد رأسه ببطء نحوها، محاولاً أن يرسم على وجهه ملامح الطمأنينة، لكنه لم يستطع إخفاء ما يعتريه من قلق. فاريا: لا شيء مهم، فاريا. مجرد رسالة، لا تقلقي.

لكن فاريا لم تكن بلهاء، كانت ترى بوضوح أن هناك شيئاً ما يحدث، شيئاً أكبر من أن يخفيه عنها السلطان.

قامت من الفراش واقتربت منه ببطء، وجلست بجانبه على الطاولة مدّت يدها بلطف إلى الرسالة، لكنه أمسك يدها برفق مقبلها مانعها من الاقتراب.

مراد: دعني أتحمل هذه الأمور وحدي، فاريا، لا أريد أن أثقل قلبك بما يحدث هنا.

لكنها لم تستسلم بسهولة، كانت تعرف أن تلك الليلة تحمل شيئاً أخطر من مجرد رسالة، وكانت تريد أن تكون جزءاً من كل ما يواجهه.

فاريا: مراد، نحن في هذا معاً، أخبرني بما يحدث، حتى وإن كان مخيفاً، لا أريد أن أكون خارج حياتك.

صمت مراد للحظة، ثم رفع الرسالة ببطء وفتحها، كانت الكلمات الأولى ترسم على وجهه قناعاً من الصمت الثقيل.قرأ بصوت خافت لكنه مشحون بالقلق.

مراد: قد تكون السلطنة في خطر، أعداؤك ليسوا بعيدين، الحذر من الصولجان الذي تحمله، فقد سحرت عليه تعاوين قديمة تجعل قوتك وهما.

كانت فاريا تنظر إلى مراد بعيون ملؤها التساؤل والقلق.
فاريا: ماذا تعني هذه الرسالة؟ من أرسلها؟

ما كان يحاول مراد فعله هو إبقاء مشاعره تحت السيطرة، شعر بثقل كبير يزداد على كتفيه، كانت الرسالة تحمل تلميحات لمؤامرة قديمة تستهدف سلطنته، وربما حياته.

مراد: لا أعرف من يقف خلفها، لكنني أعلم أن هناك من يحاول زعزعة الثقة بي وبسلطاني، يبدو أن هناك من يعتقد أن قوتي مستمدة من هذا الصولجان الذي أحمله، وأنه مسحور.

تسألت فاريا بنبرة مشوشة.
فاريا: هل تعتقد أن هذا صحيح؟

مراد هز رأسه، نصفه يرفض الفكرة، لكن نصفه الآخر لا يستطيع تجاهل الخوف الذي تسلل إلى قلبه. مراد: لا أعلم، لكن هذه الرسالة ليست مجرد تهديد، إنها تحذير.

ويجب أن أكون حذراً، فالعدو قد يكون أقرب مما أتصور.

تراجع مراد إلى الفراش، محاولاً أن يخفى مشاعره العاصفة عن فاريا.

لكن حتى وهي بجانبه، كانت تشعر بأن الحواجز بينهما تزداد عمقاً.

كانا يجلسان في الظلام، كل منهما يحاول إخفاء خوفه عن الآخر، بينما المؤامرات في القصر تبدأ في التسلل ببطء إلى حياتهما، تماماً كما تسللت تلك الرسالة إلى جناحهما.

كانت تلك الليلة مقدمة لزوبعة أكبر، تهدد بقلب كل شيء رأساً على عقب.

في صباح شاحب ملبد بالغيوم، حيث يبدو كل شيء متجمداً في قصر السلطان، تتردد أصوات بعيدة في الأروقة، ولكنها لا تصل إلى جناح فاريا، حيث يجثم الصمت على المكان مثل غيمة ثقيلة.

هناك، في هذا الجناح الذي أجبرت على اعتباره "بيتها الجديد"، تلقت فاريا خبراً يحمل في طياته أوجاعاً منسية، جراحًا لم تندمل، كان وصول هذا الخبر كريح عاتية تقتلع من جذورها ما تبقى من أحلامها.

دخلت ليلى على استحياء إلى جناحها، وعيناها تخفضان عن النظر المباشر إلى سيدتها، وبيده ترتجف، سلمتها رسالة، مختومة بشعار عائلتها، قد وصلت للتو من البندقية ثم أنحنت طالبة أذن بالخروج، أشاحت فاريا بأطراف أناملها أذنه لها بالخروج.

نظرت فاريا إلى الختم لفترة، وكأنها تخشى فكه، وકأن الحبر يحمل في طياته سُمّا سيحرق ما تبقى من قلبها. تفك الختم ببطء، لتقرأ السطور القليلة، فتخنقها الكلمات.

إيطاليا... تلك الأرض التي لطالما احتضنتها وكأنها ابنة مدللة، انقسمت الآن إلى دولتين، البندقية ما زالت تحت سيطرة عائلتها، عائلة روسيني.

لكن الجزء الآخر من البلاد الآن يحكمه ،الأمير لورينزو دي موريانو، الرجل الذي حاول في يوم من الأيام أن يربط مصيره بمصيرها، والذي لا يزال يحمل في قلبه نار الرفض القديم.

كانت الرسالة مختصرة، لكنها حملت كل الأثقال التي تعيد إلى فاريا ذكرى عائلتها، وطنها، وكل ما فقدته حينما اختارت أن تترك ذلك العالم وراءها.

جلست فاريا وحيدة في جناحها، جو الغرفة كان خانقاً، الثقيل بالصمت، الصمت الذي جعلها تشعر بأن القصر كله يتآمر ضدها بصمته.

أمامها كانت طاولة خشبية قديمة، فوقها خريطة مهترئة لإيطاليا، الورق الأصفر الشاحب الذي كان يوماً رمزاً لوحدة وطنها، أصبح الآن شطراً ممزقاً يعكس واقعها المريض.

مدت أصابعها الرفيعة المرتجفة لتلامس الخريطة كما لو كانت تود أن تجمع أجزاءها الممزقة مرة أخرى، لكن الخريطة ظلت كما هي، صامتة وغير مبالية.

كان شموخ عائلتها، عائلة روسيني، يبرز بوضوح على الخريطة، يتوسط حدود البندقية التي ما زالت تحت سيطرتهم.

لكن في نفس الوقت، كانت ترى تمزق
النصف الآخر من وطنها، وهو الآن تحت
سيطرة الأمير لورينزو، لم يكن هذا الصراع مجرد نزاع
سياسي بين قوتين، بل كان انعكاساً مباشراً لخياراتها
الشخصية، لصراعها الداخلي بين ماضيها وحاضرها.

فاريا تشعر أن الحياة بدأت تنكمش حولها، الأبواب التي
كانت يوماً مفتوحة على مصراعيها لها في وطنها، تغلق
الآن في وجهها.

عيناها، المملوءتان بالحزن والخسارة، تتبعان حدود
الخريطة، وكأنها تبحث عن مخرج، لكنها لا تجد سوى
خطوط تقسم الأرض، وكأنها تقسم قلبها أيضاً.

تذكرت كلمات والدها حينما قال لها ذات مرة
"السياسة كالرياح العاتية، تتغير دائماً، لكنك يا فاريا،
عليك أن تبقي ثابتة كالصخر، لا تهتز جذورك مهما اشتد
العاصفة."

لكن الآن، شعرت أن تلك الجذور تتفكك، تتلاشى شيئاً
فشيئاً. العالم من حولها يتغير، وهي لم تعد تعرف أين
تنتمي.

في تلك اللحظة، لم تكن حزينة فقط على انقسام وطنها،
بل على كل شيء فقدته، فقد لم يكن لأسرتها فقط، بل
كان فقداناً للهوية، للوطن، وحتى للذات.

رفعت فاريا رأسها ببطء، وكأنها تحاول أن تتماسك أمام انهيار العالم من حولها، لكن وجهها لم يستطع إخفاء الألم الذي يتعمق أكثر مع كل لحظة تمر.

كان الأمير لورينزو، الذي طالما رأته كخصم، يعود الآن ليقلب حياتها مرة أخرى، ولكن ليس عبر محاولته الفوز بها، بل عبر تمزيق وطنها إلى نصفين.

شعرت فاريا أن هذه الحرب القادمة لن تكون فقط على الأرض، بل ستكون حرباً داخل قلبها، صراغاً بين ماضيها وحاضرها، بين واجباتها كزوجة للسلطان وبين جذورها كابنة لواحدة من أعظم العائلات في إيطاليا.

في تلك اللحظة، لم تكن فاريا تفكر في السياسة، أو في تحالفات القصر، بل في الصراع الذي لم ينته بداخلها.

في قاعة الاستقبال الكبرى للقصر العثماني توبكابي، كانت الأضواء تنعكس على الجدران المزخرفة بالذهب والألوان الداكنة، ترسم فيضاً من الظلالة المتراقصة، كان الجو مفعماً بالتوتر غير المعلن، حيث كان الجميع ينتظر حضور السلطان مراد.

على مدخل القاعة، وقف النبييل جيوفاني دي بارتولو، أحد أكبر تجار البندقية، وقد امتلأت عيناه بمزيج من الكبراء والخبث.

هذا الرجل الذي لطالما كانت له عداوة قديمة مع والد فاريلا، الأمير فيتوريو دي روسيني، كان الآن على مشارف القصر العثماني، محملًا بهدية قديمة بوجهٍ جديد، برميلين من الخمر الإيطالي الفاخر.

دخل جيوفاني القاعة بخطواته الهدامة، لكنه لم يكن يخفِ نواياه الخبيثة، فقد كان يحمل وراء هديته عرضاً سياسياً، نظر إلى رجال القصر من حوله، واستقر نظره على مكان السلطان الذي لم يظهر بعد.

كانت الهدايا موضعة أمامه على طاولة فاخرة، برميلاً الخمر الفاخرين يتوهجان تحت الأضواء، يعكسان قيمتها العالية التي كانت واضحة لكل الحضور.

في تلك الأثناء، دخل الصدر الأعظم ذو الفقار، رجل السلطة المخلص للسلطان، ووقف بجانب النبييل جيوفاني، متفحصاً الهدية بنظرة حذرة، وكأنه يزن نوايا هذا التاجر قبل أن ينطق بأي كلمة.

ارتفع صوته الهدئ المهيب ليقول ذو الفقار: هذه الهدية، وإن كانت فاخرة، يجب أن يُنظر إليها بعين الحذر.
لا يتعامل المرء مع أعداء أسرته بسهولة.

لكن جيوفاني، وهو رجل ذو لسان معسول، كان قد استعد لهذا النقاش، انحنى بخفة احتراماً للصدر الأعظم وقال بصوت سلس.

جيوفاني: يا ذو الفقار باشا، هذه الهدية ليست مجرد براميل من الخمر الفاخر، إنها عربون صداقة وتقدير، وتعزيز لتحالف جديد بين البندقية والسلطنة العثمانية، والأهم من ذلك، إنها على شرف فاريا، الأميرة الإيطالية التي نعتز بها جميعاً.

في هذه اللحظة، كان السلطان مراد قد دخل القاعة، بوجهه الجاد ونظراته التي تحمل وزن العرش العثماني، تقدم نحو الطاولة.

نظر إلى براميل الخمر ثم إلى النبيل الإيطالي الذي حاول بأدب أن ينحني احتراماً له، قائلاً جيوفاني: جلالة السلطان، يشرفني أن أكون هنا في حضرة عظمتك، وأن أقدم هذه الهدايا المتواضعة احتفاءً بوجود الأميرة فاريا في بلاطك وأطمع بأذنك للقاء بها.

توقف مراد لبرهة، وصمت المكان، كان هناك توتر مكبوت في الهواء، حيث عرف الجميع ما الذي يرمي إليه جيوفاني، وأن هذه الهدية ليست إلا ستاراً لعرض سياسي أكثر خبثاً.

ابتسم مراد ابتسامة خفيفة ولكنها مشوبة بالدهاء، ثم قال بصوت عميق

مراد: نحن نقدر هديتك يا جيوفاني، ولكن فاريا الآن جزء من حرمي الخاص، لا يمكن لرجلٍ غريب أن يطلب رؤيتها، هذا أمر غير مقبول في تقاليدنا.

اهتز النبيل للحظة، لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه. جيوفاني: بالطبع، يا جلالة السلطان، لم أقصد الإساءة. إنها مجرد رغبة في الترحيب بها كابنة لإيطاليا في بلاط السلطان.

لكن مراد، بنظرة باردة و متحفصة، لم يكن ليقع في شراك هذا التاجر المخادع.

استدار ببطء نحو ذو الفقار وقال بينما
يتحرك لينصرف مغادرً القاعة.

مراد: أبلغ جيوفاني أننا نقدر هديته، لكننا لا نحتاج إلى
تحالفات تأتي عبر النفاق أو استغلال مواقف النساء،
تحالفاتنا تُبنى على القوة والصدق، وليس على الخمور
والمكر.

كانت تلك الكلمات حادة كالخنجر، شعر جيوفاني بالإهانة،
لكن مراد لم يكن يهتم، كان يعلم جيداً أن التحالف مع هذا
الرجل قد يضع فاريا في مأزق سياسي مع أعداء والدها.

لم يكن يرغب أن تُستخدم فاريا كورقة في لعبة القوى
الكبرى التي تحيط بالبندقية والسلطنة، رغم محاولت
النبيل جيوفاني، إخفاء خيته، أدرك أن السلطان مراد لن
يبتلع طعمه بهذه السهولة.

وقف صامتاً، وعيناه تتجهان إلى براميل الخمر التي بدت
فجأة فارغة من أي معنى أو قيمة ثم انسحب ببطء، محاولاً
الحفاظ على ما تبقى من كرامته.

في حين ظل ذو الفقار واقفاً بجانب السلطان، مؤكداً عبر
صمته أن كل خطوة تُتخذ في هذا القصر تُحسب بعناية،
 وأن السلطان لن يسمح لأحد أن يستغل فاريا أو يقحمها
في معارك سياسية هي في غنى عنها.

وفي نهاية اللقاء، خرج النبيل جيوفاني من القصر، وقد
أدرك أن مساعيه لم تتحقق غايتها.

بينما كان السلطان مراد متوجاً إلى جناحه الخاص بعد انتهاء اللقاء في قاعة الاستقبال، أصدر أوامره بصوت هادئ لكنه حازم إلى أحد الأغوات الحرمليك "خذوا البراميل إلى جناح فاريا، لا نريد لهذه الهدية أن تُهدر، ولكن لا أحد سيفيد منها سواها."

خرج أثنين من الأغوات بهدوء، وقاموا بنقل البراميلين الفاخرين إلى جناح فاريا، حيث كان الجو ملبدًا بالتوتر الذي صاحب وصول الخبر حول زيارة النبيل جيوفاني دي بارتولو.

داخل الجناح، كانت فاريا تجلس على كرسي خشبي بجوار نافذة كبيرة تطل على حدائق القصر. الغيوم الرمادية في السماء كانت تعكس ما بداخلها من حزن وقلق.

دخلت الوصيفة ليلي وكانت تدرك أن في قلب فاريا حديثاً مخزوناً، ينتظر أن يُكشف، نظرت إلى البراميل التي وضعـت عند مدخل الغرفة وقالـت بتساؤل ليلي: هل هذه هدية جديدة أرسلـت من إحدى الدول كهدـية للعرس؟.

نظرت فاريا إلى البراميل بشيء من اللامبالاة، وكأنـها لا تحـمل إلا ثقلاً إضافـياً على أكتافـها المثقلـة أصلـاً.

ثم بصوت خافت ولكنه مليء بالغضب
المكبوت، قالت.

فاريا: جاء بها نبيل من البندقية... جيوفاني دي بارتولو،
شخص يعرف والدي جيداً، بل أكثر مما ينبغي، رجلٌ
يملك عداوة طويلة معه.

جلست ليلى بالقرب منها، عيناهَا مفتوحتان بترقب،
 بينما سألت.

ليلى: ماذا أراد؟ لا يبدو الأمر مجرد هدية...

ابتسمت فاريا بسخرية وهي تتبع بصوت هادئ متوتر.
فاريا: أراد استغلالي... كعادته، أراد استخدامي كورقة
لتحقيق مكاسبه في البلاط العثماني.

قدم هذه البراميل على أمل أن يقنع السلطان بإقامة
تحالف معه.

لكن مراد... رفض.
بل قطع أمله بيديه.

صمتت للحظة وهي تنظر إلى البراميل، ثم أضافت
بمرارة.

فاريا: هذه البراميل تمثل كل ما يكرهه والدي في
السياسة الإيطالية، جيوفاني رجل لا يرى إلا مصلحته،
ويريد أن يضعني في مواجهة مع ماضيّ، وكأنني، بمجرد
دخولي هذا القصر، نسيت من أكون... نسيت من هو
أبي.

ابتسمت ليلي بلطف، تحاول طمأنتها.
ليلى: لكن السلطان يعرف من تكونين يا مولاتي، لقد
وقف في صفك اليوم، وأوقف هذا التاجر عند حده.

نظرت فاريا نحو النافذة، كأنها تفكّر في ما وراء حدود القصر،
ثم قالت بنبرة مليئة بالحزن.

فاريا: نعم، لكنه أيضًا يحميني بطريقة تُبقيني معزولة، أنه
يعزلني عن رؤية أي شخص من عالمي القديم، ومنع حتى
هذا النبيل من لقائي، مراد لا يدرك أنني لا أريد الحماية بقدر
ما أحتاج إلى التوازن، أنا لم أعد إيطالية تماماً، ولم أصبح
عثمانية بشكل كامل... أين مكانى بين كل هذا؟

اقربت ليلي منها بحنان وربت على كتفها بلطف.
ليلى: أنت أقوى مما تعتقدين يا مولاتي، رغم كل هذه
العواصف، ما زلت واقفة، وأنت أكثر من مجرد أداة في يد
السياسة، قوتك تكمن في داخلك، وليس في المكان الذي
تجدين نفسك فيه.

تأملت فاريا كلمات ليلي، وهي تعلم أنها على حق، ولكن
قلبها المثقل بالأسئلة كان ما يزال يتارجح بين الماضي
والحاضر.

تلك البراميل الفاخرة، التي ترمز للتحالفات والمكائد، لم تكن مجرد هدية، كانت علامة أخرى على أن فاريا، مهما حاولت، لا تزال عالقة بين عالمين متصارعين، ولن تجد سلاماً إلا إذا واجهت شياطين الماضي بشجاعة.

وفي هذه اللحظة، كان الجو خارج النافذة قد بدأ يتحول، حيث تجمعت الغيوم أكثر، وكأنها تحمل رسالة تحذير عن العواصف القادمة، ليس فقط من السماء، بل من القلوب المتصارعة داخل القصر وخارجها.

في جناح السلطان مراد، حيث تسللت
أصوات القناديل الخافتة عبر الستائر المزخرفة، جلس
السلطان في مقعده الكبير، يفكر في الأحداث المتلاحقة.

كانت أفكاره مضطربة بعد زيارة النبيل الإيطالي جيوفاني
دي بارتولو، ومضى ذهنه بعيداً يتأمل التبعات السياسية
لإنقسام إيطاليا.

الجو كان ثقيلاً ومشحوناً بالتوتر، وكأن العواصف التي
تجمعت في السماء الخارجية انعكست داخل الجناح
نفسه.

دُفعت الأبواب بهدوء، لتدخل السلطانة الام كوسيم،
بهيئتها المعتادة، ذات الهيبة التي لا تخطئها العين.

كانت تعلم أن هناك أموراً غير واضحة بين الجدران هذه
الليلة، وأرادت أن تتحدث مباشرة إلى ابنها السلطان.
جلست على المقدار المقابل، عينها تراقب تعابير وجهه
المتجهمة.

كوسيم: سمعت بما حددت اليوم، النبيل الإيطالي... هذا
الذي جاء محملاً بهدايا الخمر والعروض السياسية، هل
تدرك يا مراد أن الأمور ليست بهذه البساطة؟

أدّار مراد رأسه نحوها ببطء، وعيناه مشتعلة بتوتّه المعتاد، لم يكن يرحب في خوض هذا الحوار، لكنه يعلم أن والدته لا تترك الأمور دون مواجهتها. مراد: رفضت عرضه، يا أمّاه، لا أريد وضع فاريّا في هذا الموقف، لن أسمح له باستخدام زوجتي لتحقيق مكاسبه أو تحطيم ما بيننا.

ابتسمت كوسيم بسخرية هادئة، ثم قالت بصوت يحمل في طياته عمقًا سياسياً حاداً.

كوسيم: يا مراد، هذه ليست مجرد مسألة رفض عرض، أنت الآن مرتبط بأميرة إيطالية، وأنت تعلم أن نصف إيطاليا مع عائلتها، والنصف الآخر مع الأمير الذي أراد الزواج منها، هذا الانقسام الذي نراه اليوم ليس مجرد مسألة عائلية، إنه زلزال سياسي، ويمكن أن يجرنا معه.

نهضت من مقعدها، واقتربت من النافذة الكبيرة المطلة على حديقة القصر، الغيوم الغيوم الداكنة تراكم، وكأنها ترمّز إلى المشاكل التي تتکاثر في ذهن مراد.

كوسيم: زيارتهم لم تكن مجرد تقديم هدية، هم يريدون شيئاً أكبر.

يريدون أن يضعوك في مواجهة مباشرة مع الماضي، ومع قراراتك، أنت تعلم أن ارتباطك بفاريّا سيجلب لنا المتاعب، وربما سيجعلنا نخسر تحالفاتنا مع الأطراف التي نحتاج إليها الآن.

صمتت للحظة، ثم نظرت إلى مراد
نظرة حادة.

كوسيم: مراد، السياسة لا تتعلق بالقلب أو بالحب، إنها
لعبة شطرنج، كل قطعة تتحرك بحذر، وكل خطوة تحسب
بعناء، وإن أخطأت، فقد تخسر العرش ذاته.

أجابها مراد بصوت مشدود، يعكس إصراره.
مراد: أعلم كل ذلك يا أمي، لكنني لن أترك فارييا للذئاب، أنا
السلطان، وأنا من يقرر كيف تدار الأمور، لن أسمح لأحد
بأن يتحكم بمصيري أو مصيرها.

هتفت وهي تدور حوله بنظرة ثاقبة.
كوسيم: أنت سلطان، نعم، ولكنك لا تستطيع إلغاء
الحقائق، ارتباطك بفاريا يجعلنا ضعفاء أمام خصومنا، لقد
انقسمت إيطاليا، والعالم كله يراقب، كيف ستوازن بين
هذه التحالفات، وكيف ستواجه الأعداء الذين يريدون
إسقاطك؟

رد مراد بصوت أكثر هدوءاً، لكنه لم يخف عناداً.
مراد: لقد أخطأ في قرارات سابقة، لكنني لن أتراجع الآن،
فاريا جزء من حياتي، ولن أسمح لأي أحد باستخدامها
كورقة ضغط ضدي.

في تلك اللحظة، اقتربت كوسيم منه، نظرتها حادة وصوتها
يتسم بالحكمة القديمة، تلك التي لا تقبل النقاش.

وضعت يدها على كتفه وقالت له
بلهجة مهيبة.

كوسيم: لهذا السبب، يابني، تماماً... قوانين أجدادك منعت زواج السلطان من غير المسلمات، لم تكن مجرد تقاليد. كانت درعاً يحمي العرش من الفوضى التي تأتي معها.

ثم ابتعدت عنه ببطء، تاركة مراد غارقاً في صراع داخلي، بين ولائه للحب الذي يكتنفه لفاريا، ووعيه الكامل بالتبعات السياسية التي قد تكون أشد خطراً مما يمكن أن يتوقع.

كانت الليلة إحدى الليالي المظلمة على إسطنبول، حيث ارتفعت أصوات الرياح خلف جدران القصر، جلس السلطان مراد في جناحه الخاص، يفكر في الأحداث التي تمواج من حوله، والجو كان مشحوناً، وكأن غيمة سوداء تظلل أجواء العاصمة العثمانية.

في الزاوية قرب الطاولة، وقف ذو الفقار باشا، الصدر الأعظم، عيناه تحدقان في وجه السلطان الذي بدا وكأنه يحمل أثقال العالم على كتفيه.

بصوت خافت مشوب بالتفكير العميق غمغم مراد قائلاً. مراد: هل سمعت عن تلك الأقاويل، يا ذو الفقار؟ الناس في العاصمة يتحدثون عن صولجان، وكأنه مفتاح قوتي. يُقال إن طلاسم عثمان الأول محفورة فيه.

تقدّم ذو الفقار بخطوات بطيئة
نحو السلطان، لكنه حافظ على هدوئه
المعروف، رجل السياسة والمكائد الذي لطالما كان يعرف
كيف يلعب أوراقه في أوقات الأزمات.

أجابه ذو الفقار بصوت واثق.
ذو الفقار: نعم، سمعت، الشائعات تنتشر كالنار في
الهشيم، يا مولاي، أعداؤك يحاولون تشويب سمعتك، زرع
الفتن بين العامة، وربما حتى بين خواصك.

رفع مراد الصولجان الذي كان موضوعاً بجانبه على الطاولة
المزخرفة، تلمع عيون مراد وهو يتأمل الأداة التي ترافقه في
كل معاركه وانتصاراته، أداة لطالما حملها بفخر، والآن صارت
محور الشائعات.

وبصوت يغلب عليه التوتر صرخ قائلاً.
مراد: كيف يمكن أن يصدق الناس مثل هذه الخرافات؟ هل
أصبح حكم السلطان العثماني قائماً على سحر أو تعويذة؟

ابتسم ذو الفقار، ابتسامة عارف بالحياة السياسية، واقترب
أكثر، ثم تحدث بنبرة هادئة.

ذو الفقار: يا مولاي، الناس يصدقون ما يخافون،
والشائعات، إذا ما رُوّجت بذكاء، قد تتحول إلى حقيقة في
عقول العامة، من يروج لهذا يعلم جيداً ما يفعله، يريدون
تقويض حكمك من الداخل، بزرع الشكوك حول سلطتك.

مراد هز رأسه، وهو يغرق في التفكير، ثم وضع الصولجان جانبًا، وكأنه يتخلى عن التفكير فيما يشاع حوله للحظة.

كان يدرك أن هناك مؤامرة أعمق تحاك ضده، مؤامرة ليست فقط في البلط أو في القصر، بل تمتد إلى الشوارع والأزقة، بين الناس الذين يجب أن يكونوا داعمين له.

وبصوت مشحون بالغضب المكتوم هتف محتد. مراد: يجب أن نكشف من يقف وراء هذه الشائعات، يا ذو الفقار، لا أريد أن أجده نفسي محاصراً بأكاذيبهم.

أومأ ذو الفقار بثقة قائل مؤكداً. ذو الفقار: سأتحرى الأمر، يا مولاي. لا تقلق، سنتعامل مع هؤلاء المتآمرين، ولن ندع هذه الأقويل تضعف حكمك.

وبعدما انتهى مراد من نقاشه وإصدار توجيهه لذو الفقار أشار بطرف أصبعه معلنًّا أنتهاء جلستهم، و بعد خروج ذو الفقار، ظل مراد واقفاً في جناحه، أفكاره تتصارع في رأسه.

كل شيء من حوله بدأ يشبهه معركة، معركة لا يراها الناس، لكنها تتغلغل في القلوب والعقول.

وبصوت خافت مملوء بالقلق تسأله.
فاريا: ما الذي يحدث يا مراد؟ لماذا يبدو كل شيء
مقلقاً؟ أشعر أن هناك خطراً يقترب منا.

اقترب مراد منها ببطء، وحاول أن يظهر لها القوة التي
يعرف أنها تحتاجها منه، تلك القوة التي تحتمي بها في
أوقات المحن، وضع يده بلطف على كتفها، محاولاً
تهدئتها، رغم أن قلبه كان مليئاً بالقلق ذاته.

وبصوت هادئ، لكنه عميق همس.
مراد: هناك من يريدون زعزعة حكمنا، يشعلون النار في
الظلام ويأملون أن تأكلنا، لكنني لن أدعهم يمسونا، يا
فاريا، سأحميك وأحمي العرش.

نظرت إليه فاريا، وفي عينيها مزيج من الخوف
والحب، كانت تدرك أن العالم من حولهما قد أصبح أكثر
تعييداً وخطراً مما كانت تتصور، وأن وجودها بجانب مراد
قد يكون سبباً آخر في هذا الصراع.

بصوت متعدد همس.
فاريا: أنا خائفة، مراد، ليس فقط مما ي قوله الناس، بل
من المجهول الذي ينتظرنـا.

اقترب مراد منها أكثر، ولف ذراعه
حولها، جاذبًا إياها إليه برفق، وكأنه يريد أن يحميها
من كل شيء حتى نفسها.

ثم همس لها بصوت مفعم بالحنان.
مراد: أعلم، لكنك لست وحدك، طالما أنتي هنا، لن أسمح
لأي شيء بأن يؤذيك.
نحن معاً، يا فاريا.

لحظة صمتت فيها الكلمات، وبقيت المشاعر
تتحدث، كانا معاً في خضم بحر متلاطم من التحديات،
لكنهما وجدا في حضن بعضهما ملاداً هارباً، على الأقل لهذه
اللحظة العابرة.

تابع الهمس وهو يمسح شعرها برفق.
مراد: أنتِ النور الذي يضيء حياتي، وسأظل بجانبك حتى
النهاية، لا تخافي، نحن أقوى معاً.

اختتمت اللحظة بنظرة عميقة بينهما، بين الخوف والحب،
بين التحدي والولاء، في حين أن الرياح خارج الجدران
استمرت في الهبوب، تماماً كما استمر الصراع الذي لا
يعرف له نهاية في عالم القصر والعاصمة.

و بينما كان مراد يتحدث إلى فاريا همساً، شعرت أن صوته
يأخذها بعيداً عن كل ما يحيط بهما من مؤامرات وهموم.
كانت كلماته كالسحر، تلامس قلبها المرهق، وتعيد إليها
طمأنينة كانت تظن أنها فقدتها.

شعر مراد بارتخاء جسدها بين ذراعيه
وأستشعر دفء أنفاسها وهي تتردد على صدره، تلك
الأنفاس التي حملت معه إحساساً بالطمأنينة لم يعهد
من قبل، في عالم مليء بالصراعات.

كانت تلك اللحظة بمثابة ملاد هادئ لا يعرفه إلا بين
ذراعيها وبحنان فائق حملها برفق، وخطواته الهدئة
والخفيفة، كما لو كان يخشى أن يوقظ أحلامها الجميلة.

وضعها على الفراش برفق، ووقف لبرهة ينظر إليها، يتأمل
وجوها المستكين، وكأنها أثمن ما يملكه في هذا العالم.

تقدّم نحو الشموع التي كانت تنير أرجاء الجناح، وبدأ
 بإطفائها واحدة تلو الأخرى، تاركاً وراءه ظلاماً هادئاً تخلله
 أصوات خافتة من الخارج.

ثم عاد إلى فراشها، مدّ ذراعيه ليحتضنها مرة أخرى، يشعر
بنبضات قلبها وهي تتوافق مع نبضات قلبه، وكأنهما
يتحدان معاً في لحظة أبدية.

كانت تلك اللحظات تمثل لهما الهروب الوحيد من كل ما
يحاك في الخفاء، من المؤامرات التي تترصد خطواتهما،
ومن الفتنة التي تترخيص بهما.

في تلك اللحظة، ومع كل نفس يأخذانه معاً، تلاشت أزمات العالم من حولهما. همس لها برقة، وكأنه يطمئن نفسه بقدر ما يطمئنها "لن أتركك أبداً. سنواجه كل شيء معاً."

و قبل أن تغفو عيناه، أعاد خصلة من شعرها خلف أذنها برفق، واحتضنها وكأنها هي الأمان الوحيد الذي يحتاجه في حياته المليئة بالتحديات.

وأخيراً، استسلم للنوم بجانبها، يغمرهما الهدوء والسكون، وكأنهما في عالم خاص بهما، بعيد عن كل المؤامرات والعواصف التي تنتظر عند أعتاب القصر.

وفي ظلام الليل، كانت تلك اللحظات الرقيقة هي النور الوحيد الذي يحميهما من العواصف المقبلة، والطمأنينة التي تعصمهما من كل ما قد يأتي...

كانت فاريا تجلس في زاوية من
الحرملك، حيث تسلل ضوء الصباح البارد من النوافذ،
عاكسا شعاعا باهتا على الرخام البارد، جسدها كان ساكنا،
لكنها في الداخل كانت تحترق.

منذ أن تم تجاهلها من الجواري والحاشية بأمر كوسيم،
أصبحت فاريا تشعر بأن هذه الجدران الذهبية تتقلص
عليها شيئا فشيئا، وكأن القصر الذي كان يوما
ما ملادا لها، بات الآن سجنا خانقا؛ كل حركة وكل همسة
في الحرملك كانت تشعرها بأنها دخيلة، غريبة، وأن لا أحد
هنا يقبل بها.

جلست وصيفتها ليلي بجانيها، وتشاهدها وهي عينها
تتابع الجواري من بعيد بقلق واضح.

قالت ليلي بصوت هادئ، لكنها حذر، وكأنها تخشى أن
يسمعها أحد.

ليلى: الجواري لا يتحدثن إلا بأمر من السلطانة الأم
كوسيم.

ردت فاريا بصوت متعب، عينانها الزمردتين الغارقتين في
الحزن كانتا تتأملان مشهد الحرملك حولها.
فاريا: أعلم يا ليلي... لكن ما لا أفهمه هو لماذا؟ ماذا فعلت
لأستحق هذا الكره منهن.

كانت كلماتها تحمل في طياتها ألمًا عميقاً، شعوراً بالعزلة وبالغدر الذي لم تكن مستعدة له.

لم ترد ليلي، لكن عيناهما حملتا الكثير من التعاطف والخوف، لم تكن تجرؤ على قول ما تفكّر فيه؛ في هذا القصر، يمكن للكلمات أن تُحول العالم رأساً على عقب.

في تلك اللحظة، قطع صمت المكان بدخول عائشة، جارية السلطان وأم ولي العهد حسن برفقة وصيفتها وبضع خادمات.

كانت خطواتها تحمل في طياتها عنفواناً خفياً، وعيناهما تُظهران بوضوح كل ما بداخلها من مشاعر مكبوتة.

توقفت عائشة أمام فاريا، ولم تخف احتقارها. نطقت عائشة بلهجة جافة، وكأن وجود فاريا كان إهانة بحد ذاته.

عائشة: أنت هنا، فاريا؟ حسبتك لن تغادري جناحك الحصين أبداً وتنزلي لساحة الحرملك!

فاريا رفعت رأسها، وتلاقت عيناهما بعيني عائشة، كانت تتوقع التهكم، لكنها لم تكن مستعدة لهذه العداوة المباشرة. تسألت بصوت حاول أن يكون هادئاً، رغم شعورها بالضعف.

فاريا: عائشة... لماذا هذا العداء؟

قالت عائشة وهي تبتسم ابتسامة
باردة، ثم اقتربت خطوة أخرى.

عائشة: عداء؟ هذا ليس عداء، فاريما، هذا واقع، نحن لسنا
متساوين هنا، مهما حاولت أن تظاهري بالعكس.

لكن قبل أن يتصاعد الحوار، دخلت مشرفة الحرملك،
السيدة "خديجة"، امرأة صارمة تحمل على وجهها ملامح
منضبطة لكن قاسية.

نظرت إلى عائشة ببرود، ثم قالت بصوت مسموع للجميع
خديجة: عائشة! يبدو أنك نسيت مكانتك، فاريما هي زوجة
السلطان، وأنت جارية، هيما اجثي على ركبتيك واعتذردي
منها بدلا من أجبر على أخبار السلطان بما حدث.

لم يكن لعائشة خيار. وفي لحظة من الصراع الداخلي،
وجدت نفسها تنهني ببطء نحو الأرض، تقبل طرف فستان
فاريما وهي تتجزع ذلما لم تشعر به منذ سنوات، لكن حتى
في هذا الإذلال، كانت عيناهما تلمعان بالغضب.

فاريما، التي كانت مشدوهة مما يحدث، شعرت بشيء من
الانكسار في قلبها، لم تكن تخيل أن قوانين الحرملك
يمكن أن تكون قاسية بهذا الشكل.

قالت فاريما بصوت مضطرب وهي تنهني لترفعها عن
الارض محاولة التخفيف من حدة الموقف.
فاريما: قفي، عائشة..

لكن عائشة وقفت بحركة مفاجئة، وابتسمة
مريرة تعلو وجهها.

قالت وهي تضحك بمرارة.

عائشة: قفي؟!، فاريما، نحن لسنا صديقات، أنت سرقتِ
مكانتي، المكان الذي كنتُ أسعى إليه لسنوات، الآن أنا
بسببكِ لست السلطانة الزوجة، بل مجرد منجبة منحت
السلطانولي عهده، لا تظني أنتي سأغفر لكِ هذا أبداً.

ثم أدارت ظهرها وغادرت الغرفة بخطوات سريعة وتبعتها
وصفيتها تاركين فاريما في صدمة من العواطف المختلطة.
شعرت بأن الحقد الذي رأته في عيني عائشة لم يكن مجرد
حقد امرأة على امرأة أخرى، بل كان جزءاً من معركة أكبر،
معركة لا مكان فيها للضعف.

ليلي اقتربت من سيدتها، وقالت بصوت منخفض.
ليلي: هذا هو القانون هنا يا مولاتي، لا أحد يستطيع
تجاوزه.

أومأت فاريما برأسها، لكنها لم تشعر بالراحة، كان القصر
يموج بالمؤامرات، وكل يوم يزداد عليها الخناق.

ربما كان هذا التهميش جزءاً من خطة أكبر، خطة تهدف
إلى إقصائها عن حياتها الجديدة، وحياة مراد، ومع كل
لحظة، كانت تشعر بأن هذا العالم المليء بالقوانين
الصارمة يتآمر ليبتلعها.

في نهار جمعة مشمس وهادئ، كان القصر العثماني يغرق في أجواء من البهجة والمرح، في حديقة الحرملك، وقف السلطان مراد، متأنهياً بالسيف في يده، يتبارز مع ابنه الأمير حسن، والسلطانة كايا التي أظهرت مهارات مذهلة في المبارزة، رغم صغر سنها.

كانت الضحكات تتعالى كلما تفوق الصغار على والدهم، وكان مراد يشاركهم المرح برغم خسارته الواضحة، وجهه كان مشرقاً، عاكساً سعادة نادرة يستمدّها من هذه اللحظات العائلية.

جلست فاريا على مقعد وثير إلى جانب وصيفتها ليلي، تتبع المشهد بابتسامة عريضة، وقد ارتسّت الفرحة على وجهها.

كانت ترى في مراد وجهاً لم تألفه من قبل، وجه الأب المحب الذي يمزح ويلعب مع أطفاله في أجواء خالية من التوتر والمؤامرات.

قالت فاريا وهي تتحدث إلى ليلي: انظري إليهم، كايا تتحرك كأنها ولدت وفي يدها سيف، لا أصدق أنها ما زالت صغيرة وتنعم بهذه القوة والمهارة.

ليلي ابتسمت بخفة، لكنها كانت تشعر ببعض القلق غير المعلن، إذ أن هذه الأوقات السعيدة في القصر كانت غالباً ما تُعقبها اضطرابات.

بعد انتهاء التمرين، جلس الأمير حسن، منهكاً
لكن منتصراً، بينما ركضت كايا نحو فاريا
بفرح، وسيفها الصغير لا يزال يتدلّى من يدها.

تسألت بحماس.

كايا: فاريا، هل رأيتني؟ ، سأصبح الأفضل في المبارزة!

فاريا ابتسمت وأشادت بها.

فاريا: أنت رائعة، يا كايا، لم أكن أتوقع أن تبرعي في شيء
كهذا، مهارتك بالسيف مذهلة.

ابتسم مراد وهو يتقدم نحوهم، وملامح الفخر تعلو وجهه.

مراد: هذا جزء من تعليمينا الدينية تعليم ركوب الخيل
والمبارزة بالسيف والسباحة هو سنة نبوية يتعلمها الصغار
في هذه الديار، نحرص على أن يكونوا جاهزين لأي شيء.

نظرت فاريا إليه بدهشة واهتمام، متعجبة من المزج بين
التقاليد والقوة.

فاريا: ذا مثير للاهتمام، لم أكن أعرف ذلك!..

تدخلت كايا بابتسامة خبيثة وهي تتوجه نحو والدها.

كايا: أبي، لما لا تُعلم فاريا المبارزة أيضاً؟ أريد أن أواجهها
في المرة القادمة!

ضاقت عينا مراد بخفة وهو ينظر إلى فاريا ثم إلى
كايا، بدا كأن الفكرة راقت له، لكنه تردد لوهلة.
قال مازحاً.

مراد: فاريا؟ سيدة السيف؟

ضحكت فاريا وقالت بثقة مصطنعة.
فاريا: لم لا؟ إن كنتِ تظنين أنني سأكون خصمًا سهلاً، يا
سلطانة كايا، فأنتِ مخطئة.

ضحك الجميع، لكن في تلك اللحظة أشار مراد بيده إلى
أحد الحراس واقترب منه، محدقاً في فاريا بجدية مفاجئة.
مراد: للأسف، لدى مشاغل كثيرة بالديوان، لكن، سأكلف
الاغا سليم بهذه المهمة، إنه من أمهر المدربين في القصر.

فاريا نظرت إلى مراد بعينين مليئتين بالثقة، بينما كان كايا
تهز رأسها بحماس.

كايا: سأهزمك في المرة القادمة، فاريا، كوني مستعدة.

في هذه اللحظة، تسرب شعور غريب إلى فاريا، شعور
بالقلق لم تستطع تفسيره، كان هناك شيء في عيني الاغا
سليم حينما خطى إلى الأمام واستلم المهمة لم يُطمئنها.

لكنه كان شعوراً غامضاً، سريع الزوال، وسط ضحكات
العائلة والأجواء المرحة.

في الأيام التالية، بدأت التدريبات في حديقة الحرملك، وسط أجواء مبهجة، كانت فاريا تتدرب تحت إشراف الآغا سليم، يوجهها بحركات متقدمة، بينما كايا تراقب من بعيد، تتطلع إلى مبارزة مع فاريا بفارغ الصبر.

كانت ضربات السيف تُسمع بوضوح وسط هدوء الحديقة، وفاريا تبذل جهداً كبيراً لتعلم الحركات الصحيحة، كانت تشعر باندفاع داخلي لإتقان المبارزة، ليس فقط لمواجهة كايا، بل لتشعر بالقوة في هذا المكان الذي دائمًا ما يجعلها تشعر بالضعف.

قال الآغا سليم وهو يتقدم نحوها ليりها كيفية التحكم بالسيف بشكل أفضل.

سليم: جيدة جدًا، مولاتي لكن عليك أن تثقي أكثر في ضرباتك، وتكون دافعية

ليلي، التي كانت تراقب التدريب من بعيد، لم تستطع إخفاء قلقها، كانت تشعر بأن شيئاً غير طبيعي يجري، لكنها لم تكن تعرف بالضبط ما هو.

وبينما كان الآغا سليم يدفع فاريا للمزيد من الحركات، بدا وكأنه يدفعها نحو فخ مجهول.

ووجأة، وبدون سابق إنذار، انقض الآغا
سليم بحركة سريعة.

في تلك اللحظة، لم يكن هناك شك في أن الهجوم كان
متعمداً.

السيف اخترق ذراع فاريا، وجعلها تسقط إلى الوراء وهي
تصرخ من الألم.

الحديقة تحولت إلى فوضى، كايا جمدت في مكانها، غير
قادرة على استيعاب ما حصل، بينما ليلي ركضت نحو
مولاتها ، تصرخ بفزع، الدم كان يسيل من ذراع فاريا،
مشهد جعل الجميع يشعر بالرعب.

صرخت ليلي، وهي تحاول إيقاف النزيف بيديها
المرتعشتين.
ليلى: مولاتي، فاريا!!

همست فاريا بألم وهي تحملق في الآغا سليم بعيون
مرتعبة وتتنفس بصعوبة.
فاريا: كان... كان هذا متعمداً..."

بينما وصيفة كايا ركضت نحو السلطانة الصغيرة، محاولة
تهديتها بينما كانت كايا ترتعش من الصدمة والخوف.
صرخت كايا بصوت غاضب.
كايا: سليم، كيف تجرؤ؟!.

لكن الأغا سليم لم يتحرك، وجهه كان خالياً
من أي تعبير، وكأن ما حدث كان مجرد جزء من الخطة،
سحبت السلطانة كايا سيفها ووضعته على عنق الأغا
سليم وأشارت لبقية الحرس لتقيده

لم يطل الأمر حتى وصل الخبر إلى جناح السلطان مراد،
الذي كان يجلس في مكتبه، انفجر بالغضب عندما علم بما
حدث.

هرع إلى الحديقة وهو يصرخ على الأغا سليم الذي أمر
فوراً بإحضاره وتقديمه للمحاكمة، وأصدر تعليماته بنقل
فاريا إلى جناحه الخاص.

في جناح السلطان، كانت الأجواء متواترة، مراد لم يكن
يهذاً، كان يقف عند سرير فاريا، يتأمل وجهها الشاحب
وذراعها المجرد، والشعور بالعجز يلتف حوله.

كيف لم يستطع حمايتها بين أركان بيته؟ كان يشعر بأن
هناك قوى أكبر من قدرته تتحرك في الظل، وأن
المؤامرات بدأت تحيط به من كل جانب.

همس مراد وهو يجلس بجانب فاريا، ممسكاً بيدها برفق.
مراد: أنا آسف، لقد كان عليّ أن أكون أكثر حذراً.

كانت فاريا شاحبة، لكن عينيها المملوءتين
بالمُلُم التقتا بعينيه.

فاريا: أنت لست المسؤول عن هذا مرادي... هناك من
يريد أن يؤذيني، وأن يؤذيك من خلالي.

كانت كلماتها متقطعة لكنها تحمل ثقل الحقيقة المرة.
في تلك اللحظة، اقتربت ليلى بهدوء من الغرفة، وشاهدت
مولاتها في هذا الوضع الحرج، كان قلبها مليئاً بالحزن
والقلق.

لقد أدركت أن هذا الجرح لم يكن جسدياً فقط، بل
كان جزءاً من لعبة أكبر تُحاك في هذا القصر المليء
بالأسرار والمكائد.

وقف مراد، وجهه مشدود بالغضب والقلق.
مراد: لن أسمح لأحد بأن يمسك بسوء مجدداً فاريا،
سأحميك حتى لو اضطررت إلى تدمير كل من يقف في
طريقي أقسم لك بذلك.

لكن في أعماق قلبه، كان يعلم أن المعركة الحقيقية لم تبدأ
بعد، وأن الحادثة هذه لم تكن سوى بداية لحرب قادمة بينه
وبين قوى خفية تتأمر لإسقاط حكمه والسيطرة على
مصيره.

كان الليل قد أسدل ستاره على جناح السلطان
مراد، حيث كانت الشموع المضيئة تلقي بظلالها على
جدران الحجر المزخرفة.

فاريا كانت تستلقي على سريرها، ما زالت متألمة من
إصابتها الأخيرة، وعيناها تتأمل السقف العالي بينما
يغمرها الحزن.

بجانبها، كان مراد يجلس صامتاً، عيناه تتنقلان بين وجه
فاريا المضطرب وبين النار التي ترقص في المدفأة، لم
يغادرها منذ الحادثة، وكانت تشعر بحمايته كما لو أنه
الحصن الوحيد الذي يقيها من المؤامرات التي تحيط بها.

بينما كانت الأجواء هادئة، دخل الآغا أردخان بخطوات
حذرة، مستأذناً بلطف
أردخان: مولاي، الصدر الأعظم ذو الفقار يطلب إذنكم
ليبلغك أمراً هاماً.

التفت مراد بنظرة حادة، شعرت فاريا بتتوتر في الهواء، أومأ
مراد برأسه بصمت ليدخل ذو الفقار.

بعدما دخل الصدر الأعظم بخطوات واثقة، وجهه كان
مشدوداً، مما أضفى جواً من الجدية على اللقاء، وقف ذو
الفارس أمام السلطان وانحنى قليلاً، ثم بدأ حديثه بصوت
خفيف.

ذو الفقار: مولاي السلطان، وصلت أخبار من إيطاليا، عائلة فاريا، حكام الشق الذي عاصمتها البندقية، قرروا قطع العلاقات الاقتصادية مع السلطنة... وقد أرسلوا تحذيرًا بأن هذه الخطوة ليست إلا البداية.

ارتجم قلب فاريا مع سمع تلك الكلمات، شعرت بأن الخطر الذي حذرها والدها منه قد أصبح حقيقة، تذكرت الماضي، تذكرت كيف كانت عائلتها دومًا حذرة من التحالفات خارج إيطاليا،وها هو الخطر الآن يتجلى أمامها، ليس فقط كنزاع سياسي، بل كحرب قد تكون عائلتها هي ضحيتها.

مراد ظل صامتاً للحظة، عيناه تتأملان في الفراغ، كأنه يحاول استيعاب حجم الموقف، ثم رفع بصره نحو ذو الفقار وقال بهدوء مشوب بالغضب المكبوت

مراد: هل هناك تفاصيل أخرى؟

أجاب ذو الفقار بحذر.

ذو الفقار: لقد تلقينا رسالة تحذير، يا مولاي، تشير إلى أن عواقب أخرى تتبع هذه الخطوة إذا لم تتم معالجة الوضع بسرعة.

نظرت فاريا نحو مراد، خوفها لم يكن فقط من الخطر السياسي، بل من الصراع الداخلي الذي قد يسببه هذا الموقف لمراد.

همست بصوت مرتعش
فاريا: مراد... عائلتي ليست هكذا، هذا قرار فردي... يجب أن
نكون حذرين.

اقترب منها مراد ، ثم أمسك بيدها برفق وقال.
مراد: لن أسمح لأي شخص بأن يضيعك في هذا الموقف،
مهما كان الثمن، سأحميك.

كانت كلماته كالدرع الذي يغطيها من أي تهديد.
بإيماءة من مراد، غادر ذو الفقار والآغا أرداخان، لتركيا
السلطان وفاريا وحدهما، في تلك اللحظة، شعرت فاريا بأن
العالم بأسره يتداعى حولها، وأن الحب الذي يربطها بمراد
بات يقف على حافة حرب تهدد كل شيء.

بينما كان مراد يتأمل وجهها الحزين، مال نحوها وقال برقة.
مراد: فاريا، سنمر من هذه العاصفة معاً، لا شيء سيوقفنا.

في تلك اللحظة، لم تكن الكلمات كافية لتهذئة
ما بداخلها، لكنها شعرت بالأمان بين يديه، رغم
أن الصراع السياسي كان يتفاقم.
كان الظلم يحيط بهما، لكن نور الحب الذي
يجمعهما كان الضوء الوحيد في هذا الليل
الطويل.

في الأيام الأخيرة، كانت فاريا تعاني بصمتٍ شديد، جسدها لم يعد يتجاوب مع رغبتها في الأكل، فقدت شهيّة الطعام بالكامل، مكتفيّة ببعض قطراتٍ من الماء.

كانت تتجنب الحديث عن آلامها، معتقدةً أن التوتر من الأحداث الأخيرة هو السبب، لكن الثقل في معدتها والدوار الذي يسيطر عليها في كل لحظة كانا يسللان إلى عمقها كأن شيئاً أكبر ترصدها.

مراد لاحظ تدهور حالتها بصمت، عيناه تراقبان في قلق، لكنه لم يجرؤ على مواجهتها بالحديث.

كانت تستيقظ في الليل بعرقٍ بارد يغطي جبينها، وتعجز عن البقاء في السرير، كلما حاولت الوقوف أو السير، كانت تشعر بالدوار يسيطر على رأسها، والقلق ينهش داخلها.

بينما ليلي، وصيفتها الوفية، تلاحظ تلك التغييرات بصبرٍ متحفظ، تحاول أن تشجعها على تناول الطعام. قالت بصوت هادئ وهي تقدم لها طبقاً من الفاكهة. ليلي: مولاتي، عليكِ أن تأكلين شيئاً.

لكن فاريا هزت رأسها برفق، همسَت بنبرة متعبة. فاريا: لا أستطيع، ليلي... معدتي لم تعد تحتمل أي شيء.

مراد، الذي كان يجلس بجانبها، عينيه تتابعونها بقلق صامت ملاحظ حالة فاريا المتدهورة، لكن لم يكن ي يريد أن يزيد عليها العباء بحديثه، مكتفيًا بمراقبتها عن كثب، بينما تعترىه الحيرة، شعر بالعجز أمام معاناتها.

فاريا التي بدت ضعيفة أكثر من أي وقت مضى وفي إحدى الأمسيات الباردة، بينما كانت تقف في شرفة جناح السلطان، تتأمل البحر المتلائئ تحت ضوء القمر، شعرت فجأة بدوار شديد.

قبل أن تستطع الصمود، أحسست بالأرض تلتف تحت قدميها، جسدها النحيل يهوي ببطء نحو الأرض.

صرخ مراد وهو يهرع نحوها، محاولاً الإمساك بها قبل أن ترتطم بالأرض، حملها بذراعين متواترين، وصرخ بنبرة مشوبة بالغضب والخوف.
مراد: ليلي! ليلي، تعالى بسرعة!.

هرعت ليلي إلى الجناح، عيناهَا متسعتان رعيًا عندما رأت سيدتها مغشية عليها بين ذراعي السلطان.
ليلى: مولاي! ماذا حدث؟.

تسألت وهي تضع يدها على جبين فاريا، تحاول أن تشعر إن كانت حرارة جسدها مرتفعة.

مراد: أحضري الطبيبة القصر، الآن!
أمر مراد، وصوته كان يشي بمزيج من الغضب والتوتر.

ركضت ليلى لتحضير الطبيبة، بينما وضع مراد فاريما بلطفي على السرير، وعيناه تراقبان في قلق شديد، أخذ يهمس باسمها، يحاول إيقاظها، لكن جسدها لم يستجب.

وصلت الطبيبة برفقة خديجة، مشرفة الحرملك، كانت الغرفة مشحونة بالتوتر.

مراد لم يغادر جانب فاريما، وجهه شاحب من القلق، جلست الطبيبة إلى جانب السرير، بدأت تفحص فاريما بدقة، بينما مراد يقف بجانبها، عيناه تتبعان كل حركة من الطبيبة، ينتظر ما ستقوله بفارغ الصبر.

"مولاي..."

بدأت الطبيبة ببطء وهي تنظر إلى مراد، تتوقف للحظات وكأنها تتردد في قول الحقيقة، "سيدتي فاريما ليست مريضة فقط. هناك سبب آخر لهذا الضعف."

تجمدت ملامح مراد، وسأل بلهفة
مراد: ماذا تعني؟

أخذت الطبيبة نفسا عميقا، ثم قالت.
"مولاي، مولاتي فاريما حامل، وهي في شهرها الرابع."

عَمَّ الصَّمْتُ الْجَنَاحُ، كَأَنَّ الْوَقْتَ تَوْقَفَ، مَرَادٌ
لَمْ يُسْتَطِعْ اسْتِيَاعَ مَا سَمِعَهُ فِي
الْبَدَائِيَّةِ، عَيْنِيهِ اتَّسَعَتْ بِصَدْمَةٍ وَاضْحَىَّهُ.
هَمْسٌ، غَيْرُ مُصْدَقٍ لِلْخَبْرِ.
مَرَادٌ: مَاذَا؟

فَارِيَا الَّتِي بَدَأَتْ تَسْتَعِيدُ وَعِيَاهَا بِبَطْءٍ، سَمِعَتْ الْخَبْرَ وَكَأَنَّهُ
حَلْمٌ بَعِيدٌ، هَمْسٌ وَهِيَ تُشَعِّرُ بِالْفَضْلَعِ يُسْيِطُرُ عَلَيْهَا:
فَارِيَا: حَامِلٌ؟

"نَعَمْ، مَوْلَاتِي،"
أَجَابَتِ الطَّبِيَّةُ بِلَطْفٍ وَأَبْتِسَامَةٍ تَغْمُرُ ثَغْرَهَا.
"أَنْتِ تَحْمِلِينَ طَفْلَكُمْ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ."

وَضَعَتْ فَارِيَا يَدِهَا الْمَرْتَجَفَةُ عَلَى بَطْنِهَا، وَنَظَرَاتُهَا مَلِيَّةٌ
بِالْحِيرَةِ وَالْدَّهْشَةِ، كَيْفَ لَمْ تَعْرِفْ؟ كَيْفَ لِشَيْءٍ بِهَذَا الْحَجْمِ
أَنْ يَمْرُّ دُونَ أَنْ تَدْرِكَهُ؟

بَدَأَتْ دَمَوْعَهَا انْهَمِرَتْ بِبَطْءٍ، مَشَاعِرُهَا تَمْوِيجٌ بَيْنَ الْفَرَحِ
وَالْخُوفِ وَالْأَرْتِبَاكِ بَيْنَمَا مَرَادٌ، الَّذِي لَمْ يَفَارِقْهَا، اقْتَرَبَ
وَوَضَعَ يَدَهُ بِحَنَانٍ عَلَى بَطْنِهَا، نَظَرَاتُهُ مَلُؤُهَا الْعَاطِفَةُ
وَالْدَّهْشَةُ
مَرَادٌ: فَارِيَا، أَنْتِ تَحْمِلِينَ طَفْلِيِّي.

كَانَتْ كَلْمَاتُهُ نَاعِمَّةً، لَكِنَّهَا مَحْمَلَةٌ بِمَعْنَىٰ عَمِيقَةٍ، وَكَأَنَّهَا
وَعُودٌ بِالْمُسْتَقْبَلِ.

انفجرت فاريا بالبكاء، مشاعرها المختلطة
غمرت كل زاوية في جسدها. بين الفرح
والقلق، عرفتأن هذا الحمل سيغير كل شيء في حياتها
ثم عمرها مراد بعناق حاني ودافئ.

كانت خديجة تراقب المشهد، ثم تقدمت بخطواتٍ ثابتة،
همست بنبرة هادئة ولكن حازمة.

خديجة: مولاي، مولاتي فاريا هذا الحمل سيغير موازين
القوة، الأمير حسن لن يقبل بسهولة أن يهدد
هذا الطفل مكانته كوريث للعرش.

كان مراد لا يزال يحتضن فاريا بحنان، رفع رأسه ثم قال
بلهجة حازمة.

مراد: لن أسمح لأحد أن يمسها أو يمس طفلي.

أختلطت الغرفة الواسعة مشحونة بالمشاعر بين الفرحة لا
توصف، الخوف من المستقبل، وتوتر يسبق العاصفة.

الجميع كان يعلم أن هذا الطفل سيكون بداية
لفصلٍ جديد في حياة الجميع، وربما بداية
لتغييرات كبيرة في الإمبراطورية بأسرها...

الفصل الثان شظايا الربيع

في كنيسة آيا أيرين، حيث يسود الهدوء والصمت المهيب، تقف فاريا أمام تمثال المسيح المعلق على الصليب.

جدران الكنيسة العالية مزينة بالرموز المسيحية، وضوء الشموع الخافت يتراقص على الحيطان الحجرية، مضفيًا حالةً من الروحانية على المكان.

كانت فاريا ترتدي حجاباً عثمانيًا أنيقاً يغطي شعرها الأشقر، وتكتسى بجلباب بسيط من الحرير الأسود يلتف حول جسدها ب أناقة تخفي ما بداخلها من اضطراب، تقف هناك، وكأنها جسد غريب في زمن مختلف.

أمام المسيح المصلوب، تشعر بأن الروح تسكن جسدها المتعب، أغمضت عينيها ببطء، ويدها ترتفع إلى صدرها، تحضن آلامها وهمومها.

همست بالدعاء بلغتها الأم، خليط من الكلمات اللاتينية والإيطالية، تتوسل الحماية لطفلها، ولقوه تمنح مراد النصر على أعدائه، كلما ازداد صوت الدعاء في قلبها، شعرت بأنها تقترب من السلام، ولكن السلام كان بعيداً.

"يا رب، في هذا المكان المقدس، بين هذه الجدران، أحمل أمني الأخير، اجعل طفلي ينجو في هذا العالم المعقد. وامنح مراد القوة ليقاوم، ليحارب، وليفوز في معاركه... أعلم أنك تسمعني، حتى وإن كان قلبي ينبض في قصر يتبع دينًا آخر، لا يهمني الآن سوى الحماية. آمين."

انتهت من دعائها ورفعت رأسها، نظرت إلى المسيح المصلوب على الصليب، بينما الحجاب الذي يغطي رأسها، وتلك الرموز المسيحية التي تحملها روحها، شعرت بتناقض يشد أوتار قلبها.

فاريا، المرأة المسيحية التي وجدت نفسها في قلب الإمبراطورية العثمانية المسلمة، كانت تشعر أنها تعيش عبادةً مختلطةً؛ جسدها يكسوه زي عثماني، وروحها معلقة بعقيدتها القديمة، تلك المفارقة كانت تخلق أسئلة لا تجد إجابة في عقلها.

كيف يمكنها أن تجمع بين هذه الهوية المزدوجة؟ هل يمكن حقاً أن تعيش في سلام وهي تحت حماية رجل مسلم، بينما تحافظ على إيمانها المسيحي؟

بينما كانت الأفكار تزاحم في ذهنها، تملكتها رغبة عميقه في العودة إلى العالم الخارجي، إلى مراد الذي كان ينتظرها.

خرجت من الكنيسة ببطء، وكانت أقدامها تخطو على أرضية الرخام الباردة، عند الباب الخشبي الثقيل، وجدت مراد ينتظرها بجوار عربة الخيول الملكية.

كانت الشمس في الخارج مشرقة، ولكنها
باردة، تبعث بشعور خاص على بشرتها التي تلثمها
نسمات الخريف، عيناً مراد كانت تراقبها بحنان مختلط
بالقلق، لقد كان يرى في فاريَا شيئاً غامضاً، شيئاً لا يستطيع
أن يفهمه تماماً.

اقرب منها ببطء، مد يده نحوها وعائقها بحرارة، وكأن هذا
العناق وحده كفيل أن يزيل كل تلك المخاوف التي تسكن
قلبه وقلبها، احتضنها كما لو كان يريد حمايتها من كل
شيء، من العالم الخارجي حتى من أفكارها المتضاربة.

همس بالقرب من أذنها، صوته هادئ وحنون، يحمل ثقل
الأوضاع التي تحيط بهما، لكنه مليء بالعاطفة.
مراد: فاريَا... كنت أعلم أنك هنا، حيث تلجئين إلى ما يريح
قلبك، لكنني أريدك أن تعرفي أنني بجانبك، مهما حدث.

نظرت فاريَا في عينيه بابتسمة خفيفة، وكانت تشعر بأن
حضور مراد بجانبها يمنحها الأمان، ولو للحظات.
فاريَا: أنا هنا، يا مراد... كنت أصلي لأجلنا، لأجل طفلنا، أشعر
بثقل كل شيء، لكنني أعلم أنني لست وحيدة.

أخذ مراد يدها بلطف وقادها نحو العربة
مراد: لن تكوني وحدك أبداً، لدى مفاجأة لقد خصصت اليوم
لنك، سببتعد عن القصر قليلاً، نأخذ وقتاً لنا بعيداً عن عيون
الحاشية والجواري أعلم أنك تحتاجين إلى هذا الهدوء، ونحن
نحتاج إلى هذه اللحظات التي لا تتكرر.

ركبت فاريا بجانب مراد في العربية، وشعرت
بنسيم الهواء يلف وجهها بينما كانت العربية
تحرك ببطء خارج أسوار القصر.

كانت تلك اللحظة نادرة، لحظة خالية من المكائد والخوف
والضغوط التي يفرضها عليهم القصر، أطلق مراد الحصان
إلى طريق مليء بالأشجار العالية التي تظلل الطريق،
وكانت أوراقها الذهبية تساقط على الأرض مثل وعود
حياة جديدة.

مراد: فاريا، أنت تعلمين أننا نعيش في عالم متقلب، حيث
لا أحد يستطيع التنبؤ بما سيحدث غداً، لكنني أريدك أن
تعلم شيء واحداً، سأقاتل من أجلك، ومن أجل طفلنا،
حتى لو كانت كل الجيوش ضدي.

تأملت فاريا ملامح وجهه الصارمة، ولكن خلف تلك
الصرامة، كانت ترى الحب، والحنان الذي يحمله لها، لم
تكن تلك الرحلة فقط هروباً من عيون الناس، بل كانت
هروباً من أفكارهم المتشعبية، فرصة لذكر أنفسهم بأن
الحياة في الداخل، بينما، ما زالت قوية.

فاريا: أعلم، مراد... وأشعر بالقوة التي تمنحها لي، لكن في
بعض الأحيان، أشعر بأنني غريبة هنا؛ أنني أعيش بين
عوالم مختلفة؛ بين صلاتي وصلاتكم؛ بين من أكون ومن
يريدونني أن أكون.

مراد ابتسم وقال بصوت هادئ.
مراد: نحن جميعاً نعيش تلك التناقضات، فاريा القوة
ليست في التخلص منها، بل في تقبلها، أنت هنا لأنك
جزء من حياتي، سواء كنت مسيحية أو مسلمة، دينك لا
يهمني، ما يهمني هو أنك معنـي.

أثلجت تلك الكلمات قلب فاريـا و شعرت بطمأنـينة كانت
تفتقـدها في الأيام الأخيرة، فتحـت عينـيها على الطريق
الطـوـيل الذي يمتد أمامـهما، وهو محـاط بالأشـجار، وكـأنـه
يـوـحي بـمـسـتـقـبـلـ جـدـيدـ غـيرـ مـعـرـوفـ، ولـكـنهـ مليـءـ
بـالـاحـتمـالـاتـ.

كـانـتـ تـلـكـ الجـولـةـ بـيـنـ الطـبـيـعـةـ وـالـهـدوـءـ، بـعـيـدةـ عنـ صـخـبـ
الـقـصـرـ وـمـكـائـدـهـ، كـافـيـةـ لـتـعـيـدـ إـلـىـ قـلـبـهاـ بـعـضـ الرـاحـةـ، وـ
لـتـجـعـلـهاـ تـشـعـرـ بـأـنـ الـعـالـمـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ بـسـيـطـاـ، وـلـوـ
لـلـحـظـاتـ قـلـيلـةـ، قـبـلـ أـنـ تـعـودـ إـلـىـ مـعـارـكـهاـ معـ القـصـرـ وـالـعـالـمـ
الـذـيـ يـحـاـولـ أـنـ يـجـرـهـاـ بـعـيـدـاـ عـنـ نـفـسـهاـ.

في قـاعـةـ مـظـلـمـةـ مـضـاءـةـ بـبـضـعـ شـمـوـعـ خـافـتـةـ، كـانـتـ
الـسـلـطـانـةـ كـوـسـيـمـ تـجـلـسـ عـلـىـ كـرـسـيـ فـاـخـرـ مـحـاطـ بـأـثـاثـ
فـخـمـ يـلـيقـ بـمـقـامـهـاـ، الـجـوـ فـيـ القـاعـةـ كـانـ مـشـحـونـاـ
بـالـتـوـتـرـ وـالـمـكـائـدـ، وـكـانـتـ كـوـسـيـمـ تـفـكـرـ بـعـقـلـ
بـارـدـ وـحـسـابـاتـ دـقـيقـةـ.

وجهها لا يعكس مشاعرها الداخلية، ولكنه يعبر عن السيطرة الكاملة على الموقف، رجالها المقربون يجلسون حولها، يتحدثون بهمسات حذرة وكأنهم في قلب مؤامرة لا تعرف الرحمة.

قالت كوسيم بصوت هادئ، لكنه يحمل في طياته خطة مدرستة.

كوسيم: فاريا تحمل الآن طفل السلطان... وهذا قد يغير توازن القوى في القصر بأكمله.

ومن بين أحد رجالها، الأغا جلال الذي كان خبيراً في تنفيذ خططها دون تردد، ابتسם وهو يرد جلال: لا تقلقي يا سلطانة، سنجد طريقة لتحييدها دون أن يظهر ذلك كخيانة أو تحدٍ مباشر، سنعم بذكاء ونتحرك بصمت.

رغم هدوءها الظاهري، لم تكن تثق في ترك الأمور للصدفة، تحريك القوى داخل القصر لم يكن لعبة سهلة، كل خطوة كانت محسوبة، وكل كلمة كانت قبلة موقعة قد تنفجر في أي لحظة.

فاريا لم تكن خصمًا سهلاً، بل أصبحت الآن خطراً يهدد استقرار سلطتها.

سادت لحظة صمت، شعر الجميع فيها بثقل الموقف، كانت كوسيم تشعر بتزايد المخاطر التي تحيط بها، وكلما فكرت في فاريا وطفلها، زادت عزماها على التخلص منها، لكن الطريق لم يكن سهلاً.

بينما كانت تتحدث في تلك اللحظة، دخل ذو الفقار باشا، الصدر الأعظم والمستشار الأقرب للسلطان رجلاً ذا مكانة مرموقة، وصاحب سلطة لا تقل عن كوسيم نفسها في إدارة شؤون الدولة، دخل بهدوء إلى القاعة ثم وقف بانضباط أمام كوسيم، ونظر في عينيها مباشرة، متجاهلاً جو المؤامرة الذي يحيط بها.

لم تكن تنتظر كوسيم منه الحديث بل بادرت قائلة كوسيم: ذو الفقار، أريدك أن تراقب فاريا، نحن بحاجة إلى مساعدتك في هذه المرحلة يجب أن تُبعدها عن الساحة بأي طريقة ممكنة.

لكن ذو الفقار، الذي كان معروفاً بولائه التام للسلطان، عقد حاجبيه، نظر إليها بنظرة ثابتة وبلهجة حازمة وصوت ثابت قال.

ذو الفقار: السلطان مراد جعلها زوجته الشرعية، وهي الآن تحمل في أحشائها ابنه.

من واجبي كصدر أعظم حماية هذا الطفل وأمه وإذا مسّتها يد بأي سوء، فإن السلطان نفسه لن يرحم أحداً.

سادت لحظة صمت، شعر الجميع فيها بثقل الموقف، كانت كوسيم تشعر بتزايد المخاطر التي تحيط بها، وكلما فكرت في فاريا وطفلها، زادت عزماً على التخلص منها. لكن الطريق لم يكن سهلاً.

كانت كلمات ذو الفقار كضربة غير متوقعة لкосيم، لكنها كانت تعلم جيداً أن الرجوع للخلف لم يكن خياراً، نظرت إليه بعيون باردة، تحمل في طياتها التحدي.

كوسيم: أعلم ما تعنيه الواجبات يا ذو الفقار، ولكن فاريا ليست مجرد امرأة، وجودها يشكل تهديداً على التوازن الذي بنيناه على مر السنين.

إنها غريبة، وقد يشكل تواجدها بالحرملك أضطراب.

لم يتراجع ذو الفقار، ولكن صوته أصبح أكثر حزماً، كأنه كان يوجه رسالة مباشرة إلى كوسيم ذو الفقار: القوانين والواجبات لا يمكن أن تُكسر لمجرد مخاوف سلطانة، واجبى الآن هو حماية فاريا وطفلها، تماماً كما أحمى السلطان.

تراجع كوسيم قليلاً في مقعدها، لكنها لم تتخلى عن خطتها، كانت نظراتها مثل شفرة حادة تستعد لاختراق أي عائق أمامها.

كوسيم: أعلم جيداً أن حماية فاريا واجبى لكن السلطان لا يرى ما يحدث خلف الكواليس، هذا الطفل، لو ولد، قد يشعل فتنة داخل القصر، أنا لا أسمح بأن يتم تهديد أبني أو أن يتم تقسيم الولاء داخل الحرملك.

كان ذو الفقار يدرك أن كوسيم سلطانة ليست امرأة تستسلم بسهولة، لكنه كان يعلم أيضاً أن ولاءه للسلطان يمنعه من التورط في مثل هذه المؤامرات.

ذو الفقار: سلطانة كوسيم، أنا خادم السلطان وملتزم بحماية كل من يحمل اسمه.

التفتت كوسيم إلى ذو الفقار، وقالت بحزن كوسيم: إذا كنت تريدين حماية زوجة السلطان وابنه، فأنا أريد حماية عرشه ومستقبل دولة لا تنسى هذا، يا ذو الفقار.

وقف ذو الفقار صامتاً للحظة، متربداً بين ولائه للسلطان ورغبته في تجنب مواجهة مباشرة مع كوسيم ثم أنحنى و قال بهدوء

ذو الفقار: سأقوم بواجبي، يا سلطانة.

غادر ذو الفقار القاعة تاركاً كوسيم في تأمل عميق، لكن عيناه كانت تراقب كوسيم بعناية، فكان يعلم أن كوسيم لم تكن من النساء اللاتي يتراجعن، وأن هذه المعركة لن تنتهي هنا.

نظرت إلى جلال وقالت: تحرك.
ولا تدعني أنتظر طويلاً.

توقفت كوسيم لبرهة، وهي تفكّر في الخيارات الأخرى، كان واضحًا أنّ ذو الفقار لن يشارك في مؤامرتها بعد هذا الانسحاب التكتيكي

رفعت رأسها ونظرت نحو آغا جلال، الذي ظل صامتاً حتى الآن.

كوسيم: إذا كان ذو الفقار لا يريد مساعدتي في هذه المهمة، فعليّنا التحرك وحدنا جلال آغا، لقد أثبت ولاءك لي في الماضي، لدى ثقة تامة بأنك تعرف كيف تتعامل مع هذه الأمور.

ابتسم جلال ابتسامة خبيثة وقال.

لال: بالطبع يا سلطانة، سأتصرف كما ترغبين، ولكن يجب أن يكون الأمر بدقة شديدة، حتى لا نثير شكوك أحد.

قالت كوسيم بصوت هادئ لكنه يحمل سماً بين كلماته. كوسيم: لا نحتاج إلى قتلها الآن، يكفي أن نضعفها، أن نجعلها تعاني، دون أن نتسبب في فضيحة أمام البندقية، أريدها أن تتراجع، أن تفقد تأثيرها وقوتها، بطريقة تجعل الجميع يظنون أن القدر هو من يلعب دوره.

ابتسم جلال بخبث وقال.

لال: فهمت، يا سلطانة، سأتدبر الأمر.

كان الجو مشحوناً بالمكائد والغموض.
خلف كل ابتسامة، كان هناك خنجر مخفي.
كانت كوسيم تعلم أن الوقت ليس في صالحها، وأن
التحرك الآن هو الخيار الوحيد لحماية سلطتها وحماية
أبنائها.

في ليلة هادئة غمرها نسيم بحر مرمرة العليل، كانت
الأمواج الهادئة ترتطم بخفة بجدران قصر توبكابي
العثماني. انعكاس ضوء القمر على الرخام البارد كان يضفي
حالة من السكون الغامض على المكان الذي يعج
بالصراعات الداخلية.

بعيداً عن هذا الجلال الظاهري، وصلت إليزا إلى بوابات
القصر، وجهها مخفي خلف وشاح رمادي داكن، مشاعرها
تتأرجح بين الخوف والغضب.

كيف انزلقت ابنتها، فاريا، إلى هذا العالم الغريب؟ كيف
تحولت حياتها إلى جزء من لعبة سياسية لا ترى لها نهاية؟

كانت قد سمعت عن حمل ابنتها، وكان هذا الخبر بمثابة
الصدمة التي دفعتها لكسر كل الأعراف والتقالييد، غادرت
بلدها خلسة دون علم زوجها، في محاولة مستميتة لإنقاذ
فاريا.

مع كل خطوة على أرض إسطنبول، شعرت إليزا بثقل العالم ينوء على كتفيها، فيما ظلت الأسئلة تطاردها.

ماذا ينتظر فاريا في هذا القصر مليء بالمؤامرات؟ هل ستكون مجرد أداة في لعبة سياسية ضخمة؟

عندما وصلت إلى البوابة الرئيسية للقصر، لم تكن الحراسة المشددة مفاجأة، لكن الاستقبال الفاتر والمهين كان غير متوقع.

الحراس لم يكلفو أنفسهم عناء التحية، بل قادوها مباشرة إلى قاعة الاستقبال الضخمة حيث كان بانتظارها ذو الفقار، الصدر الأعظم للسلطان.

كان رجلاً صارم الملامح، بارد العواطف، يقف على رأس كل المؤامرات والقرارات التي تغير مصير من يسكن هذا القصر.

قالت إليزا بصوت متوتر وهي تحاول إخفاء القلق الذي يخترق نبراتها.

إليزا: أريد أن أرى السلطان مراد، لدى أمر عاجل بخصوص ابنتي فاريا.

نظر ذو الفقار إليها بترو، قبل أن يقول بهدوء، لكن نبرته كانت تحمل كل القوة والجبروت التي يتمتع بها من يحكم القصر خلف الكواليس، نظراته الفاحصة توقفت عند عينيها وكأنها تقيس مدى قوتها ومقدار يأسها.

ذو الفقار: السلطان مشغول ولا يرحب بلقاءكِ، ولكن بإمكانكِ إيصال رسالتكِ، أيتها الملكة.

لم تتحرك إليزا، رغم أن قلبها كان ينبض بالخوف والقلق، رفضت أن تُظهر ضعفها أمامه.

نهدت ثم قالت بجسم إليزا: جئت إلى هنا ليس كأم فقط، بل كمواطنة تخشى على مستقبل بلادها.

ابنتي فاريا تحمل في رحمها ابنًا للسلطان العثماني، وهذا سيكون له تأثير مباشر على التوازن السياسي، لا أريد أن تكون ابنتي ضحية مكائدكم.

بدت كلماتها كأنها تهز أركان الغرفة، لحظة صمت طويلة مرت، بينما ذو الفقار يقلب في ذهنه مدى خطورة ما قالته، كانت كلماتها مزيجًا من الخوف والحزم.

خلف الجدران، كان مراد يستمع إلى كل كلمة. صمته مثل جبل يكتم خلفه براكيين من الغضب والحيرة، لم يستطع مقاومة الإغراء بالتدخل.

وفجأة، ارتفع صوت باب ثقيل يفتح ليظهر مراد أمامها، عينيه متقدتان بغضب مكبوت. مراد: ماذا تظنين، إليزا؟ هل تعتقدين أنني أستغل ابنتك؟

لم تكن إليزا تتوقع حضوره بهذه السرعة، للحظة، شعرت بضغط رهيب على صدرها، لكن مراد لم يكن عدائياً كما توقعت، كان هناك شيء آخر وراء غضبه.

حاولت تهدئة النقاش لكنها أرادت أن توصل له رسالة خفية.

إليزا: أشكرك على حماية ابنتي، لكن يجب أن أفهم. لقد جاءت فاريا إليك هاربة من مشاكل عائلية وسياسية، لكن هذا لا يعني أنني سأقبل بأن يُستغل وضعها.

كانت كلماتها بمثابة تجرؤ على الاعتراض على زواج ابنتها، معتبرة أن الزواج قد يعزز نفوذ السلطنة على عرش إيطاليا.

تحدث بصوت هادئ لكنه حازم. مراد: أنت لا تفهمين، فاريا جاءت إلي هرباً من نزاعات كانت ستودي بحياتها، لم أخطط لهذا الزواج ولا لهذا الحمل. فاريا الآن زوجتي الشرعية وأم ابني، ولن تكون جزءاً من صراعاتكم بعد الآن.

كان وراء الغضب شيء أعمق... ربما حب
مكبوت أو خوف دفين.

إليزا، التي لم تكن تتوقع ما قاله مراد، حاولت الحفاظ على
رباطة جأشها.

إليزا: أنا لا أقول إنها ضحية، لكنك تعلم جيداً أن هذا القصر
 مليء بالمؤامرات، ابنتي ليست قوية بما يكفي لمواجهة هذه
 القوى وحدها.

ابتسم مراد بمرارة، تلك الابتسامة التي تحمل
غموضاً أكثر مما تحمل سخرية.

مراد: ابنتك ليست بمفردها الآن، هي زوجتي وأم لابني
القادر، أنا المسئول عنها، ولن أسمح لأحد أن يمسها بسوء.

أصابت كلماته إليزا في الصميم، لكنها لم تستسلم، وبعيون
تملؤها الدموع التي حاولت كبتها، قالت بصوت خافت.

إليزا: مولاي السلطان، دعني أراها...
لمرة واحدة فقط، أريد أن أتحدث إليها.

صمت مراد لبرهة، متربداً بين رفضه الأولى وشيء أعمق.

تدخل ذو الفقار قائلاً:

ذو الفقار: عذراً، مولاي، قد يخفف اللقاء من توتر مولاتي
فاريا، خاصة في هذه الفترة الحساسة.

وافق مراد على مضض، لكنه اشترط أن تغادر
إليزا القصر قبل طلوع الفجر.

داخل جناحها الخاص، كانت فاريا تجلس بجانب النافذة
برفقة ليلى، تحيك قطعة صغيرة من الصوف لطفلها
المنتظر.

أصابعها ترتجف قليلاً، سواء من تأثير الحمل أو
من التوتر الذي لم يفارقها منذ علمت بحملها.

وجهها شاحب، وعيناها محاطتان بها لات من التعب
والإرهاق. تحاول أن تجد بعض السكينة في هذه اللحظات
البسيطة.

فجأة، انفتح الباب ببطء لتدخل إليزا، وقفـت للحظة تراقب
ابنتها، كانت عينها مغرقتين بالدموع، لكنها تحاول
التماسـك، وكأنـها لا تصدق ما تراه.

تقدـمت إليـزا بـخطـوات بـطـيـئة نحو ابـنتـها.
إليـزا: فـارـيا؟.

قالـتها وكـأنـها تـنـادي طـفـلة ضـائـعة في زـحـام غـرـيبـ، رـفـعت
فارـيا رـأسـها، وصـوت والـدـتها مـلـأ قـلـبـها بـذـكـرى زـمـن بـعـيدـ.
فارـيا: أـمـيـ؟

كان صوتها مفعماً بالحنين والمفاجأة، شعرت للحظة أن الزمن قد تراجع إلى الوراء، وضفت الإبرة جانباً ونهضت لتقترب من والدتها التي كانت تنظر إليها بحزن.

إليزا، ويدها ترتجف وهي تلمس وجه ابنتها.
إليزا: لقد تغيرت يا ابنتي... بشرتك شاحبة وأنتِ تضعفين، كيف وصلتِ إلى هذا الحال؟ أين تلك الفتاة القوية التي عرفتها؟

انفجرت فاريا بالبكاء في حضن أمها، وكأن كل الأحزان التي كتمتها انطلقت في لحظة.
فاريا: مررت بالكثير يا أمي.

كان علىّ أن أتأقلم مع حياة لم أكن مستعدة لها، هذا القصر مليء بالتحديات، لكنني ما زلت فاريا... أنا زوجة السلطان وأم لطفله.

احتضنتها إليزا بشدة، ثم بقلق، نظرت إلى فستانها الفضفاض.

إليزا: ما هذا الذي ترتدينه؟ هل تخفيين حملك عن البقية؟

ابتسمت فاريا بهدوء.
فاريا: هذه هي قوانين الحرملك يا أمي...
لا داعي للقلق.

في تلك اللحظة، كانت المشاعر قد تجاوزت كل حدود الحوار، جلستا معاً، تسترجعان ذكريات إيطاليا، بدأت إليزا تداعب خصلات شعر ابنتها، كما كانت تفعل عندما كانت صغيرة.

ابتسمت فاريا.

فاريا: أتذكرين كيف كنتِ تغنيني لي قبل النوم؟

بدأت إليزا في غناء تهويده النوم بينما تداعب شعر ابنتها، وكأنهما تدركان أن هذا قد يكون اللقاء الأخير.

من بعيد، كان مراد يراقب المشهد، أدرك في تلك اللحظة أن فاريا كانت بحاجة إلى هذا الحب الأمومي الذي لا يمكنه هو تقديمها.

و في الجانب المظلم والبارد من قصر توبكابي، كان الأمير حسن يتتجول في الممرات الطويلة، كل خطوة تردد صداتها على الجدران العالية المزينة برسوم السلطان العثماني وتاريخ الأباطرة.

شعر حسن بأنفاسه تتسرع في صدره، إذ وصلته الأخبار التي كان يخشى سمعها منذ فترة، فاريا، زوجة أبيه السلطان مراد، حامل، وكان هذا يعني شيئاً واحداً فقط: عرش السلطنة مهدد، ومستقبله كولي للعهد أصبح الآن على المحك.

وقف حسن أمام نافذة واسعة تطل على بحر مرمرة، الذي كان يلوح في الأفق كمارد ضخم يرمي إلى قوة الإمبراطورية المتعددة.

قبض على حافة النافذة بقوة، والغضب يتضاعف في داخله كبركان.

"كيف تجرأ أبي؟ كيف يمكن لهذا الطفل غير المولود أن يسلبني حقي؟

في هذه اللحظات التي اجتاحتها الغضب والتوتر، سمع حسن خطوات والدته عائشة تقترب، كانت عائشة، والدة حسن، معروفة بحكمتها ودهائها.

كانت المرأة التي تدير خيوط اللعبة من خلف الستار، بعينيها المتقدتين وثوبها الفاخر الذي يتماشى مع هيبتها كأم ولي العهد، دخلت الغرفة بهدوء، ووقفت أمام ابنها، مراقبة الشرر الذي يتطاير من عينيه.

عائشة: حسن، سمعت بما جرى. صوتها كان هادئاً، لكنه يحمل في طياته القلق والحدر.

استدار حسن ببطء، وعينيه ملتهبتين بالغضب المكبوت.

حسن: أمي، هل تعلمين ما الذي يعنيه هذا؟
إذا أزجت فارييا صبياً، فقد يكون هو من يهددني، لا
يمكّنني أن أسمح بذلك، كل هذا التخطيط، وكل هذه
السنوات التي قضيتها في التدريب والاستعداد، هل
تذهب هباءً بسبب طفل؟

لم تتحرك عائشة، ولم تُظهر أي مشاعر على وجهها،
كانت هادئة كالعادة، تُفكّر بعناية قبل أن تتكلّم.
عائشة: الأمور ليست بهذه البساطة، يا أميري، لا تجعل
الغضب يسيطر على حكمتك، هناك قوى أكبر تلعب في
هذا القصر، ولا يمكننا أن نتصرف بتهور.

صوت حسن ارتفع قليلاً وهو يقول
حسن: تهور؟ أمي، هذا الطفل يعني نهاية حلمي، إنه
تهديد لكل ما عملت من أجله، لا يمكن أن أسمح بأن يتم
إزاحتني بهذه السهولة.

اقربت عائشة منه ببطء، ووضعت يدها برفق على
كتفه، وكأنها تحاول تهدئته.
عائشة: أنا أفهم مخاوفكبني، ولكن لا يمكنك أن تذهب
إلى مراد أو تواجهه الآن، المعركة الحقيقية ليست
بالسيوف، بل في العقول، إذا تحرّكت الآن بتهور، قد
تخرّس كل شيء قبل أن تبدأ.

أخذ حسن نفّساً عميقاً، وبدأ يهداً قليلاً، كان
يعلم أن والدته محقّة، لكنها لم تكن سهلة القبول.
سألها بصوت منخفض.

حسن: إذن، ما الذي يجب أن أفعله؟

رفعت عائشة حاجبيها بتفكير عميق، وعيّناها الزرقاوان
تلمعان في الضوء الخافت.

عائشة: الانتظار والمراقبة هما مفتاح النصر في هذه
المراحل، لا يمكننا أن نهاجم أو نخطط ضدك من دون
معرفة خطوته القادمة، فاريا قد تكون ضعيفة الآن، وهذا
الحمل قد يجعلها أكثر ضعفاً، استغل ذلك لصالحك
وعليك أن تكسب دعم من حولك، لأن في هذا القصر،
من يملك الحلفاء يملك القوة.

كان يستمع حسن إلى والدته، لكن أعماقه ما زالت تعج
بالغضب والغيرة، كان يفكّر في كل الاحتمالات، في كل
الطرق التي يمكن أن يستخدمها لإسقاط مراد، وفي
نفس الوقت كان عليه أن يحافظ على نفسه من التعرض
للخطر.

استدارت عائشة نحو النافذة، وتنهدت بخفة قبل أن
تقول بصوت منخفض لكنه مليء بالمعاني.

عائشة: لا تنس بني أن القصر مليء بالعيون
والآذان، كل خطوة نخطوها، كل كلمة
نقولها، تُراقب، يجب أن تكون أذكى من الجميع، وأن تتخذ
قراراتك بحذر، حتى الطفل الذي لم يولد بعد يمكن أن يكون
حليفاً أو عدواً، والأمر يعتمد على كيفية لعبك لهذه اللعبة.

ابتسمت عائشة بمرارة، كانت تعلم أن ابنها سيكون في
قلب الصراع قريباً، وكانت تدرك أن عليه أن يتعلم كيف
يلعب اللعبة بمهارة ودقة.

قال حسن بتوتر.
حسن: أمي، أنت تعلمين أنني لا أثق بأحد، حتى حلفائي
في القصر يتبدلون كما تتبدل الرياح.

هذت عائشة رأسها موافقة.
عائشة: أعرف، وهذا هو السبب الذي يجعلك تتroxى الحذر
أكثر، كن مستعداً لكل شيء، حسن، الصراع لم يبدأ بعد،
ولكنه قادم.

ابتسم حسن ابتسامة خفيفة لكنها لم تصل إلى عينيه.
حسن: سأكون مستعداً، أمي ولكن عندما يحين الوقت،
سأتحرك، ولن أدع أحداً يقف في طريقي.

في تلك اللحظة، شعرت عائشة بالفخر والخوف في آن واحد، كان ابنها مستعداً للصراع، لكنها كانت تعلم أن الطريق أمامه مليء بالأخطار.

قالت له بصوت هادئ.
عائشة: كن حذراً يا بني.

الصراع على العرش ليس مجرد معركة بين الورثة، بل هو حرب نفسية ودبلوماسية أيضاً، لن يدوم إلا لمن يحسن التخطيط.

تركته عائشة بعد ذلك ليغرق في أفكاره المتواترة، ليواجه وحده تلك الحقيقة القاسية: أن الطفل القادم قد يغير مسار المستقبل، وأن الصراع داخل القصر لم يكن أبداً مسألة سيف فقط، بل لعبة عقول قاسية حيث الخاسر قد يفقد كل شيء.

بينما كانت فاريا تستعد لمعادرة جناحها برفقة وصيفتها ليلى، كانت الأجواء مفعمة بالهدوء، كانت ليلى منهنكة في ترتيب الأغراض استعداداً للذهاب إلى الحمام.

بينما كانت فاريا جالسة أمام مرآة كبيرة تتأمل وجهها الذي يزداد شحوبً مع اقتراب موعد الولادة، تمايلت الخصلات الشقراء حول وجهها بهدوء وهي تفك في ما ينتظرها في المستقبل.

فجأة، دوى صوت طرقات خفيفة على باب الجناح، مما قطع الصمت المحيط، التفتت فاريا نحو ليلي التي بادرت مسرعة لفتح الباب.

خلف الباب، كان الأمير حسن واقفا، محملاً في فاريا بنظرة تكتنفها البرودة رغم ابتسامته التي بدت زائفة بعض الشيء، في يده اليمنى كانت باقة من الورد، وفي اليد الأخرى هدية صغيرة ملفوقة بعنایة.

قال حسن بصوت ناعم، بينما خطى إلى الداخل.
حسن: صباح الخير، زوجة أبي العزيزة، أحضرت لك شيئاً بسيطاً... مجرد لفتة صغيرة.

رفعت فاريا حاجبها بفضول، وهي تراقب حسن الذي لم يكن يظهر عادةً هذا النوع من اللطف تجاهها، وضعت ليلي الورد على الطاولة بجانيها، بينما قام حسن بإخراج قطعة من الهدية الملفوفة.

كانت عبارة عن جوارب حريرية صغيرة بلون أبيض ناصع، مزينة بأطراف ذهبية.
جوارب بحجم كف اليد، ناعمة ورقية بشكل مدهش.

قال حسن بابتسامة مشوبة بالغموض.
حسن: اشتريتها من السوق اليوم، سمعت أن المولود يحتاج إلى بعض الملابس الجميلة، ففكرت أن أهديك هذه لتكون إحدى أولى هداياه.

تبادلت فاريا وليلي نظرات حذرة للحظة، ثم التفتت فاريا نحو حسن وأجابت بلطف محسوب. فاريا: هذا لطف كبير منك، أمير حسن، الجوارب جميلة حقاً، وأقدر اهتمامك بالمولود.

لكنها لم تستطع أن تخفي الشكوك التي تراودها. كان حسن دوماً يشع توترًا وعداءً في حضوره، وهذا التغيير المفاجئ في سلوكه لم يبدُ طبيعياً.

ابتسم حسن ابتسامة خفيفة وأخذ خطوة أقرب، قائلاً. حسن: فاريا، أريد أن أوضح شيئاً، قد تكون هناك بعض الشائعات في القصر، لكنني لا أريدك أن تشكني ولو للحظة في نيتني أنا حقاً أعتبرك جزءاً من عائلتي، وأؤمن بك ولطفلك كل الخير.

في تلك اللحظة، كان الجو يكتنفه صراع غير مرئي بين الكلمات والمشاعر المخفية، حاول حسن أن يظهر بصورة الأخ الودود، لكنه لم يستطع تماماً إخفاء التوتر الذي يسيطر عليه.

كانت فاريا تعلم جيداً أن خلف هذه الابتسamas والتحيات يكمن توتر أكبر بكثير، وأن هذه الهدية ربما لم تكن إلا محاولة منه لدرء الشكوك عن نواياه الحقيقية.

ردت فاريا بابتسامة باهتة.

فاريا: أقدر ذلك، حسن، وأأمل أن نتمكن من الحفاظ على السلام داخل القصر، من أجل المستقبل.

أومأ حسن برأسه موافقاً، ثم ألقى نظرة أخيرة على الجوارب الصغيرة قبل أن يستدير ببطء ليغادر و يخرج تماماً، أضاف بصوت منخفض، وكأنه يريد أن يترك كلمات مشحونة خلفه.

حسن: تذكري، فاريا... نحن جمیعاً نريد الأفضل للعائلة.

ثمأغلق الباب بهدوء خلفه، تاركاً فاريا غارقة في أفكارها.

في جناحها الفخم، كانت السلطانة الأم كوسيم تجلس أمام طاولة إفطارها المزينة بطبقات متنوعة من الفواكه الطازجة والمخبوزات العثمانية، تحتسي الشاي ببطء وهي تفكّر بعمق.

أشعة الشمس تتسلل من خلف ستائر النوافذ الذهبية، لتنعكس على وجهها الحازم، الذي كان يحمل آثار الزمن والتجارب العميقه، كانت سلطتها متجذرة في كل زاوية من زوايا القصر، ورغم ذلك كانت تعلم أن التحديات لا تتوقف.

وبينما كانت كوسيم تتناول إفطارها، دخلت عائشة دون استئذان، وفي عينيها بريق من الغيرة والغضب، كان وجهها مشدوداً، وحركاتها متواترة، وكأنها لم تعد تحتمل المزيد من الصمت.

لم تقترب عائشة مباشرة، بل توقفت عند مدخل الجناح للحظات، تجمع شتات شجاعتها قبل أن تتحدث بصوت متقطع، لكنه مليء بالمرارة والاندفاع.

قالت عائشة بحدة وكأنها تنفجر.
عائشة: مولاتي السلطانة...! لا أستطيع التحمل أكثر من ذلك!

رفعت كوسيم رأسها ببطء، عينان حادتان تفحصان عائشة بعناية، لكنها لم تقل شيئاً، فقط نظرت إليها وكأنها تنتظر ما ستقوله.

تقدمت عائشة بخطوات متعددة.
عائشة: لقد فعلت كل شيء... كل شيء من أجل السلطان، من أجل هذه العائلة، قد أسلمت وتركت ديني، وتحملت الكثير، أنجبت ولي العهد الأمير حسن، والسلطانة الصغيرة كايا، وضحيت بنفسي لأجل هذا القصر، لأجل أن تظل هذه العائلة قوية ومتحدة.

كانت عائشة تتحرك بشكل عصبي داخل الغرفة، تتنفس بعمق، وكأن الكلام يخرج منها رغمًا عنها. الكلمات مشحونة بالغضب والاستياء، وكأنها كانت تحبسها لفترة طويلة جدًا.

وبصوت يتصاعد حدة هتفت.
عائشة والآن... والآن ماذا؟! فاريا! تلك المرأة... تلك الأجنبية! تجوب القصر بحرية وكأنها صاحبة المكان، تناشد في جناح السلطان كل ليلة، بينما أنا؟ أنا منسيّة! لا أكاد أرى السلطان! إنها زوجته الرسمية، تصلي في كنيستها بفرمان رسمي من السلطان، وأنا؟ ماذا عنّي؟!

و بينما تعلو نبرتها، ثم تتوقف فجأة، تلتقط أنفاسها، عينيها تملؤهما الدموع، لكنها ترفض البكاء، كانت عائشة امرأة قوية، لكنها الآن تقف أمام كوسيم كأنها فتاة صغيرة تائهة، مليئة بالحسنة والخوف.

قالت عائشة وهي تضع يدها على بطنها بتوتر.
عائشة: والآن... الآن تحمل في أحشائها طفلًا.
من يعلم مولاتي؟

قد يكون هذا الطفل هو الذي سينازع ابني حسن على ولادة العهد! هل علىَّ أن أقف مكتوفة الأيدي؟
هل أنتظر بينما فاريا تتقدم وتلتهم كل شيء صنعته أنا بجهدي وتضحياتي؟

لكن كوسيم، وهي السلطانة المخضرمة التي اعتادت على تلك الانفجارات العاطفية خاصة من الجواري بالحرملك، فظلت هادئة، لم تفقد تماسكها. بعينيها الحادتين، نظرت إلى عائشة وكأنها تقرأ ما في داخلها.

ثم بهدوء وثبات همست.
كوسيم: أجلسني، عائشة.

ترددت عائشة للحظة، لكن نبرة كوسيم لم تترك مجالاً للاعتراض جلست عائشة على مقعد قريب، فيما كوسيم وضعت كوب الشاي على الطاولة برفق، وأخذت تتحدث بصوت منخفض لكن بنبرة تحمل كل قوة السلطة والخبرة.

كوسيم: أفهم مشاعرك يا عائشة، لكن عليك أن تدركي شيئاً... الصبر هو ما يبقيك على قيد الحياة في هذا القصر. ليس الغضب، وليس الاندفاع.

نظرت كوسيم إلى عائشة مباشرة، وكانت نبرتها تحمل ثقل السنين من المؤامرات والخداع.

كوسيم: فاريا... نعم، هي الآن تحتل مكانة مهمة، وتحمل في رحمها طفل السلطان، لكن الأمور ليست كما تبدو. كل شيء في هذا القصر هو جزء من لعبة أكبر، وأنت تعلمين هذا جيداً، أنا لست غافلة عما يحدث.

كانت عائشة تستمع بعناية، لكن الغضب
كان لا يزال يغلي في صدرها.
قالت بحدة:

عائشة: وماذا عن فاريا، يا مولاتي؟ هي الآن تزداد قوة،
وكلما اقترب موعد ولادتها، يزداد الخطر على حسن!"

أجبتها كوسيم بتروي.

كوسيم: فاريا ليست عدواً مباشراً لكِ الآن، إنها
ليست المشكلة، وإنما القصر نفسه مليء بالمكائد،
الجميع هنا يلعب لعبة أكبر من أي فرد، بما فيهم
فاريا، وأنتِ... إذا كنتِ تريدين أن تحمي ابنك حسن،
عليكِ أن تكوني أكثر حكمة.

التوقيت يا عائشة... التوقيت هو كل شيء.

توقفت كوسيم لبرهة، ثم تابعت بنبرة أخفض، لكنها
محملة بالثقل.

كوسيم: لن أدع أي شيء يهدد مستقبل ابنكِ، لكن
 علينا أن نتحرك في اللحظة المناسبة، الانتظار ليس
ضعفًا يا عائشة، إنه السلاح الأقوى، هناك لحظة سيأتي
فيها وقت التحرك، لكن الآن ليس الوقت المناسب،
عليكِ أن تبقي قوية وثابتة، لا تظهي ضعفك أمام
 الآخرين.

كانت كلمات كوسيم تُغرس في عقل عائشة

وأنها بوصلة تعيد توجيهها وسط دوامة من المشاعر الغاضبة، بدت السلطانة كأنها تقول كل شيء بلا أي تردد أو شك، فخبرتها الطويلة في القصر أعطتها حكمة التعامل مع مثل هذه المواقف.

بصوت أهداً، لكن لا يزال فيه قلق همست عائشة. عائشة: لكن... كيف يا مولاتي يمكنني أن أثق أن الأمور لن تخرج عن السيطرة؟ فاريما ليست مجرد امرأة عادية، بل إنها تمتلك تأثيراً على السلطان... تأثيراً قد يهدد كل شيء.

ابتسمت كوسيم بابتسامة خفيفة، وأنها تعرف شيئاً لا تعرفه عائشة، اقتربت من عائشة ببطء، ثم وضعت يدها على كتفها بلطف، ولكن بحزم.

وبثقة لا متناهية همست بهدوء. كوسيم: فاريما قد تكون قوية، لكنني أقوى، لا تنسى من أنا، ومنذ متى وأنا أحكم هذا القصر، الثقة ليست فقط في ما تراه العين، بل في ما لا تراه، لا تقلقي يا عائشة، نحن لن نخسر هذه المعركة.

شعرت عائشة بقليل من الطمأنينة في كلمات كوسيم، لكنها كانت لا تزال قلقة، لم تستطع أن تمحو تماماً تلك الصور التي تراها في خيالها، صور لفاريما تحل مكانها، صور لابنها حسن يفقد حقه في ولایة العهد.

لكنها قررت أن تتبع نصيحة كوسيم، الانتظار...
الترقب... والتحرك في الوقت المناسب.

وبابتسامة باردة صرحت.
كوسيم: الهدوء الآن يا عائشة. كل شيء سيسير كما
خطط، فقط ثقي بي.

نهضت عائشة بهدوء بعد تلك الكلمات، وانسحبت من
الجناح، وهي تحاول كبح مشاعرها الغاضبة، أما كوسيم،
فقد عادت لتجلس على طاولتها، تناولت قطعة
من الفاكهة بهدوء، وكأن كل شيء تحت سيطرتها.

في تلك اللحظة، كانت تدرك أن اللعبة الكبرى
لم تبدأ بعد، لكنها كانت جاهزة...
جاهزة لتوجيه الضربة في اللحظة التي
ستُربحها المعركة.

في المساء الهدئ، حيث كانت أصوات الشموع تترافق على جدران الحمام المخصص لفاريا، زوجة السلطان، كان البخار يتتصاعد من المياه الدافئة في الحوض.

كانت فاريا تسترخي وسط زهور الياسمين التي تطفو على سطح الماء، محاولة إيجاد لحظات سلام نادرة وسط دسائس القصر المتنامية.

بجانبها كانت وصيفتها ليلى تعمل بصمت، تدلك كتفيها بلطفٍ وابتسمة حانية، وكأنها تحاول تخفيف عبء الحياة عن مولاتها.

فجأة، كسر السكون صوت خطوات ثقيلة تتردد في الممر القريب، يتبعه صوت فتح الباب بعنف، مما جعل قلب فاريا ينبض بسرعة.

دخلت خمس جوارٍ، ملامحهن قاسية، وعيونهن تضج بخيثٍ لم تتوقعه فاريا أو ليلى. استشعرت ليلى الخطر أولاً، وقفت أمام مولاتها، جسدها النحيل يشكل حاجزاً بين فاريا والهجوم القادم.

دون سابق إنذار، انقضت الجواري كوحوش مفترسة، أمسكت إحداهن بذراع فاريا وساحتها بقسوة من الحوض، لتسقط على الأرض الرخامية الباردة.

ضربة قوية على جانب وجهها جعلتها تشقق
من الألم، يدها ترتفع بشكل غريزي لتحمي بطنها.

صرخت فاريا بصوت خافت مخنوق، تحاول حماية
نفسها.

فاريا: توقفوا... ارجوكن...

لكن الجواري واصلن الهجوم بلا رحمة، كانت الضربات
تأتي من كل جانب، لألم كان يخترق جسدها كالنار.
حاولت فاريا التراجع، إلا أن الأرض الرطبة جعلتها تنزلق
أكثر في بركة الدماء والماء، بدأت دماؤها تمتزج بالبخار
المتصاعد.

في تلك اللحظة، لم تتردد ليلي، رغم الخوف الذي كان
يلفها، اندفعت نحو إحدى الجواري، محاولة إبعادها عن
مولاتها.

لكنها لم تكن أكثر من درع هش، وسرعان ما أحاطت بها
الجواري أيضاً، قاومت بشجاعة، إلا أن عددهن كان أكبر،
وبدأ جسدها يتلقى الضربات.

في خضم الفوضى، شعرت فاريا بدوارٍ حاد، جرح عميق
في جبينها على إثر الارتطام بطبق معدني للاستحمام مما
جعل رؤيتها تتشوش، وسقطت مرة أخرى على الأرض.

أدركت ليلي، برعٍ، أن حياة مولاتها والطفل الذي في بطنها على المحك، وبدون تفكير، ألقت نفسها فوق فاريما، جسمها النحيل يلتف حولها كدرع بشري.

صرخت ليلي بألم، تتلقى الضربات نيابةً عن سيدتها، جسدها يرتجف تحت وطأة الألم.
ليلى: اضربوني بدلاً منها!

بينما كانت الجواري تحاولن نزع ليلي بالقوة، ساد صمت مفاجئ حين فتح باب الحمام مجدداً، دخل شخص غامض، ملثم يرتدي عباءة سوداء طويلة.

كانت خطواته ثقيلة على الرخام، وهدوءه كان مرعباً، الجواري توقفن عن الضرب و تراجعن للخلف، وكأنهن يعرفن أن دورهن قد انتهى.

كان هذا الرجل "الآغا جلال" و في يده خنجر لامع، وفي عينيه برودة مميتة، اقترب ببطء، دون أن يرف له جفن، نحو ليلي وفاريما.

أمسك برأس ليلي وأطاح بها على الأرض بعنف، صرخت فاريما، لكن صوتها كان ضعيفاً، مختنقاً بالألم والخوف.

همست ليلي بصوت خافت، عيناها تغمضان
ببطء وكأنها تعلم ما ينتظرها.
ليلى: مولاتي... سامحيني...

وقف أمام ليلى بخطوات ثابتة ثم دون تردد، غرس جلال
الخنجر في رقبتها وقتلها نحرٍ، لتنطفئ حياتها في لحظة،
دماؤها تدفقت سريعاً، تتسرب إلى الأرض الرخامية،
مختلطة بالماء الذي يغمر المكان.

فاريا، التي شهدت مقتل وصيفتها المخلصة أمام عينيها،
لم تستطع الحراك، كانت عيناها مفتوحتين على
اتساعهما، تجمد جسدها من الصدمة.

حاولت أن تصرخ، أن تهرب، لكن جسدها خانها، بالكاد
همست.
فاريا: مراد... أين أنت...

وببطء، انطفأت الأضواء في ذهنها، وانهارت فاقدة الوعي،
تركـت خلفها مشهـداً مروـعاً من الخيانـة والدمـاء، وصـمتـاً
قاتـلاً يـخـيمـ علىـ المـكانـ.

بدأ النهار هادئًا، إلا أن السكون كان ثقيلاً
ومشحوناً، وكأن الهواء نفسه يحمل وجعاً غير مرئي، أصوات
الصباح الخافتة تسللت عبر ستائر جناح السلطان، محاولة
عيثًا إضاءة ما تبقى من ظلام يغطي القلوب.

استيقظت فاريا ببطء، جسدها مرهق وممزق، ليس فقط
من الجروح والكدمات التي تغطي جسدها، بل من جرح
أعمق بكثير... جرح روحها، بارتجاف، لمست
بطنها، وكأنها لا تستطيع قبول الفراغ القاتل الذي
يسكنها الآن.

عيناها تحدقان في الفراغ، غير قادرة على استيعاب ما
حدث، بدا الألم، الذي كان يشق طريقه من أعماقها، أعمق
وأشد من أي شيء مادي، كان ألمًا روحانيًا، متغلغلًا في
جوهر وجودها.

على طرف الفراش، كان مراد جالساً، يحدق في الأرض،
عيناه محمرتان من البكاء الذي لم يجرؤ على إظهاره، بدا
منهكاً، محطماً، وكأن ثقل العالم قد انقض عليه فجأة، لم
يكن السلطان الجبار الذي عرفته، بل رجلاً هشاً، مليئاً
بالأسى، رفع نظره إليها بصوت مكسور، محملاً بندم لم
يتخيله يوماً.

وبصوت مختنق همس
مراد: فاريا... لقد... فقدنا الطفل.

سقطت الكلمات عليها كالصاعقة، شعرت
بأن الزمن قد توقف، لم تستطع فاريا استيعاب هذه
الحقيقة، وكأن جزءاً منها قد مات قبل أن يدرك معنى
الحياة.

نظرت إلى مراد بعيون فارغة، ثم انهمرت الدموع بغزارة،
دموعاً لم تملك سيطرة عليها، احتضنت بطنها بيديها،
وكأنها تحاول أن تستعيد ما فقدته.

بصريحة مكسورة هتفت.
فاريا: لا يا مراد، لا! لا! كيف حدث هذا؟!

اقرب منها مراد، احتوى انكسارها بين ذراعيه، محاولاً
إسكات بكاؤها بكلماته الحزينة.

وبصوتٍ متهدج.
مراد: أنا آسف... أنا هنا، فاريا، لن أتركك.

لكن كلماته بدت وكأنها تتلاشى في هواء الغرفة الثقيل،
وكأن صوتها وصوته أصبحا جزءاً من نشيد الألم الذي يعم
المكان، حضنه كان دافئاً، لكنه لم يستطع أن يخفف الألم
الذي يعصف بها من الداخل، كلما حاول مراد مواساتها،
شعر بالعجز يزداد، وكأنه يقف أمام مرآة تعكس حزنه
الخاص.

حين لم يجد ما يكفي من الكلمات أو
العزاء، طلب من الخدم إحضار إبريق من الخمر من جناحها
الخاص ثم سكب كأساً وأعطها إياه، محاولاً أن يسكن
آلامها بـكأس من النسيان

ارتجفت يداها وهي تحتسي الكأس ببطء، كأنها تبحث عن
مهرب مؤقت من الواقع المرير.

شيئاً فشيئاً، بدأت تهداً، كطفلة خائفة تهرب من قسوة
العالم إلى حضن شخص تثق به، نامت أخيراً في حضنه،
ويدها تمسك بملابسها كما لو كانت تخشى أن يتركها، ظل
مراد جالساً، غير قادر على النوم، مشغولاً بأفكاره
المتلاحقة.

نهض بهدوء، تاركاً فاريما في نومها المضطرب، وتوجه نحو
الشرفة، كان المطر يهطل بغزاره، وكأن السماء تبكي معه.
جلس مراد وحيداً، الرياح الباردة تلفح وجهه، لكنه كان
يشعر ببرد أشد في قلبه.

نظر إلى الأفق المظلم، يتساءل كيف وصلت الأمور إلى
هذا الحد.

متمتماً بصوت يملؤه الندم.
"أين كنت مراد؟ لماذا لم تكن هناك لحمايتها؟"

تأمل في ذاته وفي الأنا التي دفعته دوماً
لاختيار القوة والسلطة على حساب كل شيء
آخر، كانت تلك "الأنا" التي ظن أنها تجعله لا يُقهَر قد
جلبت عليه هذا الدمار.

الآن، وهو يجلس محطمًا وسط الظلام، أدرك الحقيقة
المرة: أن كل قوة في هذا العالم لا تعني شيئاً إذا فقد
الإنسان ذاته وأحبابه.

رفع رأسه نحو السماء، بينما كانت قطرات المطر تنهر
على وجهه وكأنها تمسح آثار دموعه.

همس بصوت يملؤه الحزن.
مراد: لقد فقدت ابني... وفقدت فاريما... وأنا السبب.

جلس مراد في الشرفة، شارداً بأفكاره الثقيلة، تأمل
عمق الأنانية التي دفعته إلى اتخاذ قراراتٍ دمرت كل
شيء.

أدرك في تلك اللحظة أن القوة التي كان يسعى وراءها لم
تكن سوى وهم، والسلطة التي أراد أن يسيطر بها على
العالم لم تستطع أن تنقذ ما هو أعز عليه، كانت تلك
"الأنا" سجناً بناءً بيده.

في لحظة ضعف نادرة، انهار مراد أخيراً
و سقطت دموعه، لم يكن السلطان الجبار، بل رجل
محطم، تائه بلا اتجاه.

رفع الكأس إلى شفتيه، يتجرع آخر رشفة من الخمر كأنه
يحاول الهروب من الألم الذي ينهشه من الداخل.

اشتدت الرياح، و ازدادت حدة البرق والرعد.
وقف مراد بصعوبة، جسده يتربّح من تأثير الخمر وال الألم،
نظر إلى السماء وكأنها تعاتبه، ثم فقد توازنه، و سقط في
وسط الشرفة، مغمى عليه.

وصوت المطر يغمر المكان، تاركاً مراد
مستلقياً بلا حركة، وكأن العالم بأسره قد سقط
معه في تلك اللحظة.

الفصل التاسع تربيّة الوردي

في صباح كئيب، حيث كانت الغيوم
كثيفة تسبح في سماء رمادية ثقيلة، خيم
الصمت على القصر وأرجائه كأن الكون كله يعاني معها،
غادرت فاريما جناحها بخطوات متثاقلة، ترتدى عباءة سوداء
تغطي جسدها الهيش، كأنها ظل يسيرة في ظلمة لا نهاية
لها، ملامحها مثقلة بالحزن، وكل حركة منها تحمل مرارة
الفقد وضياع الأمل.

سارت بخطى وئيدة على الممر المظلل بالأشجار الكئيبة،
وكان النسيم البارد يلامس وجهها الشاحب كلمسة
ذكرى مؤلمة، تشعر بثقل في قلبها يكاد يُغرقها في بحر
من الأسى لا شاطئ له.

كانت تعرف وجهتها؛ إلى المقابر السرية التي تحتضن
بقايا أحلامها المكسورة وأمالها الضائعة، اقتربت من قبر
جنينها الذي مات قبل أن يرى النور، ذلك الطفل الذي لم
تسمع نبضاته سوى نبضات قلبها المتلهفة له.

و عند القبر، انحنى بركتين مرتجلتين، تضع يديها على
بطنها حيث كان يسكن الحلم الصغير، ملامسة الحجر
البارد وكأنها تلامس روح طفلها الذي لم يولد.

همست فاريما بنبرة خافتة مليئة باللوعة.
فاريما: يا صغيري، لم تعرف الحياة ولم تر النور... قد
سرقوك مني، سرقوك دون رحمة.

أخذت نفسا عميقا، وقد هزتها كلماتها هي نفسها، شعرت وكأنها تهمس بوعد خفي، وعد لن يهدأ قلبها حتى تنفذه.

فاريا: سأنتقم يا صغيري، سأجعلهم يدفعون الثمن.

أغمضت عينيها لبرهة، تلت فيها صلواتٍ صامتة، وكأنها تلتمس العون من السماء، تطلب من اللهب الذي يعصف بداخلها القوة الكافية لتحمل العباء والمضي نحو الانتقام.

بعد لحظات، نهضت ووجهت خطواتها نحو قبر ليلى، وصيفتها التي أحبتها كاخت وصديقة، كان ضريح ليلى بسيطاً، لكنه مليء بهالةٍ من الطمأنينة المكسورة.

اقربت من القبر وانحنى ببطء، لم تستطع حبس دموعها هذه المرة، فقد كانت ليلى أكثر من مجرد وصيفة، كانت جزءاً منها، سندها الوحيد في هذا القصر الموحش.

همست بصوت مختنق بينما عينها ترمقان التراب الذي يغطيها.

فاريا: ليلى، يا أغلى من أي شيء فقدته، يا اختي التي لم تلد لها أمي... كيف لي أن أعيش من دونك؟! من سيسمع أسراري ويصبر على همسات قلبي الحائر؟

رأت صوراً عابرة عن ليلي في
ذاكرتها، تذكرت صوتها الهادئ حين كانت تهدئها،
ابتسامتها التي كانت تبعث في نفسها الأمان حين كانت
الدنيا تظلم من حولها.

عادت لتنظر إلى القبر وقالت بمرارةٍ تخللت كلماتها.
فاريا: أعلم أنك لن تعودي، وأن رحيلك كان نهاية لقصة
الأمل القليل الذي كان لدى، لكنني لن أسامحهم
أبداً على حرماني منك.

تشابكت أصابعها فوق صدرها، وكأنها تمسك بقوة عزمها
المتأجج، ثم أغمضت عينيها مرة أخرى وأخذت نفسها
عميقاً، وأكملت قائلة بصوت متحشرج.

فاريا: سأصلي لروحك، سأطلب لك الرحمة.
ليغفر لك رب، وستجدين السلام، أما أنا فلن أجد الراحة
حتى أقتص لك، سأنتقم، سأدمّر من كان سبباً في هذا
ال الألم.

وقفت بصعوبة، وضغطت يديها على صدرها في محاولة
لتهيئة نبضات قلبها الهائجة، لكنها شعرت بقوة داخلية
تتغلغل في أعماقها، قوة تبع من حزنها العميق وألمها
الذي لا يرحم، مدت يديها بتردد، ولحظة صمت خيمت
على المكان، وكأن الأرواح التي تواسيها تشجعها، تدفعها
لتخوض معركتها القادمة.

همست وهي تنظر إلى السماء الملبدة بالغيوم.
فاريا: ليكن الرب في عوني يا ليلي، ول يكن معك في
سمائك.

في أروقة القصر الخافتة، بعد أن عادت فاريا من زيارتها
الأسبوعية للمقابر، مشحونة بمشاعر غامضة
ومتضاربة، وألم يختلط بقرار خفي يتاجج في صدرها.
مشحونة بمشاعر متناقضة، وقرار خفي يتاجج في صدرها،
كانت أنفاسها متتسارعة، وملامحها تعكس مزيجاً من
الغضب والتصميم، كأنها عائدة من ساحة معركة.

شعرت برغبة لا تقاوم لمواجهة مراد والبحث عن إجابات
تفسر لها كل تلك الشكوك التي بدأت تتسلل إلى أعماقها.
وقفت للحظة تتردد، لكنها سرعان ما عاودت خطواتها
بثبات، متوجهة نحو مكتب السلطان، حيث اعتادت أن
تلتقي به لتبادل الكلمات الدافئة وتحفف عنها عبء الأيام
الماضية.

وبخطوات مضطربة وصلت إلى مدخل المكتب، لكنها
توقفت عندما رأته مغلقاً، بينما الحرس يقفون بثبات
كأنهم جدران لا تتزعزع، وعلامات التوتر على وجوههم
تعكس شيئاً مريباً.

نظرت إليهم بحيرة، وسألت أردخان
آغا بصوت خافت ولكنه يحمل نبرة
فاريا: أردخان آغا، لماذا الأبواب مغلقة؟ أين السلطان؟

أجاب أردخان بجمود وبنبرة ملتزمة.
أرخان: عذرًا يا مولاتي، لا يمكنك الدخول الآن.
شعرت بشيء يمزقها، يتسلل شك كريه إلى عقلها بأن
مراد قد يكون منفرداً مع عائشة أو إحدى الجواري.

زاد التوتر في عينيها، وشعرت بتسارع نبضات قلبها أكثر
فأكثر، كأن صوتاً بداخلها يحثها على المضي قدماً.
تجاهلت مقاومة الحراس، هتفت بصوت محموم.
فاريا: أريد أن أراه الآن، ولن يمنعني أحد.

دفعت الباب بيد ترتجف قليلاً ولكن بحزم، تدخل المكتب
دون أن تسمح لأحد بوقفها وما إن دخلت حتى توقفت
توقف المشهد، وكأن الزمن تجمد حينها، وجدت مراد
جالساً خلف مكتبه، ولكن ليس كما توقعت، لم تكن هناك
امرأة بجانبه، بل كان جالساً بجوار رجل آخر، ملامحه
تكتسي بطبقة غامضة من الغموض والوقار.

كان رجلاً ذو مظهر غريب، يرتدي ثوباً قاتم اللون، عينيه
الداكنتين تخفيان أسراراً قديمة، ووجهه كأنه منحوت من
صخور قاسية.

تفاجأت فاريا للحظة، وسرعان ما شعرت بتوتر خفيف يعتري جسدها وهي تنظر إلى الرجل الذي لم تره من قبل.

لمعت عيناه بالشك والريبة، لكنها حاولت أن تحافظ على رباطة جأشها نظر مراد إليها بعينيه الثابتتين، وكأنما كان يعلم أنها ستدخل.

لحظة صمت طفت على المكان، كأن الزمن توقف لبرهة، حدق فاريا في الرجل الغريب، لم تفارقها شكوكها، بينما عينا مراد تراقبها بهدوء أشعل نار أسئلتها.

وأخيراً، قطع مراد الصمت بنبرة تحمل خليطاً من الصراوة والهدوء وهو ينهض من مكانه.

قال بصوت هادئ ولكنه يحمل بين طياته نبرة تعرف أنها تتفهم جموحها.

مراد: فاريا، اسمحي لي أن أعرفك بأكثر من أثق به بين رجالي، بشير سيكون ضيفي بمناسبة حلول احتفالية ختان حسن.

لم تردد في البداية، وظلت تنظر نحو بشير وكأنها تحاول اختراق ملامحه الباردة والوصول إلى حقيقة مخفية. أخذت شهيقاً بطيئاً.

ثم حدقَت في بشير بحذر متشك،
وردت بسخرية هادئة

فاريا: شرف لي أن أتعرف إلى من يختار السلطان ضيفاً في
مجلسه، لكن هل لي أن أعرف لم لم تخبرني مسبقاً عن
قدوم هذا... بشير الزائر الهام؟

رد مراد بنظرة ثابتة، وقد بدا على وجهه لمحات من الضجر
المختلط بالحذر.

مراد: بشير هنا لأسباب خاصة بمصلحة
السلطنة، وليس من الضروري أن يعرف الجميع بها.

ألقى بشير عليها نظرة قصيرة ولكن بعمق، ابتسماه
صغريرة خفية من الاحترام والخطر في آن واحد، تدخل بشير
مبتسماً ابتسامة خالية من الدفء وبصوت منخفض
يحمل رنة ذات معنى خفيّاً.

بشير: مولاتي، حضوري هنا ليس لمجرد الزائر... بل لأنني
في خدمة السلطان ومسؤول عن أمن القصر.

غمز و بعينيه نظرة مبهمة، وقال بلطف حازم.
بشير: أتمنى ألا تزعجك هذه الأمور.

أجابته فاريا بنبرة تحدي غموضه.

فاريا: أمور القصر باتت تهمني أكثر مما تظن يا بشير، وما
يزعجي هو ما أجهله.

بعدما غادر بشير المكتب بهدوء، حاول مراد أن يخفف من توتر فاريا بدعوة غير متوقعة لتناول الغداء معه في جناحه الخاص.

сад بينهما صمت متواتر بينما جلسا إلى الطاولة، كل منهما يغرق في أفكاره، كانت فاريا تقلب الطعام بصمت، تحاول أن تقرأ في وجه مراد شيئاً من الطمأنينة وسط هذا الغموض الذي يحيط بهما، لكنه كان مثل حصن مغلق، لا يُظهر سوى ما يريد.

فجأة، اقتحمت جارية الغرفة، أنفاسها متقطعة، ثيابها غير مرتبة وممزقة، ووجهها شاحب كأنها خرجت للتو من كابوس.

رفعت يدها المرتجفة نحو مراد وهي تلهمت.
"مولاي... السلطان السابق... السلطان مصطفى... لقد هرب!"

حدق مراد بها بصدمة هادئة تحاول ضبط ما اختلج بداخله من خوف وغضب.

سألها بلهجة متواترة لكن حازمة
مراد: كيف حصل هذا؟ كيف تمكن من الهروب؟

أجبت الجارية بصوت مرتعش.
"لقد حاول قتلي يا مولاي، ومن ثم استطاع التملص من الحرس وهرب إلى الطوابق السفلية، حاولت إيقافه لكن..."

ارتجمت يدها وهي تتذكر مشهد هجومه، بينما
نظرة الذعر تجتاح ملامحها.

تغيرت ملامح مراد، وانعكست على وجهه قسوة سلطوية
نادرة، فنهض من مكانه وأمر الحرس بسرعة.
مراد: شكلوا فريق بحث! لن يرتاح لي بال حتى يُعاد إلى
جناحه!

غادر الغرفة بخطوات سريعة وقلبه يغلي، وترك فاريا تتابع
المشهد بتوتر شديد، محاولة أن تفهم المزيد عن هذا
الشخص الذي اقتحم حياتهما دون سابق إنذار.

مرت ساعات ، وكأنها دهور، حيث انتشرت الفرق في
القصر، وتضاعف التوتر بين الخدم والحراس، وكل من
شهد الهروب يملأه القلق حول ما قد يفعله مصطفى.

وبعد بحث مضني، وتحت أنفاس محبوسة، تمكن الفريق
من إلقاء القبض عليه وإعادته إلى الطابق السري.

في المساء، عادت فاريا إلى جناحها، و لا تزال تفكير في هذا
المشهد، تتساءل من يكون هذا السلطان الذي ملأ القصر
فوضى وشبحه غرس الرعب في أعماق الجميع.

لاحظت نظرة شغف في عينيه كارا، وصيفتها الجديدة،
فأخذت قراراً بطرح سؤالها عليها.

لاحظت نظرة شفف في عينيه كارا، وصيفتها الجديدة، فأخذت قراراً بطرح سؤالها عليها. تحدثت إليها بهدوء وهي تحاول الحفاظ على رباطة جأشها.

فاريا: كارا، من هو هذا السلطان مصطفى؟ وما قصته التي تخيف القصر بأكمله؟

صمتت كارا قليلاً، كأنها تزن كلماتها، ثم أجبت بتردد يشوبه الخوف.

كارا: مولاتي، السلطان مصطفى... هو عم السلطان مراد، تولى الحكم مرتين أثناء فترات انتقالية، لكنه عُزل بسبب جنونه، لقد اشتهر بتصرفات مريبة ومخيفة، يقال إنه أحرق حرمك كامل.. قتل حاشيته دون رحمة، لكن لا أحد يستطيع أن يمسه بأذى أو ينفيه خارج القصر، فهناك فرمان من السلطان أحمد، والد مراد، يمنع قتله أو حبسه في مكان آخر، لذا، خصص له جناحاً في الطابق السري ولا يخرج منه منذ ذلك الوقت.

استمعت فاريا بشغف لكل كلمة، وغموض الطوابق السفلية يلفها بمزيد من الفضول، تراقصت في رأسها أسئلة لا حصر لها، كأن جزءاً من الحقيقة ما زال مفقوداً. ابتسمت ابتسامة تحمل الكثير من الغموض، بينما يتسلل إلى قلبها إحساس بأن سر الطوابق السفلية لا يمكن أن يبقى مغلقاً أمامها إلى الأبد، وأنها ستتجد الطريق إلى ما تُخفيه الأقبية العميقية خلف الظلاء.

في ظلام الليل الدامس، تسللت فاريما
بين ممرات القصر الضيقة بحذر لا يخلو من المغامرة
والخوف، كانت أقدامها تسير بخفة لتجنب إحداث أي
صوت قد ينبه الحرس.

لم يكن فضولها يدفعها فحسب؛ بل شعور غامض بوجود
سر دفين تحت أرض القصر، سر ربما يغير مصيرها إلى
الأبد.

على بعد أمتار قليلة، سمعت هممات خافتة، تقدمت
ببطء نحو الصوت، ويداها تلمسان جدران الطوابق
السفلى. كلما اقتربت أكثر، زاد شعورها بالرهبة والريبة،
وكان جدران القصر تحذرها من المضي قدماً.

وأخيراً، وصلت إلى باب صغير فتحته بصعوبة، لتجد نفسها
في ممر ضيق يقود إلى قاعة فسيحة ذات سقف
منخفض، مضاءة بأضواء خافتة تتمايل مع ألسنة
الشمع.

وفي داخل القاعة، كان يقف مجموعة من الرجال بملابس
سوداء، وجوههم تبدو كتمثال صامت، أجسادهم ثابتة
بينما ينفذون طقوساً غريبة بحركات بطيئة ومنظمة.

كانوا فرقة ضمن الإنكشارية، صفوف من الجنود ذوي
الأجسام الصلبة والوجوه الجامدة، يستمرون إلى
شخص يقف في وسطهم.

بـدا الشخص كـرجل ذو مـظـهر مـهـيـبـ، وجـهـهـ يـحمل عـلامـاتـ الـزـمـنـ، وـمـلـامـحـهـ قـاسـيـةـ لـكـنـهاـ تـحـمـلـ نـوـعـاـ منـ الإـيمـانـ المـطـلـقـ.

كانـ هـذـاـ هـوـ الأـسـتـاذـ، الرـجـلـ الـذـيـ يـشـرـفـ عـلـىـ تـدـرـيـبـاتـهـ الـرـوـحـيـةـ وـيـدـرـبـهـمـ عـلـىـ فـنـونـ الـوـلـاءـ وـالـتـبـعـيـةـ الـمـطـلـقـةـ لـلـسـلـطـانـ.

اختـبـأـتـ فـارـيـاـ فـيـ رـكـنـ مـظـلـمـ، تـجـلـسـ الـقـرـفـصـاءـ لـتـرـاقـبـهـمـ دونـ أـنـ يـلـاحـظـهـاـ أـحـدـ، شـعـرـتـ بـقـشـعـرـيـةـ تـسـرـيـ فـيـ جـسـدـهـاـ حـيـنـ رـأـتـهـمـ يـكـرـرـونـ بـأـصـوـاتـ ثـابـتـةـ أـدـعـيـةـ غـرـيـبـةـ. لـكـنـ مـاـ أـثـارـ اـنـتـبـاهـهـاـ أـكـثـرـ هـوـ دـخـولـ رـجـلـ لـمـ يـسـبـقـ لـهـاـ أـنـ رـأـتـهـ إـلـاـ مـرـةـ وـاحـدـةـ، فـيـ مـكـتـبـ السـلـطـانـ. إـنـهـ بـشـيرـ، الـغـامـضـ.

وقفـ بـشـيرـ بـهـدوـءـ بـجـانـبـ الأـسـتـاذـ، وـأـخـذـ يـتـحدـثـ مـعـهـ بـصـوـتـ خـافـتـ، كـانـتـ فـارـيـاـ تـحـاـوـلـ التـقـاطـ كـلـمـاتـ الـحـدـيـثـ، تـرـهـفـ سـمـعـهـاـ حـتـىـ تـسـمـعـ الـحـوـارـ بـوـضـوـحـ.

سمـعـتـ بـشـيرـ يـقـولـ.

بـشـيرـ: يـجـبـ أـنـ يـقـىـ الـصـوـلـجـانـ بـعـيـدـاـ عـنـ مـتـنـاـوـلـ يـدـ الـبـاحـثـ،

أـكـمـلـ بـشـيرـ بـنـبـرـةـ حـازـمـةـ.

بـشـيرـ: لـوـ حـصـلـ عـلـيـهـ الـبـاحـثـ، سـيـكـشـفـ سـرـ السـلـطـةـ هـذـاـ السـرـ الـذـيـ حـرـسـنـاهـ بـالـغـمـوـضـ لـأـجيـالـ.

رد الأستاذ بصوت منخفض، لكن صارم.
الأستاذ: الباحث لن يصل إلى الصولجان طالما بقي
بين قبضة السلطان.

وأصل الأستاذ حديثه بنبرة مفعمة بالثقة.
الأستاذ: لكن عليك أن تكون حذراً، الصولجان ليس مجرد
رمز لقوته، بل هو المفتاح الذي يحمي عرش السلطنة
وأسرارها.

شعرت فاريا بقلق يتسلل إلى قلبها، كلمات "الصولجان"
و"الباحث" و"سر السلطنة" كانت تتردد في ذهنها كأصوات
متداخلة.

من هو هذا الباحث؟ ولماذا يشكل الصولجان خطراً على
السلطنة؟ والأهم، ما السر الذي يتحدثون عنه بكل هذه
الجدية؟

حاولت الاقتراب أكثر لسماع المزيد، لكن خطوات صغيرة
أدت إلى سقوط قطعة حجر صغيرة تحت قدمها، فأحدثت
صوتاً خافتاً جعل الأستاذ يلتفت نحو المكان بحدة.
توقف بشير للحظة، مستشعراً وجود شخص غريب،
حبس أنفاسه للحظة، لكنه لم ير شيئاً سوى الظلال.

تراجعت فاريا بخفة لتخفي في الظلام، كان قلبها ينبض
بقوة وهي تدرك أنها قد اقتربت من كشف سر خطير، لكنه
يحمل في طياته مغامرة محفوفة بالخطر.

عادت فاريا إلى جناحها وألقت بجسدها المتعب على المقهى المقابل للنافذة الكبيرة، كان عقلها مثقلًا بأسئلة لا تهدأ، وأفكار تتلاطم داخلها كالأمواج الهائجة.

الصلوجان وأسراره، المخطوطه وما كشفته من إشارات خفية، وكل ما قيل عن ذلك الباحث الغامض، كان كل شيء يلتحقها، وكان الأقدار تدفعها نحو طريق محفوف بالمخاطر، لا يمكن الرجوع عنه.

في اللحظة التي بدأت فيها تشعر أن ثقل التفكير ينهكها، انتفضت فجأة وكان قراراً أضاء في عقلها.

وقفت، ورفعت رأسها بعزم، ثم توجهت بخطوات ثابتة إلى مكتب السلطان، شعرت أن هناك شيئاً غامضاً مخفياً في ذلك المكتب، شيئاً قد يقودها إلى معرفة أعمق.

كانت خطتها دقيقة؛ التسلل في ظلام الليل بعيداً عن الأعين المتلصصة، بهدوء وحذر، فتحت باب المكتب ودخلت.

المكان كان غارقاً في ظلام غامض، يضفي عليه جلاً وهيبة، وكان أسرار السلطنة تتراقص على أطراف الكتب والمخطوطات.

تلمست خطواتها بين الرفوف المغبرة، تتنقل
بأصابعها فوق أغلفة الكتب، وعيناها تبحثان بشغف
وجموح عن شيء لا تعرف شكله، لكنها تؤمن بوجوده.

توقفت فاريأ أمام رف داكنٍ، ويديها ترتعشان وهي ترفع
كتاباً ضخماً مغبّراً، وعندما ساحت به من مكانه، انزلقت منه
أوراق قديمة ذات أطراف صفراء، تكسوها
نقوش ورموز عثمانية دقيقة، وقد بدا على أحدها
عنوان خافت بالكاد يُقرأ.
"مخطوطة الوزير المنسي".

أمسكت الأوراق بحذر شديد، تكاد لا تتنفس خشية أن
يتناثر منها شيء، بدا وكأن هذه المخطوطة تخبيء خلف
رموزها سراً دفينًا.

جلست على طاولة مكتب السلطان، وساحت قاموساً
عثمانياً من الرف القريب، وبدأت بتتبع النقوش حرفاً
بحرف، تقرأ وتحلل معانيها بصبرٍ، وعيناها متشبثتان
بالكلمات التي راحت تجتمع ببطء أمامها.

تناسب من النقوش تفاصيل عن إرث السلطنة، وتتطرق
لبعض الكلمات الغامضة عن الصولجان و
"القلعة الغامضة والعرى الأخير".

بدت الرموز مبهمة، لكنها بعدها ترجمت
كانت تضمن إشارة واحدة تكررت.
"في الغابة، حيث تتشابك الأشجار مثل الأيدي، ينكشف
درب الحقيقة."

شعرت فاريا بتواتر يتزايد داخلها و أدركت أن هذه الإشارة
هي خيط يقود إلى مكان ما، إلى الغابة التي تعرفها، المكان
الوحيد الذي قد تجد فيه الباحث.

ارتدىت عباءة ثقيل، وأخفت ملامحها بغطاء الرأس، ثم
تسلىت من القصر بحذر شديد، تسير تحت جنح الظلام
بخطواتٍ هادئة على أطراف أصابعها.
شققت طريقها عبر الأزقة الضيقة، تراقب كل حركة من
حولها، حتى وصلت إلى الغابة المظلمة في أطراف
الإمبراطورية.

كان الليل خافت الإضاءة، يغمره سكونٌ غريب، تقدمت
فاريا بين الأشجار المتشابكة، تبحث عن المكان الذي
تقاطع فيه الأغصان، المكان الذي ترشدها إليه كلمات
المخطوطة.

لمحته أخيراً بين الظلال، رجل طويل القامة، ذو لحية كثيفة
وملامح شديدة الغموض، اقتربت منه بخطوات حذرة،
وعندما أصبحت على مقربة منه، رفع عينيه لينظر إليها
بعمق، ثم قال بصوت خافت يكاد يكون همساً

"فاريا، المخطوطة قادتك إلى هنا كما توقعت فهي مفتاح لأسرار ستغير كل شيء: إرث السلطنة، والصolgاجان."

حدقت به بحدة، وقالت بصوت يشوبه الحذر والتحدي.
فاريا: كيف عرفت أنني فاريا؟

ابتسم الباحث ابتسامة باردة وهو يجيبها.
كمال: أسمي هو كمال، ولدي الكثير من الأعين بقصر السلطان.

تنهد بجسم و تحدث بلهجة ذات جدية.
كمال: والآن فاريا، أنت تقفين على مقربة من بوابة الحقيقة... كل شيء بين يديك.

أجابتـه بتشكيك و تهجم.
فاريا: لماذا علىـ أن أصدقـكـ أـيـهاـ الـبـاحـثـ؟ـ وـكـيـفـ أـسـمـحـ لـنـفـسـيـ أـنـ أـخـونـ مـرـادـ؟ـ لـنـ أـضـحـيـ مـنـ أـجـلـ الـعـرـشـ مـهـماـ كـانـتـ هـذـهـ الـأـسـرـارـ.

ابتسم كمال بمرارة ورفع يده بتأنٍ، ثم قال.
كمال: فاريا، ربما نسيتـيـ، لـكـنـكـ فـقـدـتـ الـكـثـيرـ بـسـبـبـ هـذـاـ العـرـشـ؛ـ اـبـنـكـ،ـ وـ وـصـيـفـتـكـ لـيـلـىـ التـيـ كـانـتـ لـكـ كـالـأـخـتـ.

اقرب منها وهمس بصوت بالكاد يسمع
من بين الأغصان.

كمال: تذكري، مراد لن يتوازن عن التضحيه بأي شيء
للحفاظ على سلطته، حتى وإن كنت أنت من يقف في
طريقه، الآن تملكين خياراً، خيار الانتقام واستعادة جزء
من نفسك التي أطfaها القصر.

شعرت فاريا بغصة تخنقها؛ ذكرياتها مع ابنها وصديقتها
الراحلة بدأت تفيض كجراح مفتوح، لكن حبها لمراد لم
يفقد بريقه في قلبها، رغم كل الخسائر.

تمتمت بصوت خافت ومتrepid.
فاريا: لا أستطيع... لن أخونه مهما كان الثمن.

هز كمال رأسه بتفهم، وقال بصوت هادئ.
كمال: أنا لا أطلب منك الخيانة.

لكن إن رغبت في كشف الحقيقة، ستتجدني في القلعة
الغامضة على حدود الإمبراطورية هناك يمكننا كشف
أسرار المخطوطة والوصول إلى قيمة الصولجان قبل أن
يستغله من لا يستحق.

نظرت فاريا إلى الظلال المحيطة، ثم إلى كمال الذي بدأ في الانسحاب، تاركاً إياها تواجه قرارها بنفسها، وأسراره تتغلغل في أعماقها كجذور شجرة عتيقة.

ظللت فاريا واقفة وسط الغابة، تتأمل اختفاء كمال في الظلال المتشابكة، وكلماته تتردد في أعماقها كهمس عالق.

كانت تشعر بثقل يضغط على صدرها، يتسلل منه خوف غير مألف، خوفٌ من اكتشاف الأسرار التي حملتها في لحظة ضعف، وخوفٌ من مراد إذا ما علم بما سمعت إليه.

أفكارها تضاربت كأنّها أمواج عنيفة، تجذبها بعيداً عن شاطئ الهدوء الذي كانت تتوق إليه.

كانت تعرف أن خطواتها نحو كمال والصolgajan هي عبر نحو حقيقة مجهولة، وأي قرار قد يتتخذه مراد إذا اكتشفت أفعالها قد يكون قاسياً، لا يقف عند حدودها فقط، بل قد يطال قلبها منهك وسنوات حبّها له.

و كانت تخيل وجهه المرهق الذي تحبه، لكن ملامحه القاسية التي تراها في خيالها الآن تشعرها بالبرد، تذكرت الصمت الذي قد تواجهه في حضوره، الصمت الذي سيكون كفيلاً بسجنهما في عينيه القاسيتين، حيث لن يرحمها أو يعذرها إن اقتربت من حدود سلطته.

همست لنفسها، وكأنّ الكلمات تحملها الرياح
عبر الأشجار المحيطة.

"هل سيعرف؟ وهل سأتحمل خيانتي لثقته إذا انكشف
أمرى؟"

لم يكن أمامها الآن سوى الصمت والترقب.

كانت فارياجالسة في جناحها

تحيك جوارب صوفية دافئة لمراد ببطء وترىّث، وكل غرزة في الصوف كانت تعكس جزءاً من حزنها الدفين، وكأنّها تحاول أن تغزل بها ذكرياتها وشجاعتها.

عيناها المثقلتان بالهموم كانتا تلتحقان بضعف خيوط الصوف، لكن عقلها شارد بعيداً، مستعيداً صور طفلها المفقود وصديقتها الوفية ليلى، وكل جرح لم يندمل رغم السنين.

فجأة، تناهى إلى مسامعها حديث الجواري من خارج الجناح عن تحضيرات القصر لمراسم ختان الأمير حسن، ولي العهد.

شعرت بفارغة قلبها حين عرفت أن القصر بأسره سيفضح بالاحتفال؛ الجميع، بمن فيهم مراد، سيكون مشغولاً. ومن هنا أدركت أن هذه الفرصة قد تكون الوحيدة لاسترجاع جزء من قوتها المفقودة.

في صباح يوم تميّز ببهاء نادر، وقف توبكابي
القصر العثماني متوضحاً بأبهى حلله، محاطاً بأجواء
احتفالية تملأ الأرجاء.

السماء زرقاء، تترافق صوتاً أصداها الطبول المرتفعة،
والزغاريد تتناثر كحبات النجوم، تشي ببهجة غامرة لمراسم
ختان ولّي العهد، الأمير حسن.

الذى تأخر ختانه عامين، لكن هذا التأخير لم يزد الحفل إلا
مهابة، فهو ولّي العهد الوحيد الذى تخطى سن البلوغ دون
أن يموت مثل أخوته.

امتزجت رواح البخور والزيوت العطرية في الأرجاء، تتسلل
من الشرفات والممرات، حيث تزيّنت الأروقة بالألوان
القانية والمذهبية، وأزهرت حدائق القصر بأطياف زاهية،
تجسد العظمة السلطانية.

وفي الخارج، كانت ساحة القصر تعجّ بمشهدٍ مهيب لأفراد
الانكشارية، وهم يستعرضون قوتهم بانتظام عسكري صارم.

اصطفّ الجنود في تشكيلات محكمة، تتناغم حركاتهم مع
أصوات الطبول القوية التي تردد أصداها عبر جدران
القصر، وكأن الأرض نفسها تهتز تحت وقع أقدامهم.

بينما ترفرف الرايات العثمانية عالياً، يتخللها بريق السيف
والدروع المتراصية كالأبراج، ليضفي على المشهد رهبة
تعزز من هيبة السلطنة.

وعلى الجانب الآخر من الساحة، كان الدرويش
يتمايلون في حلقات راقصة، تنوراتهم البيضاء
الواسعة تدور حولهم كأطیاف ناعمة، في رقصة روحية ترفع
أجواء الاحتفال إلى بعد آخر من التصوف والجلال.

تحتل هذه الرقصة الساحة بقدسيتها، وكان الحاضرون
يتابعون المشهد في صمت إجلال، بينما تدور أجساد
الدرويش في انسجام تام، وكأنهم يرتفعون عن الأرض إلى
عالم آخر، عالم يحمل في ثناياه غموضاً وسكوناً.

وفي إحدى زوايا القصر الواسع، كان السلطان مراد منشغلًا
مع وزرائه وضيوفه من الراقصة.

جلس بينهم بوقار السلاطين، ينصلت إلى كلماتهم وهو
يرمقهم بنظرة نافذة، المحادثات تدور حول مستقبل
السلطنة والسياسة الخارجية، كلمات ذات ثقل، تليق بمقام
مراد وشخصيته التي تفرض نفسها على الجميع.

في تلك الأثناء، كانت فاريا تسير بخفية عبر الممرات، وسط
صخب الاحتفالات وسحر الرقصات ومهابة الاستعراضات،
مقنعةً أن هذه اللحظة، بقدسيتها وعظمتها، هي فرصتها
الوحيدة للتحرك دون أن يلحظ أحد غيابها.

تسللت فاريا وسط هذه الهالة المهيبة كظل لا يُرى،
خطواتها صامتة رغم صخب الاحتفال، كل نبضة في قلبها
كانت تقرع كجبلة الصنِّيجات، لكن مظهرها الهدائِي كان
يُخفي عاصفةً مشتعلةً في داخلها.

كانت تعرف كل ركن في جناح السلطان، كل انعطافه في الممرات الطويلة، لكن اليوم كانت خطواتها أثقل، محملة بقرار كبير ونداء مكتوم.

و في أعماق قلبها، تدرك أنها على وشك التسلل إلى عرين القوة، إلى حيث يحتفظ مراد بسره الأعظم: الصولجان، ذلك الرمز العريق المتوج بقوة السلاطين.

تعرف تماماً هدفها، و تعرف مكان الخزانة السرية حيث يحتفظ مراد بالصولجان، رمز القوة والسيادة، بعيداً عن الأعين.

تقدمت بخطوات حذرة نحو الخزانة، وكانت أنفاسها تتسرع مع كل خطوة كأنها تعي أن هذه اللحظة قد تغير مصيرها إلى الأبد.

فتحت باب الخزانة بحذر شديد، وراحت تبحث بين الأغراض بعيون متيقظة، وعندما وقعت عيناهما على الصولجان، شعرت برهبة غامرة، كأنها تلمس إرثاً عتيقاً ينضح بالقوة والسحر.

مدّت يدها المرتجفة ببطء، تلامس الصولجان، وتغمض عينيها وهي تخيل الثقل الذي يحمله في تاريخه.

وَفِجَاءَتْ تَحْوِلَتْ رَهْبَتْهَا تَحْوِلَتْ إِلَى هَلْعَ مَفَاجِئْ
عِنْدَمَا سَمِعَتْ صَوْتَ الْبَابِ يُفْتَحْ بَعْنَفْ.

الْتَفَتَتْ لِتَجَدْ مَرَادْ يَدْخُلْ، وَخَلْفَهُ كَوْسِيمْ
وَعَائِشَةَ، وَقَدْ وَقَفُوا هُنَاكْ، يَحْدَقُونَ بِهَا بَذْهَوْلْ.
حَدَقَ مَرَادْ فِيهَا، وَالْغَضْبُ يَشْتَعِلُ فِي عَيْنِيهِ كَجَمْرٍ مَشْتَعِلْ.

تَقْدَمَ نَحْوَهَا بِخُطُوَاتٍ ثَابِتَةَ، وَصَوْتُ هَادِرَ كَالْعَاصِفَةِ، وَقَالَ
بِنْبِرَةٍ مَحْمَلَةَ بِالْاَتَاهَمِ وَالصَّدَمَةِ.
مَرَادْ: فَارِيَا، مَا الَّذِي تَفْعَلِيْنِهِ هُنَاكْ؟ وَلِمَ تَمْسِكِينَ بِالصُّولْجَانِ؟

تَحْجَرَتِ الْكَلْمَاتُ فِي فَمِ فَارِيَا، وَشَعَرَتْ أَنْ جَمِيعَ مَحاوَلَاتِهَا
لِلْهَرْبِ قَدْ انْهَارَتْ تَحْتَ وَطَأَةِ عَيْنِيهِ ثُمَّ هَمَسَتْ بِأَرْتِبَاكَ.
فَارِيَا: مَرَادْ... كُنْتَ فَقَطْ...

لَكِنْ كَوْسِيمْ كَانَتْ أَسْرَعَ مِنْهَا بِكَثِيرٍ، اقْتَرَبَتْ بِخُطُوَاتٍ نَاعِمَةَ،
وَنَظَرَةٌ خَبِيثَةٌ عَلَى شَفَتِيهَا.

وَقَالَتْ بِصَوْتٍ مَغْلُفٍ بِالسَّخْرِيَّةِ.
كَوْسِيمْ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ يَا مَوْلَايِ؟ هَذِهِ الْمَرْأَةُ لَيْسَتْ سُوَى
جَاسُوسَةَ أُرْسَلَتْ مِنْ أُورُوبَا لِتَدْمِيرِ عَرْشِكَ، مِنْ غَيْرِ
الْجَاسُوسَةِ يُمْكِنُ أَنْ تَتَسلَلَ إِلَى جَنَاحِكَ وَتَضَعَ يَدَهَا عَلَى
صُولْجَانِكَ؟

تفجرت مشاعر الغضب والظلم داخل فاريا
كحمن بركانية، وصرخت بقوة.

فاريا: هذا غير صحيح مراد ! لست جاسوسة، مولاي
أقسم لك أنا لا أسعى لاقتلاع عرش السلطان..

لكن مراد ظلّ صامتاً، نظرته مشبعة بالخذلان
والشك، كأن كلماتها لا تكفي لتصل إليه.

قال بصوت جامد، كأنما يصارع غضبه.
مراد: إذن، ما الذي كنت تفعلينه، فاريا؟ ما الذي يجبرك
على لمس الصولجان، وأنت تعرفين ما يعنيه؟.. فاريا؟
أجبيني.

لكن فاريا، بكت بصمت وهي تدرك أن كلماتها
أضعف من أن تجيب عن أسئلته، وانحنىت برأسها،
وعيناها تشعّان بالحزن العميق.

تذكرت في تلك اللحظة الوعود التي قطعتها، والأحلام التي
رسمتها، لكنها شعرت أن كل شيء يتلاشى بين يديها
كرماد، كانت دموعها تساقط بصمت، وهي عاجزة عن
كسر الجدار الذي حلّ بينهما.

و كوسيم، التي كانت تقف في الخلف، راقبت المشهد
بابتسامة ساخرة، تشفيّا واستمتاعاً بانتصارها.

همست بصوتٍ بالكاد يُسمع، متوجهةً لمراد.
كوسيم: أرأيت، مولاي؟ الدموع لم تكن يوماً دليلاً براءة،
وليس أول مرة تُستخدم لأخفاء خيانة دفينة.

بينما كادت فاريا تسقط من الحزن، نظر
إليها مراد نظرة مليئة بالخذلان، نظرة لم تكن تتنمّى
يوماً أن تراها في عينيه.

وبعد لحظات من الجمود الموجع، أمر مراد بصوت حازم أن
يتم حبس فاريا في جناحها، حيث لن يغادرها سوى الوحدة
التي رافقتها منذ فقدانها ابنها ووفيتها ليلي.

كانت الأبواب قد أغلقت بقوة خلفها، تاركة إياها أمام
جدران تعرف كل آلامها وتحتضن أسرارها.

و في تلك اللحظة التي أصدر فيها مراد أمره بحبس فاريا
في جناحها، كان صوته مشحوناً ببرودة لم يكن معتاداً
عليها، كأنه يغلق باباً على مشاعره بنفس القوة التي
أغلقت بها الأبواب خلفها.

وقف للحظات ينظر إلى الباب المغلق، بينما ينعكس في
عينيه صراع لم يُفصح عنه، أحس بثقل القرار الذي اتخذه،
لكنه أخفاه تحت قناع الصلابة الذي أتقنه منذ زمن بعيد.

بينما فاريا، من داخل غرفتها، لم تقاوم أو تتحجج، فقط استسلمت للصمت العميق الذي أحاط بها، شعرت وكأن الجدران التي جبستها تحوي أيضاً جزءاً من روحها المتعبّة، تئن تحت وطأة أسرارها وألامها التي لم تُفصح عنها.

مرّت الأيام كأنها أزمنة بعيدة، لا تنتهي، وساد السكون الرهيب على جناح فاريا، أخبارها كانت تصل إلى مراد، الذي رغم قراره القاسي، لم يتوقف عن التسلل بنظراته إلى باب جناحها في كل مرة كان يمر به، وكأن شيئاً في داخله كان يدعوه أن يعود إليها، أن يكتشف ما آلت إليه.

عندما سمع أنها لم تمس طعاماً أو شراباً، كان ذلك الخبر كطعنة في قلبه، أبعد من مجرد قلق؛ كان خوفاً مكبوتاً، وأثار حب قديم ما زالت تؤلمه.

بدأ مراد يشعر بالقلق وهو يتساءل عما إذا كان قراره قد حمله نحو النهاية التي لم يكن يريد لها لها.

كان يعلم في أعماقه أن هناك حبّاً لم ينطفئ بعد، رغم الشكوك والخيانة التي لطخت علاقتهما، وبعد صراع داخلي طويل، لم يستطع تجاهل صوتاً خفيّاً كان يدعوه أن يتتجاوز غضبه، وأن يرى ما آلت إليه فاريا بعينيه. أخيراً، قرر زيارتها.

دخل مراد إلى جناحها بخطوات ثقيلة، كانت
فارياجالسة على الأرض، عيناهما الغائرتان تحدقان في
اللا شيء، ووجهها شاحب كأن الحياة غادرته.
اقترب منها ببطء، جلس بجانبها، وصوت
خافت خرج منه.

مراد: فاريا... لماذا ترفضي الحياة؟ لم تُضربين عن الطعام
والشراب؟

رفعت رأسها ببطء لتنظر إليه، وكأنها تحاول العثور على
شيء ضائع في وجهه

شفتهاها ارتعشتا قبل أن تنطق بهدوء يلفه الأسى.
فاريا: مراد، كيف أسعى للحياة وأنا أعد نفسي من
الأموات؟ الأموات لا يؤلمهم الجوع، ولا يشعرون
بالعطش، لم يعد للجسد معنى حين تسلب الروح، وحين
يفقد القلب من أحب ومن وثق بهم...
أليس من حقي الآن أن أكون ميتة؟

أحس مراد بوخذ كلماتها تخترق روحه.
صمت للحظة، ثم قال.

مراد: فاريا، كان يمكننا إصلاح الأمور لو صارحتني، لكن ما
فعلتيه جعلني أفقد الثقة وأحرجني أمام الجميع... هل
كان خطئي، أم خطأك؟

أجابته فاريا بنبرة تحمل معها كل خيباتها.

فاريا: الخطأ كان في الأمل، مراد، أني سمحت لنفسي بأن أكون جزءاً من قدرك، وحلمت أني سأعيش حياة حقيقة، كنت أظن أني سأجده فيك ملاداً آمناً، لكنني فقدت كل شيء، طفل لم يولد، وصديقتي الوحيدة بين جدران قدرك وأنا الآن... أصبحت مثل الظل.

ضحك بمرارة وهتفت بهمس.

فاريا: ظل السلطان مراد.

وقف مراد، تأمله وجهها المنهك المبتسم بمرارة، ولم يجد شيئاً ليقوله ثم أنسحب مغادرّ بصمت..

خيم الليل بظلاله الثقيلة على القصر، وغطى
الظلام الأجنحة في صمت يئن بأسرار قاسية؛ كأن القصر
نفسه شاهد عتيق على نهاية كان لا بد لها أن تحدث.

انعكست ظلال القمر على الأرضيات الرخامية، وتسلىت
الرياح عبر النوافذ العالية، تحدث صوتاً خفيفاً كأنها تسجل
اللحظات الأخيرة في دفتر ذكرياتها السرية.

مراد، الذي كان يلتقط أنفاسه بصعوبة، قرر في صمت أن
هذا اللقاء سيكون الأخير، كان دخوله إلى جناح فاريا كآخر
خطوة في طريقٍ طويلٍ من الشك والألم.

خطواته كانت بطيئة مثاقلة، كأنها تحمل عبء أزمان من
الندم؛ كانت خطوات حذرة تنبض بكل الصراع الذي يعيشها
داخله، و عند المدخل، وقف للحظة كأن الزمن توقف؛ تطلع
نحو فاريا بنظرة مشبعة بالخذلان والألم، وبينهما ذكريات لا
زال تحاول التمسك بالحياة.

بينما كانت فاريا جالسة، متکئة على حافة النافذة، وقد
انعكست في عينيها ذكريات الماضي بأطياف خافتة،
نظرتها محاطة بهدوء مظلم كمن أدرك النهاية قبل أن تبدأ.

لم تلتفت نحوه عندما دخل، لكنها شعرت بوجوده، وبقيت
تنظر صامتة كمن يعرف أن المصير قد حُسم.

عندما وقف أمامها، لم تنتفض أو تتراجع، بل بقيت في مكانها، مستسلمة لتلك اللحظة، تحدق فيه بنظرات تعكس أوجاعها وصبرها.

التقت نظراتهما للحظة طويلة، تتحدث عيناه عن كل ما كان، وعيناهما تخبران ببساطة الحزن الذي يصعب التعبير عنه.

بصوت متحشرج، وكأن كلماته تأتي من أعماق روح جريحة، همس مراد.

مراد: لماذا، فاري؟ هل كان لابد أن ننتهي هنا؟ هل كان قدرنا أن نسير في درب لا عودة منه؟

تردد صوته في الفراغ، كأنه سؤال لا ينتظر إجابة، لكنه رجاء خافت في تفسير يشفى ما تبقى من قلبه.

رفعت فاري عينيها وابتسمت بابتسامة متلاشية، فيها ظلال من آلام عاشتها، ورددت بصوت هادئ حزين، ثم تلعلت إليه بعينين متقدتين بمراارة اللحظات الضائعة

وقالت بابتسامة باهتة، كمن تقبل قدره. فاري: مرادي، كان يجب أن أستعيد نفسي، حتى لو كان الثمن هذه النهاية.

أحياناً نحتاج للوقوف على حافة الحياة لندرك من نحن، حتى وإن كان ذلك يعني السقوط.

كانت كلماتها تتردد في أرجاء الغرفة كأنها صدى لحقيقة قاسية تقبلتها بروح مكسورة، كمن قرر طواعية أن يسير في طريق اللاعودة.

أما مراد فبدا كمن ابتلع الطعنة الأخيرة؛ كان يدرك أن الكلمات لم تعد كافية، وأن اللحظات التي تجمعهما باتت معدودة.

في تلك اللحظة شعر كأن شبحها، ذلك الحب المنطفئ، يحيط به ويثقل روحه.

بهدوء، همس وكأنها اعتراف شخصي، وكأن حزنه كان أكبر من أن تحمله الكلمات.

مراد: فاريا، جئت لأودّعك، ربما فقدت أنا أيضًا جزءاً من روحي في هذا المكان، شيئاً لن يُعوّض، لكن رغم كل شيء ستظلين حبيبتي الوحيدة.

تطلع إليها بنظرةأخيرة، وكأن عينيه تودّع صورتها في مخيلته للأبد، ثم أشار بصمت إلى الحراس المثلمين الواقفين متشحين بالسواد خلف الباب.

تقدّم الرجال بخطوات ثابتة، وجوههم بلا تعبير، كأنهم ظلّوا خارج مسرح المشاعر، بينما بقيت فاريا تحدق في وجه مراد؛ تبحث عن فهمٍ أخير، عن تبرير لنهايةٍ ظالمة.

لم تقاوم، لم ترفع يدها، بل بقيت تنظر إليه بهدوء المودع، ثم وقفت بقوه وصمته، تتحدى في نفسها كل العواصف التي مرت بها.

وعندما أحاط الجلادون عنقها بالحبل، بدا للحظة أنهم يتربدون، وكأنهم يشاركون في قرار ثقيل على الجميع. لكنّها ابتسمت بهدوء، كمن يعرف أن النهاية قد حُسمت.

أما مراد، فقد وقف لوهلة ينظر إلى المشهد بعينيه الذاهليتين، ثم تراجع بخطوات متعرّة، وكأن الحياة انسحبّت من روحه.

خرج من الجناح ببطء دون أن يلتفت، كأنه يحمل روحه الممزقة، تاركًا وراءه جسدًا معلقاً وذكري امرأة كانت ملادّاً ذات يوم، حبّاً بات طيفًا في زوايا القصر.

وفي الصباح، حينما اكتشف الحراس
الجسد المعلق الذي يغطيه ثوب أبيض ناعم، اجتاح
الصمت القصر كأن الجدران نفسها تندب.

وكان الطيف المتوج لذلك الحب المنطفئ ظلّ عالقاً،
يراقب من ظلال الممرات، يبحث عن تبريرٍ لنهايةٍ لم
يُكتب لها النجاة.

بينما مراد، من بعيد، كان يراقب بعيون
فارغة، متسائلاً في داخله عن حقيقة ما
كان بينهما، وعن تلك النهاية التي
جردتھما من الحب، لتنزل روحها تطارده،
كأنها تأسّله إلى الأبد.

الفصل العاشر

حُكَّامُ الْعَرْشِ

في هدوء الليل الحالك، حيث يتسلل ضوء
الشمع واهناً من خلال نوافذ القصر الباهتة، سادت قاعة
جناح فاريا هدوء يثقل على المكان، كانت الرياح تداعب
النوافذ المفتوحة، تصدح بألحان حزينة تُحاكي الغائبين.

سار السلطان مراد في دهاليز القصر ببطء، غارقاً في بحرٍ
من الذكريات المتراكمة، يطارده طيف فاريا كظلٍ لا يفارقها.

وبرغم مرور الأيام، بقيت صورتها معلقة في ذاكرته،
ترسم كل لحظة عاشها معاً، ضحكتها الهاربة، بريق
عينيها، وتلك النظارات التي كانت تخبيء ألف حكاية وألم.

اقرب بخطواته المتثاقلة نحو جناحها المهجور، المكان
الذي شهد ولادة حبهما وكسره.

كان يخشى دخول هذا الجناح، كأنه يخشى مواجهة ذاته
العارية وسط بقائها.

مد يده بتحسّن نقشات الباب القديمة، كأنه يستنطقها
قبل أن يدفعه برفقٍ إلى الداخل.

وما إن انفتح الباب حتى اندفعت رائحة عطرها الممزوجة
برائحة الكتب، تلك الكتب التي كانت ملاذها.
وقف مراد عند العتبة، ممسكاً بصولجانه بحزم، كأنما
يبحث فيه عن قوة تكبح موجات الشجن التي اجتاحت
قلبه.

تأمل الغرفة التي بدت كأنها ترتعش
بوجوده، فستانها المعلق، أدوات زينتها المتناثرة، ومرآتها
التي تشهد على أحلامها المكسورة.

اقرب من رف الكتب، حيث اعتادت أن تقضي ساعات
بين صفحاتها، وبينما كان يتفقد أحد كتبها المفضلة،
سقطت ورقة بخفة نحو الأرض.

انحنى لالتقاطها، فعرف خطها الرقيق الذي لطالما كان
ينساب على الورق كأنفاسٍ هائمة، بيدين مرتعشتين،
فتح الرسالة وبدأ يقرأها.

"إلى نفسي،
في هذا اليوم الذي لم يكن عادياً، أدركت أنني سأعيش
تحت ظلاله، وربما لن أفلت من قبضته يوماً.

إنني أحبه، ولكن هذا الحب يتركني ممزقة بين الرغبة في
أن أبقى واليقين بأنني سأنتهي.
حاولت كثيراً أن أخفِّي خوفي عن مراد، أن أحافظ بقلقي
خلف ابتسامة.

كنت أعلم أنني لا أملك إلا الحزن قناعاً، وأتساءل هل
سيدرك مراد يوماً مدى الألم الذي خبأته، التضاحية التي
قدمتها لأسير في هذا الطريق؟"

تنهد وهو يقرأ السطور الأخيرة:
"أكتب هذه الكلمات لأنذكر من كنت، قبل أن تتحول
هويتي إلى شيء آخر، كنت فاريا فيتريو دي روسيني،
والآن أصبحت فاريا آل عثمان."

مع كل حرف قرأه، كانت الدموع تنهمر من عينيه على
الورقة، تمسح فيها كبراء سلطان غافل عن ألم حبيبته.
رفع مراد رأسه ونظر إلى المرأة، انعكس فيها وجهه
الشاحب ونظراته المنكسرة.

سأله نفسه بصمت خانق.
"كيف لم أكن لها عوناً؟ كيف عجزت عن فهم آلامها وهي
تبكيها بصبر؟ كيف كنت جزءاً من معاناتها؟"

تجول بنظره حول الغرفة، شعر أن الجدران تخنقه برائحة
الماضي الحزين، كأنها تهمس أن الحب وحده لم يكن
كافياً.

وبطء، استدار ليخرج من الجناح، وقد ارتسם على وجهه
الم عميق.

اقتنع أخيراً أن فقدانه لها كان محتوماً، وأن جبهما لم يكن
سوى قدر كتب عليهمما الفراق.

اشتدت العتمة التي تخيم على القصر، لكنها
بدت أثقل في قاعة العرش حيث جلس السلطان مراد
على عرشه كأنه صورة للسلطة نفسها.

ظلال الشموع المرتعشة ترسم لوحات متراقصة على
السقف المزخرف، فيما انعكاس ألسنتها على وجهه أضفى
على ملامحه صلابة أشبه بالصخر.

كان ذو الفقار باشا يقف أمامه، محاولاً أن يبدو رابط
الجأش، لكن كل حركة في يديه وكل نبضة في عروقه
تكشف عن التوتر الذي ينهش أعماقه، الغرفة غارقة في
صمت ثقيل، وكان الجدران نفسها تنتظر ما سيقال.

وبصوت منخفض لكنه يحمل ثقلًا كالجبل.
مراد: أخبرني، يا ذو الفقار... لماذا أحلامي بالسلام تُغتال
واحدة تلو الأخرى؟

رفع ذو الفقار عينيه ببطء، محاولاً تفسير كلمات السلطان،
لكنه قبل أن ينطق.

أكمل مراد بصوت حاد
مراد: كل شيء، فاريا، وريثي، حتى الصولجان الذي كاد
يُسرق من تحت أنفي... أين كنت أنت؟ أم أنني أعمى لا
يرى؟

حاول ذو الفقار السيطرة على ارتعاش صوته
و ترتيب كلماته ثم صرخ
ذو الفقار: مولاي، أعداؤكم يتربصون في كل زاوية، داخل
القصر وخارجه، لكنني... كنت دائمًا في خدمتكم.

ارتسمت ابتسامة خافحة وساخرة على وجه مراد، لكنه
نهض فجأة، خطواته تقطع الصمت كأنها تدق مسمارًا في
نعش الأمان الوهمي لذو الفقار.

اقرب السلطان مراد ببطء من مكتبه، وفتح أحد أدراجه
مخرجً منه خريطة مرسومة بدقة ثم ألقاها بعنف على
الطاولة أمام ذو الفقار.

هتف مراد وهو يشير إلى الخريطة
مراد: هذه القصور، هذه الأراضي، كلها تحت سيطرتي، أو
هكذا أخبر نفسي كل يوم، لكن الحقيقة أنني فقدت كل

شيء! هل تعرف ما كتبت فاريما قبل موتها؟
توقف مراد للحظة، كأنه يتأمل الحزن الذي ينهش داخله،

ثم أضاف بصوت يحمل نبرة تهديد خفي
مراد: كتبت أنها خائنة، وأنها أرادت سرقة الصولجان،
لكنني أريد أن أعرف و الآن... لماذا؟ ومن دفعها؟

وقف ذو الفقار، متواتراً لكنه يحاول استعادة
توازنه ومكانته كصدر أعظم للدولة ثم بثقة تحرى.
ذو الفقار: مولاي، ما زالت هناك خيوط كثيرة مفقودة، أنا
أعمل جاهداً لاكتشاف الحقيقة.

اقرب مراد أكثر، حتى بات وجهه على بعد خطوات قليلة
من ذو الفقار، عينيه كانتا مشتعلتين بنار دفينة وكلماته
تحمل غضب محقق
مراد: أنا لا أريد أعداً، أريد أسماء، إن كان هناك من
خاني، سأحرقه بيدي وإن كنت تخفي شيئاً أقسم أنك لن
تزال رحمة وستدفع الثمن أنت أولاً.

لم يجرؤ ذو الفقار على رفع عينيه مجدداً، لكنه حاول إظهار
ثقة مصطنعة وهو يرد.
ذو الفقار: أقسم لكم، يا مولاي، سأكشف كل شيء قريباً.
الحقيقة لا بد أن تظهر.

وبابتسامة باردة تحمل تهديداً واضحاً أكمل مراد حديثه.
مراد: قريباً؟ قريباً جداً يا ذو الفقار، لن أقبل أي تأخير وإن
كنت متورطاً... سترى ماذا يعني أن تخونني.

انحنى ذو الفقار ببطء، ثم انسحب بخطوات ثقيلة، وعرق
يتصبب من جبهته خلفه.

بينما مراد بقى واقفًا بجانب الطاولة، قبضته
مشدودة على الحافة الخشبية للخريطة، وعيناه تحدقان
في الفراغ كأنه يرى خيانة تفوق كل ما تخيله.

و بصوت منخفض يكاد يكون همساً
لن أسمح للماضي أن يعيد نفسه... سأعرف الحقيقة،
مهما كان الثمن.

في ذلك الصمت الخانق، بدا أن القصر نفسه يحبس
أنفاسه، انتظاراً لعاصفة الحقيقة التي قد تُسقط
الجميع.....

كان الليل هادئاً يخيم على أرجاء القصر، لكنه هدوء كاذب، مشحونٌ بالسكون الذي يسبق العاصفة، الحديقة الخاصة بالسلطانة الأم كوسيم مظلمة إلا من بعض المصايبح الزيتية التي ترسم دوائر خافتة من الضوء على الأرض.

بينما تقف كوسيم بجوار النافورة، عيناها تراقبان سطح الماء الساكن، لكن عقلها يغلي بالأفكار. خطوات ثقيلة تقطع السكون، فتلتفت لتجد ذو الفقار قادماً، وجهه مشحون بالقلق والتردد. كوسيم: ما هذا الوجه القائم، ذو الفقار؟ هل أتيت تحمل لي أخباراً سيئة؟

أجابها ذو الفقار بصوت منخفض يشوبه توتر واضح. ذو الفقار: مولاتي، الوضع أصبح خطيراً. السلطان بدأ يشك... بل يكاد يكون واثقاً من وجود من يتآمر ضده، لقد استدعاني للتو، وكان استجوابه حاداً كحد السيف.

نهدت كوسيم، عيناها تضيقان بخث وحدر. كوسيم: وماذا قلت له؟ هل تفوهت بشيء؟ ذو الفقار: بالطبع لا، لكن مراد ليس أحمقًا يا مولاتي، إنه يرى أكثر مما نظن، وإذا لم تتحرك بسرعة، سيكتشف كل شيء... ولن يكتفي بإبعادي عن القصر.

تساءلت كوسيم، بابتسامة باردة تخفي
خلفها توترًا.

كوسيم: إذن، ما الذي تقتربه؟ هل سنقف مكتوفي الأيدي
وننتظر مصيرنا؟

تحرك ذو الفقار وأخذ يقترب منها بخطوات قلقة.
ذو الفقار: لا مجال للتrepidation، سلطانة، مراد بدأ يضيق
الخناق، وإذا لم نتصرف، سيكشف مخططاتنا واحدة تلو
الأخرى، لدينا خياران فقط، إما أن نقدم له كبش
فداء يلهيه عن الحقيقة، أو...

هتفت كوسيم مقاطعة بنبرة حادة،
كوسيم: أو؟

استكمل ذو الفقار بصوت ينخفض حتى يكاد يكون همسا.
ذو الفقار: أو نتخلص منه قبل أن يتخلص منا.

خيّم صمت بثقل على الحديقة، وكوسيم تقف بثبات لكنها
تشعر بأن الأرض تميد تحت قدميها، لم يكن قتل مراد
خيّاراً سهلاً، لكنها تعرف أن بقائهما وسلطتها مرتبطة
بقدرتهم على التصرف قبل أن يسبقها هو بخطوة.
كوسيم: إذاً، علينا أن نحسن التخطيط.
أي تسرع قد يكون كارثياً.

مراد ليس كأي عدو، إنه ذكي، وعندما يشك، لا يتوقف
حتى يحصل على الحقيقة.

أجابها ذو الفقار، بنبرة جادة
ذو الفقار: هذا صحيح.

لكن الوقت ليس في صالحنا، لدى فكرة، لكنها قد تكون
محفوفة بالمخاطر بعض الشيء.

ردت كوسيم مقاطعة بحدة.
كوسيم: لا يهم المخاطر، قل ما لديك.
ذو الفقار: جلال آغا... يمكننا استخدامه، إنه أحد رجالك
المخلصين، وسيفعل ما نطلب دون تردد.

تروت كوسيم، تفك لبرهة، ثم أومأت برأسها.
كوسيم: جيد، ولكن يجب أن تكون حذرين، سأستدعيه
الآن، ولنترك الحديث معه بيني وبينه.
أومأ ذو الفقار بإيجاب، ثم انحنى باحترام وانصرف بخطوات
متثاقلة.

بينما كوسيم تلتفت نحو النافورة مرة أخرى، لكن هذه
المرة انعكاس وجهها على الماء يظهر فيه توترها، هتفت
لأحد خدمها بصوت منخفض، تأمره بجلب جلال آغا فوراً...

كان الليل في الحديقة ساكنًا إلا من همسات الرياح بين أوراق الشجر، بينما الأمير حسن يسير بخطوات هادئة متوجهًا إلى الإسطبل لتفقد خيله المفضلة.

لكن صوتًا خافتًا من جهة النافورة يوقفه، ويجعله يحدق نحو مصدر الصوت، ليرى ظل ذو الفقار يغادر الحديقة بخطواتٍ ثقيلة، بينما تقف جدته السلطانة الأم كوسيم عند النافورة، تتهامس مع رجل آخر... إنه جلال آغا.

وقف الأمير حسن لبرهة يفكر بفضولٍ ممزوج بحذر، يهمس لنفسه.

"ماذا يفعل ذو الفقار هنا في هذا الوقت؟ ولماذا تتحدث جدتي إلى جلال آغا في الحديقة بدلاً من جناحها؟"

بدأ يدفعه الفضول للتسلل خلف الشجيرات الكثيفة، ليقترب بما يكفي لسماع الحديث دون أن يراه أحد. بينما كوسيم، وبصوت منخفض لكن حازم، تهمس لجلال آغا.

كوسيم: جلال، لا وقت للمراوغة، عليك أن تنفذ ما سأقوله دون تردد. السلطان أصبح خطراً، وذو الفقار لم يعد كافياً لإبقاءه تحت السيطرة.

أجاب جلال آغا بصوت مشحون بالتردد.
جلال: مولاتي، أنتم تأمرون، لكن السلطان... إذا أخفقنا، فلن يكون هناك خلاص.

أشاحت كوسيم وهي تقاطعه بنبرة صارمة.
كوسيم: أخفقنا؟ لا مجال للإخفاق، عليك أن تخلص من
مراد وذو الفقار معاً: الأول لأنه كشف ما لا يجب أن
يكشف، الثاني لأنه لم يعد يحمينا كما كان.

كان الأمير حسن ما زال يسترق السمع من خلف
الشجيرات، عينيه تتسعان من الصدمة، يهمس لنفسه
من بين أنفاسه بخوف.
حسن: يا إلهي... جدتي تخطط لقتل والدي السلطان؟ وذو
الفقار شريكاً لها؟

ظل يتبع حسن الاستماع، بينما نبضه يتتسارع كأنه طبول
حرب تدق في أذنيه.
جلال: سأفعل، مولاتي، لكن كيف أقترب من السلطان؟
حراسته شديدة، وعيناه لا تغفلان.

أجابت كوسيم بابتسامة خبيثة.
كوسيم: سأرتب لك الفرصة، غداً، بعد اجتماع الديوان،
سأطلب حضوره إلى الحديقة وحده، أنت فقط، كن
مستعداً.

شعر حسن بأن الأرض تدور به، الكلمات تخترق عقله
كالسيوف، وبينما يحاول أن يتبع خطوات هادئة، فجأة
إحدى قدميه تدهس غصناً جافاً،
فيصدر صوتاً خافتاً.

تلتفت كوسيم فجأة، عيناه تلمعان
بالشك والريبة.
كوسيم: من هناك؟

جس الأمير حسن أنفاسه، اختباً خلف جذع شجرة، وقلبه
يتحقق كأنه سينفجر، بينما جلال آغا تحرك ليقترب بخطوات
حدرة لتفقد المكان، لكن الظلام الكثيف يحجب الرؤية.
جلال: لا شيء، مولاتي، ربما الرياح حركت الأغصان.

أجابته بنبرة مشوبة بالقلق.
كوسيم: تأكد جيداً يا جلال آغا، لا أريد أن تصل هذه
الكلمات لغيرك.

أخذ جلال آغا يدقق في تفقد المكان، لكن دون أن يلاحظ
الأمير حسن الذي ظل جامداً في مكانه حتى عاد جلال إلى
كوسيم.

وبعد لحظة، انصرف كلاهما، تاركين الحديقة في صمتٍ
كئيب.

استجمع شتاته وتنفس صعداء أخيراً بعد رحيلهما،
وهمس لنفسه.

حسن: لا يمكنني البقاء صامتاً.
السلطان مراد في خطر.

والدي تحاك ضده مؤامرة، ويجب أن أفعل شيئاً...
بنفسي.

اجتاح الليل الذي يغطي القصر برداه
الثقيل، والجناح السلطاني غارق في السكون، بينما مراد
يجلس على أريكة خشبية مغطاة بمحمول داكن، يتأمل طيفاً
من خيالات الماضي تراقصت أمام عينيه، كأنه يسمع
همسات فاريا تذكره بما فقد.

فجأة، ينفتح الباب بخفة، يدخل الأمير حسن بخطوات
متعددة لكنه يحاول إخفاء قلقه، مبعداً الآغا أردخان الذي
يحاول إيقافه.

سبقه الآغا أردخان في الدخول ببعض خطوات وانحنى معتذراً
لمراد.

أردخان: أنا آسف مولاي، قد أصر الأمير على الدخول ولم
أستطع إيقافه.

أشاح مراد بيده متقبلاً عذرها وأشار له بالانصراف.
تعجب مراد من تصرف الأمير حسن واستشعر أن هناك
شيئاً ما وراءه لكنه حاول نفي ما يدور برأسه والتفت إليه
مبتسماً يتساءل.

مراد: ما الأمر، حسن؟ لما أصرت على لقائي ليلاً في هذا
الوقت؟ ماذا هناك؟

حسن: مولاي... هل لي أن أطلب منك شيئاً؟
ابتسم مراد محاولاً دفن القلق والإرهاق بين ابتسامته
الهادئة.

مراد: بالطبع يا أميري، أخبرني ما الأمر؟ في هذا الوقت؟
ماذا هناك، حسن؟

حاول حسن التحكم في نبرته وترتيب كلماته،
ثم تنهى بجسم قائلًا.

حسن: ليس هناك شيء يدعو للقلق، فقط شعرت...
شعرت أنني بحاجة للبقاء معك، لذا، هل بإمكانك إلغاء
جلستك بالحديقة مع السلطانة الأم؟
أريد البقاء معًا الليلة، تشارك القصص، منذ وفاة فاريا
والأحداث الأخيرة لم أعد أشعر أننا عائلة دافئة.

حاول مراد رفع عينيه نحو حسن بتعب واضح، ثم شرد
ناظرًا إليه طويلاً، وكأن عينيه تبحثان عن سر مخفي، لكنه
ابتسم بخفوت.

مراد: حسناً بني، إن كنت تريدين البقاء معًا، لنبقى.

جلس حسن على كرسي قريب، يضع يده على سيفه دون
أن يلفت النظر، بينما قام مراد من مجلسه للمكتب ليختار
كتاباً يشارك قراءته مع الأمير حسن.

مرت الساعات ثقيلة، وهدوء الليل يُخفي العاصفة
القادمة، وقد تيقن جلال آغا أن السلطان لن يخرج من
جناحه.

وفجأة، تناهى إلى مسامع حسن صوتاً خفيفاً من جهة
النافذة، وتسارع قلبه يقفز بين ضلوعه، لكنه بقي هادئاً،
يضع يده على مقبض سيفه بحذر.
تأهب يهمس لنفسه بحذر.
"لقد بدأوا."

بدأت النوافذ تهتز قليلاً قبل أن تنفتح بسرعة،
والريح الباردة تعصف بالغرفة، تنشر الأوراق على المكتب.
ظهر جلال آغا ومعه اثنان من رجاله وجوههم صارمة،
وأعينهم تلمع بنية الغدر.

نهض مراد بسرعة، ليضع يده على مقبض سيفه، ثم بحدة
وصوت جامح يهز أركان الغرفة هتف
مراد: ما هذا؟! كيف تجرؤون على دخول جناحي بهذه
الطريقة؟ ما الأمر جلال الدين آغا؟

جلال: مولاي، نعتذر، لكن ليس لدي وقت لتفسيرات،
هناك تمرد بالقصر وعليها الذهاب فوراً.
قاطعه حسن وهو يسحب سيفه بمواجهة جلال آغا.
حسن: كاذب! مولاي، لا تصدق هذا الهراء، جلال آغا هو
المتأمر ومكلف بقتلك الليلة.

اندفع الرجالان نحو مراد بأسلحتهما، لكن حسن هب كأنه
 العاصفة من البرق، يصد الهجوم الأول بسيفه، ويدفع مراد
جانباً.

صاحب مراد ينادي بصوت حاسم.
مراد: حسن، احم ظهري ودعني أتولى أمر هذا الخائن!

اندفع مراد كالنسر الجارح، يضرب بسيفه الأول بقوة
كاسرة، موجهاً جلال آغا نحو الحائط، بينما يقاتل حسن
الرجل الآخر.

كان مراد يقاتل بشراسة، يصد الضربات بمزيج من المهارة والقوة التي تُظهر براعته كمحارب متمرس. في لحظة خاطفة، حاول أحد الرجال مbagحة مراد من الخلف، لكن حسن صرخ حسن: مولاي، انتبه!

استدار مراد بحركة خاطفة، موجهاً سيفه بضربة قاضية أطاحت بالعدو، ثم التفت نحو حسن الذي كان في مواجهة عنيفة مع الرجل الآخر.

تقدم مراد لمساندة حسن، وعمّا كسرًا دفاع العدو الأخير، حتى سقط على الأرض مضرجًا بدمائه.

كانت الغرفة تعج بالفوضى، والطاولة الخشبية التي سقط عليها أحد الرجال انكسرت، تاركة شظاها متñاثرة كأنها شاهدة على قتال شرس.

التفت مراد نحو حسن، الذي أصيب في ساقه وكان يحاول الصمود و يتحامل على نفسه لكن لانه قد تلقى جرحاً عميقاً، فسقط أرضاً، والدم يسيل بسرعة على الأرض، تاركاً خطأ أحمر ممتدًا.

في لحظة حاسمة، سحب مراد سيفه لينقض بضربة قوية على جلال آغا الذي طرح أرضاً، وبينما جلال آغا ملقى على الأرض يحاول التحمل على جراحه، يلهث مستغيثًا.

أَسَدْ حَسَنْ ظَهَرَهُ عَلَى الْحَائِطِ، يَضْغِطُ عَلَى
جَرْحِهِ النَّازِفِ، ثُمَّ هَمْسَ مِنْ بَيْنِ أَلْمَهِ.
حَسَنْ: مَوْلَايُ، لَا تَقْتُلْهُ، إِنَّهُ مَفْتَاحُ كُلِّ شَيْءٍ.
هَتَّفَ جَلَالُ بِأَنفَاسٍ مُتَقْطَعَةٍ وَهَزِيمَةً مُحَقَّقَةً.
جَلَالُ: مَوْلَايُ... كُنْتُ فَقْطَ أَنْفَذُ الْأَوْاْمِر... لَسْتُ مِنْ خَطَطِ
لِلْهَجُومِ.

جَثَا مَرَادُ فَوْقَهُ بِرَكْبَتِيهِ، وَالسِّيفُ فِي يَدِهِ يَضْعِفُ نَصْلَهُ عَلَى
رَقْبَةِ جَلَالٍ.

مَرَادُ: أَوْاْمِرُ مَنْ مِنْ؟ تَكَلَّمُ قَبْلَ أَنْ تُقْطَعَ رَأْسُكَ!
تَصَاعَدَتْ أَنفَاسُ جَلَالِ السَّاخِنَةِ بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ
جَلَالُ: لَنِّي... لَنِّي أَقُولُ شَيْئًا.

صَدَحَ صَوْتُ مَرَادٍ يَهْدُرُ بِغَضْبٍ عَارِمٍ مُنَادِيًّا عَلَى الْحَرَاسِ
الَّذِينَ دَخَلُوا مَسْرِعِيْنِ إِلَى الْجَنَاحِ عَلَى أَثْرِ الْاِشْتِبَاكِ وَأَشَارُوا
بِسَبَابِتِهِ إِلَى جَلَالِ الدِّينِ آغاً الَّذِي ظَلَ مُسْطَحًا عَلَى أَرْضِ
الْجَنَاحِ، ثُمَّ هَتَّفَ بِغَضْبٍ.

مَرَادُ: خَذُوهُ إِلَى السُّجُنِ، لَا أُرِيدُهُ أَنْ يَمُوتَ إِلَى أَنْ أَعْرِفَ
مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ.

انْصَاعَ الْحَرَاسُ لِلْأَمْرِ وَسَحَبُوا جَلَالَ آغاً مِنْ ذِرَاعِيهِ خَارِجَ
الْجَنَاحِ، مُتَوَجِّهِينَ إِلَى سُجْنِ الْقَصْرِ وَبَيْنَمَا يُسَحِّبُ جَلَالُ
آغاً خَارِجَ الْغُرْفَةِ، بَقِيَتْ نَظَرَاتُهُ الْمَاكِرَةُ تَلَاقِقُ مَرَادَ، وَكَأَنَّهَا
تَهَدَّدُ بِكَشْفِ الْمُزِيدِ مِنَ الْأَسْرَارِ.

كان مازال الأمير حسن يجلس على الأرض،
يضغط على جرمه، لذ هرع مراد ليقترب منه وضمه بين
حضنه، أمسك مراد بحسن بقوة، ودموع مختبئة في عينيه
وصوت مرتعش يصرخ.

مراد: حسن... بني، هل أنت بخير؟، لماذا فعلت هذا؟ لماذا
لم تخبرني بهذا الهجوم؟

ابتسم حسن بخفوت رغم ألمه، وتمتم.
حسن: لا تقلق، مولاي... كنا فريقاً قوياً، كنا سيفاً واحداً،
فعلت هذا لأنك أبي، يا مولاي، ولأنك كنت في خطر...
ولم يكن لدى وقت للكلام، المؤامرات كأصداء السيف
من حولنا.

ضمه مراد أكثر بين حضنه، ثم وضع يده على ساق حسن
الم vrouحة، والدموع في عينيه، لكنه أخفاها بسرعة.
هتف بخوف أبي حاني.

مراد: أردىخان آغا، استدعني طبيب القصر!

كان على مراد بعد ليلة مليئة بالدماء والخيانة، أن يأخذ القرار
بمواجهة جلال آغا بنفسه ليعرف الحقيقة الكاملة عن المؤامرات
التي حيكت ضده، كان يسيطر على مراد شعور واحد وهو الغضب،
بينما في قلبه لم يتبق سوى ثقل الألم والخيبة، كل ما
كان يحاول حماية عرشه وسلطانه أصبح الآن
مجرد وهم أمام وحشية الواقع

في قبو القصر المظلم، حيث الرطوبة تتسلل
إلى الجدران الحجرية كأنها دموع حزن تسيل بصمت، وقف
المكان شاهدًا على لحظة ستحدد مصير كثيرين.
الرائحة الثقيلة للعفن والصدأ كانت تخنق الأنفاس،
وصوت الماء المتساقط من السقف يصنع إيقاعاً بطيئاً
يوتر الأعصاب.

تعالى أصوات السلسل وهي تُجر على الأرض الحجرية
بينما جلال آغا يُقاد إلى الداخل، مكبل اليدين والرجلين.
 وجهه شاحب كأنه يحمل على عاتقه وزن خطاياه، وعرقه
يتصبب بغزارة رغم برودة المكان. كانت خطواته غير ثابتة،
كأن قدميه ترفضان التحرك نحو ما يعرف أنه نهايته.

بينما على الجانب الآخر من الغرفة، وقف السلطان مراد
يرتدي عباءة سوداء تُضفي على هيبيته رهبة إضافية.
تفاصيل وجهه القاسي وعيناه المشتعلتان كأنهما
تتوهجان تحت وهج المشاعل المعلقة على الجدران، جعلا
كل حركة في القبو تبدو وكأنها تتم تحت رقابة ملك الموت
نفسه، وفي يده كان السيف الطويل يلمع، ويمسكه بثبات
كأنه أداة انتقام مقدسة.

ثم تنهد بصوت عميق ومشحون بالغضب، أشبه بالزئير.
مراد: جلال... لن أطيل، أما ملك فرصة واحدة لتنجو
بنفسك، اعترف بكل شيء، أو سأجعلك عبرة تُروى في
ساحات القصر.

تحركت عينا جلال بتوتر، تبحث في الوجه
المحيطة كأنها تستنجد بحارس، بجدار، بأي شيء، لكنه
يعرف أن لا ملاذ له، ابتلع ريقه بصعوبة، يحاول جمع شتات
نفسه، لكنه يشعر كأنه ينهاز من الداخل.

وبصوت مرتجف ونبرة تحت على التعاطف.
جلال: مولاي... أنا جندي مخلص... أقسم!
هب مراد وضرب الطاولة بالسيف بقوة، فتردد صدى
الصوت في القبو كهدير عاصفة، أمسك بعنق جلال ووضع
عليه حد السييف.

مراد: مخلص؟! وماذا عن محاولة اغتيالي؟! أخبرني الآن...
من وراء قتل فاريا؟!

تراجع جلال بضع خطوات إلى الوراء دون أن يدرك، ونظر
إلى الأرض وكأنه يحاول الهروب داخل عقله.

ذكريات تمر في ذهنه كشرايط سريعة، اللحظة التي تسلم
فيها الأمر، نظرات كوسيم الحادة، وذو الفقار الذي حذرها
من الفشل، لكنه يدرك أن الصمت لن ينقذه الآن.

تقدّم مراد نحوه بخطوات ثقيلة، وبصوت يتحول إلى همس
حاد كالسيف.

مراد: وفاؤك للفاعل لن ينجيك يا جلال الدين آغا، أخبرني
باسم... الآن.

وقف جلال، مرتجفاً بالكامل، يحاول التماسك
للحظة، بدا وكأنه على وشك الإنكار رغم أنه على حافة
الانهيار، لكنه يعرف أن أي كذبة ستزيد من عذابه. تنهد
باستسلام وأخذ نفساً عميقاً، وبصوت يخرج بالكاد همس.
جلال: كوسيم... السلطانة الأُم.

للحظة توقف الهواء عن الحركة بالغرفة، وكأن الأرض
نفسها ترفض تصديق الكلمات، تبدلت ملامح مراد
لتتصلب، بينما عيناه تتسعان للحظة قبل أن تضيقان
بغضب ناري.

تقدّم ببطء نحو جلال، ورفع السيف ووضعه على عنقه،
حافته الحادة تلامس جلدّه محدثة جرحاً سطحياً.
وبصوت يكاد يكون همساً، لكنه يحمل ثقلّاً كجبل.
مراد: احذّر مما تقول... أمي؟ كوسيم؟ أيها الخائن الكاذب.

تلاشى صموده وانفجر باكيّا، يتحدث بسرعة كأنه يحاول
تفريغ ذنبه.

جلال: مولاي، أنا لا أكذب! هي من أمرتني بقتل فاريا، كانت
تخشى أن تهدّد نفوذها، لقد خطّطت للإجهاض، وأمرت ذو
الفقار بتنفيذ جزء كبير من الخطة.

تراجع مراد خطوة، غضبه يزداد وضوحاً، وهتف بغضب.
مراد: ذو الـفقار؟

انتفض جلال وتلعثم، صوته مرتجفاً.

جلال: شريكها... مولاي، أقسم لك.

هو من ساعدها... وحتى محاولة اغتيالك... كانت من أوامرها، أرادت إزاحتك وتنصيب الأمير حسن بدلاً منك.

أفلته مراد وتقدم بخطوة مفاجئة، يضرب السيف على الأرض مما جعل جلال يرتجف بقوة، تحفز الحراس يتحركون بحذر، لكن مراد يرفع يده يأمرهم بالصمت.

اقرب من جلال مجدداً، وبصوت بارد ومشحون بالغضب.
مراد: ولماذا عليّ أن أصدقك؟

تردد جلال للحظة، ثم رفع يده المرتعشة، ومن بين قيده أخرج خاتماً صغيراً كان مخفياً في عباءته.

جلال: هذا... هذا الخاتم من السلطانة كوسيم، قد أعطتني إياه كرمز ولأنها لتأكيد الأوامر.

أقبض مراد على الخاتم بين أصابعه، يتأمله بصمت وعيناه تمتلئان بالغضب والحزن في آن واحد. للحظة كان يبدو وكأنه يغرق في أفكاره.

ثم نظر بعينيه تشعلاً مجدداً. يلتفت إلى جلال ويأمر بصوت عميق بإخراجه فوراً.
مراد: خذوه... مصيره سيقرر لاحقاً.

رفع رأسه يحدق في السقف، وكلماته تخرج
كهمس مليء بالمرارة.
مراد: أمي... كيف وصلنا إلى هنا؟

استدار فجأة، ينادي أحد الحراس بصوت قوي جهور.
مراد: استعدوا جيداً... الليلة ستتغير كل القواعد.

في قاعة العرش، كان الضوء الخافت يتسلل من النوافذ العالية، يرسم خطوطاً من الظل الظليلة على الأرضية الرخامية الباردة.

القاعة التي طالما كانت مسرحاً لقرارات القوة والعظمة، بدت الآن وكأنها تحمل صدى الخيانة الذي يتعدد بين جدرانها.

وعلى العرش، يجلس السلطان مراد، ولكن هيبته بدت مشوهة بمرارة لا تخفي، وجهه، الذي كان يوماً عنواناً للقوة المطلقة، بدا اليوم متعيناً، مشووباً بتجاعيد خفية رسمتها ليالٍ من التفكير والخيانة.

تقبض يديه على صولجانه بقوة، كأنما يحاول من خلاله أن يتثبت بسلطته، أو أن يخفف من عبء الخيانة التي اكتشفها.

يناه، الداكنتان كعاصفة هوجاء، لم تترك ذو الفقار للحظة واحدة، كان الصدر الأعظم يقف أمامه مكبلًا بالسلسل الثقيلة، رأسه مرفوعًا بالكاد، وعيناه تهربان من نظرات مراد الثاقبة بينما جسده الذي اعتاد الوقوف بثقة صار مهتزًا كأنما الأرض تخونه كما خان هو مولاه.

لم يتحرك مراد للحظات طويلة، لكن الصمت الذي يغلف المكان كان ينطق بآلاف الكلمات، بدا واضحًا أن شيئاً قد انكسر داخله، شيئاً لا يمكن إصلاحه.

ثم بصوت منخفض، لكنه مثقل بالغصب
المكبوت
مراد: ذو الفقار...

توقف للحظة، كأنه يجمع كلماته التي تحمل ثقل الخيانة،
ثم حاول الحفاظ على رباطة جأشه وأكمل بضيق يخيم على
قلبه.

مراد: لطالما اعتبرتك سيفي الذي أواجهه به الأعداء...
ولكن يبدو أن السيف الذي صنعته بيدي اختار أن
يغرس نفسه في ظهري.

رفع ذو الفقار عينيه للحظة، يحاول الرد، لكن الصوت
يخونه، يرى في وجه مراد ظللاً من ألم وخيبة أمل لم يتوقع
أن يكون مصدرها.

تابع، هذه المرة بصوت أعلى، أشبه بزئير أسد جريح معاذباً.
مراد: هل كنت تظن أن خيانتي ستبقى في الظلام؟ هل
اعتقدت أنني سأبقى أعمى عن محاولات اغتيالي؟ وعن
المؤامرات التي نسجتها مع السلطانة كوسيم لـ سقط
مكانة فاريا؟

حاول التمسك، لكنه بدا يتحدث بصوت مرتجف.
ذو الفقار: مولاي... أنا لم أخطط لاغتيالك، لم أكن أملك
خياراً حتى، السلطانة الأم...

ضرب مراد الأرض بعضا صولجانه مقاطعا، ثم
قام عن عرشه ليمشي بخطوات ثقيلة، مقتربا من
ذو الفقار.

مراد: **السلطانة الأُم؟**

ظهر بين ثغره شبح ابتسامة مريدة.
مراد: **هل ألمك أُم ألم نفسي لأنني لم أرى الأفعى التي
ربتها؟**

وقف أمام ذو الفقار، ينظر إليه من علٍ، ثم يميل إليه
قليلًا، بينما صوته ينخفض إلى همس مشحون بالغصب.
مراد: **أخبرني الآن، كامل الحقيقة، بدون نقصان، لماذا
خنتني؟ لماذا اخترت الطمع على الولاء؟**

بدأ بالرتجاف، و سقط على ركبتيه، خافض رأسه كأنه
يستسلم أمام ثقل خطاياه ظنًا أن مراد قد يشفع في أمره.
وبصوت متهدج ومشوب بالحسرة:
**ذو الفقار: مولاي... فاريأ كانت تهدد نفوذ السلطانة الأُم،
طلبت مني التخلص منها... لم أكن أملك خيارًا، كنت
أخشى أن يطالني غضبها.**

تراجع مراد خطوة، نظر إليه وكأنما يحاول تصديق ما
يسمعه للحظة، بينما يكسو وجهه خليط من الغصب
والألم، لكنه يعود ليشيد قبضته على صولجانه، كأنما
يحاول السيطرة على غضبه الجارف.

هتف بصوت عميق و مليء بالازدراء
مراد: الخوف؟ هل هذا عذرك؟ لقد كان لديك خيار، أن
تكون مخلصاً، أن تثبت ولائك لسلطان، لرجل الذي يضع
ثقة و مقاليد عرش دولته على عاتقك، لكنك يا ذو الفقار
قد اخترت الطريق الأسهل... طريق الخيانة.

مدّ مراد يده بثبات و انتزع عمامة الوزير عن رأس ذو الفقار،
كأنه يخلعه من مكانته قبل أن ينزع عنه كرامته، تاركاً
رأسه مكشوفاً أمام هيبة العرش وأعين الحراس.

ابتعد مراد ب几步 خطوات متوجهاً إلى أحد الحراس، يأمره
بصوت صارم.

مراد: خذوه إلى الزنزانة، وأرسلوا في طلب شيخ الإسلام
أنيس أفندي.

وبينما يُسحب ذو الفقار خارج القاعة، رفع رأسه للحظة،
نظرة يائسة تتوجه نحو السلطان، لكنه يعرف أن الرحمة
ليست خياراً هذه المرة.

وقف مراد وحده في القاعة، ينظر إلى الأفق عبر النوافذ
العالية وعيشه تحملان عبئاً لا يُحتمل، لكنه يتمتم بصوت
بالكاد يُسمع

"كوسيم... هذا الحساب بدأ للتو"

تردد كلماته في صمت القاعة، كأنها وعد يحمل معه رياح
تغير ستعصف بكل من اختار الخيانة.

في جناح السلطانة كوسيم، ينعكس نور الشموع
الخافت على الجدران المزينة بأفخم الزخارف، لكن الجو
مشحون بتوتر يكاد يُسمع صداؤه في أرجاء المكان.

بينما هي تجلس على كرسيها المزخرف، يدها تمسك بـ
مسبحة صغيرة تحرك خرزاتها بصمت، محاوله تظاهر
بالهدوء على الرغم من وجهها الصلب، إلا أن عيناه
تفضحان قلقاً دفينًا.

فجأة، فتح الباب بعنف، ليقطع صمت اللحظة كصوت
سيف يخترق الهواء ليدخل مراد بخطوات ثابتة، مهيباً
كالعاصفة، عيناه تقدحان شرّاً والغضب يتوجه في
لامحه يحمل بين يديه فرمان ملفووف بختمه الشخصي،
كأنه يحمل حكماً مقدساً غير قابل للجدال.

عم الصمت لثوانٍ حابسة للأنفاس ثم بصوت غاضب لكنه
متماسك خاطبها.

مراد: أمي... انتهت اللعبة.
رفعت حاجبها متظاهرة بالبرود وأعربت متسائلة.
كوسيم: لعبة؟ لا أفهم عما تتحدث يا بني.

تقدّم مراد بخطوات ثقيلة نحو الطاولة، يرمي بالفرمان
عليها بقوة، فتردد صدى الورقة وهي تستقر أمامها،
وأنحنى ليقترب أكثر، وكأن المسافة بينهما لم تعد
قادرة على تحمل ثقل المواجهة.

بصوت حاد كالسيف همس قائلاً.
مراد: هذا هو الأمر الذي سينهي كل شيء، فرمان بنفيك
إلى القصر القديم في أدرنة حيث ذكرياتك الشاقة مع
السلطان أحمد، أبي.

هبت لتقف بغضب، كان جسدها يرتجف قليلاً لكن
كثيراً منها جعلها تخفي الأمر سريعاً وبنبرة عاتية هتفت.
كوسيم: تنفي أمك؟ من حملتك في أحشائها وربتك؟

توقف مراد لوهلة، تتسلل إلى ذهنه صورة قديمة ذلك
الطفل الصغير يركض إلى حضن أمها باكيًا من جرح في كفه
والذي جلس على العرش بسن الخامسة متشبثاً بطرف
ردائها يستجدي منها شظايا الأمان، تجاهل أثر الذكرى،
وعاد للحاضر، حيث تقف أمامه امرأة لم يعد يرى فيها إلا
عدوة.

تقدم بخطوات محسوبة مسترجعاً سيطرته على زمام
النقاش يصبح بغضب.

مراد: الأم؟ عن أية أم تتحدثين؟
أ تلك التي أرسلت رجالها لاغتيالي؟
أو التي دمرت حياة فاريا وقتلت لها ابنًا لم يولد؟
أو تلك التي حولت هذا القصر إلى شبكة من المؤامرات؟

جعدت وجهها وأشاحت بيدها تحاول
الدفاع، صوتها يتمايل بين الغضب والخوف.
كوسيم: فعلت كل ذلك من أجلك! للحفاظ على عرشك
وهيبة الدولة!

مراد: حقا! ، عرشي؟ بلا يا أمهah قد فعلت ذلك من أجل
طموحك الذي لا يعرف حدًا.

أرتجفت أصابعها حول المسبيحة، لكنها أخفت ارتباها
بكلمات حادة وبصوت واثق هتفت.
كوسيم: في هذا القصر، لا مكان للضعفاء وأنت تعلم هذا
أكثر من أي شخص.

جافلها بنظرة طويلة، تحمل مزيجاً من الخذلان والغضب ثم
صرح بجسم.

مراد: ولذا، لن أكون ضعيفاً، سترحلين إلى أدرنة ولن
تعودي أبداً.

تحرك نحوها بخطوات ثقيلة، وتوقف أمامها مباشرة، ثم
مد يده فجأة وبحركة مباغتة ينزع تاجها الملكي عن رأسها
الذي لم تتخلى عنه يوماً، والذي من أجله خاضت مؤامرات
لا تحصى.

شعرت للحظة وكأنه اجتث جذورها من على الأرض،
تنحَّت جانبًا.

وبصوت مكتوم محمل بالجفاء، لكنه أيضًا
يحمل صدى مدوٍ في أذنيها هتف.

مراد: انتهى زمنك سلطانة.

كانت نظراته كوسيم غضب ممزوج بالخوف، لكنها أيضًا
كانت تحاول استجمام كبرياتها ثم وبثقة متناهية أعرت.

كوسيم: مراد أنت ترتكب خطأً فادحًا، القصر سيفقد
توازنه بدني.

التفت إليها بهدوء قاتل نافياً أي شعور بالضعف ثم أكد.

مراد: ربما، لكنني لن أندم على استعادة السيطرة على
حياتي ودولتي.

تنحَّ عنها والتفت نحو الحراس الواقفين عند الباب وصاح.
مراد: خذوها.

دخل الحراس بثبات منصاعين للأمر، يمسكون بذراعي
كوسيم، حاولت أن تقاومهم للحظة، لكنها أدركت أن
المعركة باتت خاسرة وقبل أن تُسحب من الغرفة
متمسكة بكبرياتها الطاوسية الزائف.

توقفت فجأة ثم التفت نحو مراد وبابتسامة مريدة
هتفت بصوت خافت لكنه مشحون بالقوة.
كوسيم: العروش يا بني لا تُبني بالانتقام، بل بالحكمة.
لست الأولى التي تُطرد...

ولن تكون الأخير الذي يندم، قد حاول الكثيرين انتزاعي من
القصر، لكنني كنت بكل مرة أعود وبقوة، قد حفر مصيري
بين أحجار جدرانه، لتعلم هذا بني وتذكره،
عودتي قريبة أيها السلطان.

ثم سحب من الغرفة، تاركة وراءها أثر خطواتها الثقيلة
ورائحة المسك التي كانت تميزها دائماً.

ظل مراد واقفاً في مكانه، ينظر إلى الطاولة حيث تركت
المسبحة تسقط من يدها، انحنى ملتقطاً بالفرمان
ليمسكه بين يديه، طويه ببطء، ثم توجه إلى نافذة الجناح،
حيث يطل بحر مرمن البصر.

همس لنفسه محاولاً تثبيت موقفه.
"لا ندم... لا ضعف... لا ألم"
بدأت الغرفة تزداد برودة، وصوت الرياح يخترق الصمت،
وكأنه يعكس الفراغ الذي تركته كوسيم خلفها.

تلك الليلة الغارقة في صمتها المتواتر، بينما يزحف ضوء القمر الباهت على مياه البوسفور المتلاطمة برفق، ويلوح قصر توبكابي كشبح عتيق شهد كل خيانة وكل جرح.

داخل شرفته الملكية، يقف مراد وحيداً، عباءته السوداء تلتف حول جسده كأنها تحتضن ثقله النفسي، ويداه تحملان صولجانه الذهبي الذي بات يشعر أنه أثقل مما يمكن احتماله.

نظرته معلقة في الأفق، لا ترى سوى الماضي الذي يطارده ويده تشتند على الصولجان كأنها تحاول التثبت بشيء يمكن أن يمنحه اليقين، بينما ملامح وجهه تبدو وكأنها منحوتة من الصخر؛ صلبة في الخارج، لكنها تخفي داخلاً متصدعاً.

همس بصوت خافت، كأنه يخاطب ظله.
"كل شيء... كل شيء كان خدعة، الخيانة ليست سوى إرث هذا القصر، وسلطاني كان مجرد مسرحية أمام جمهور يطعن في الظلام."

أغمض عينيه للحظة، فتناسب أمامه صور كوسيم، فاريا، ذو الفقار، وحتى مراة نفسه الصغيرة التي لم يلتقي بها منذ سنوات.

صوت الرياح يخترق صمته، كأنه تذكير دائم بأن قوة العاصفة لا تتوقف، وأن البقاء للأقوى فقط.

فتح عينيه، وأخذ نفسا عميقا وكأنه يبتلع هذا الثقل الذي لا مفر منه. فجأة، يسمع صوت خطوات خفيفة خلفه، كان أردخان آغا، يقف عند المدخل بتردد، لكنه ينحني بأدب قبل أن ينطق طالبا الأذن.

أردخان: مولاي... وصلت الأخبار بأن السلطانة كوسيم قد بلغت أدرنة بأمان.

أجابه مراد دون أن يلتفت، بنبرة هادئة لكنها مليئة بالجسم.

مراد: حسنا، تأكد أنها تُعامل باحترام يليق بمكانتها السابقة... لكن لا تسمح لها بالعودة إلى هنا أبدا.

أردخان: كما تأمر، مولاي.

لم يغادر أردخان بل تقدم ببطء، وهو يحمل بين يديه رسالة مغلقة بختم شمع أحمر، براق تحت ضوء القمر.

أردخان: عذراً مولاي، لكن هذه الرسالة لتوها، ومحفوظة بالشمع الأحمر السري، يبدو أنها عاجلة.

تلتفت مراد بهدوء، عينيه تحملان ظلالاً
من الشكوك والحدر، تناول الرسالة من أردخان، وأخذ
يحدق بها للحظة، وكأنه يحاول فك شفترتها، ثم أشاح بيده
فأنصرف الحارس بخطوات هادئة، ووضع مراد الرسالة
جانباً قرب طاولة الصغيرة بالشرفة.

ثم عاد ليطلق لنظره المعلق في الأفق، هذه المرة، يرفع
الصolgاجان إلى مستوى نظره، يراقبه وكأنه يراه للمرة
الأولى.

وبصوت مثقل بالتحدي همس.
مراد: "لقد خانوني جمِيعاً... لكنني لن أخون نفسي.
سأبني من هذا الركام قوة لا يمكن لأحد تقويضها."

أخذ الرسالة بين أصابعه وعاد يخطو ببطء إلى الداخل، يداه
تمران على أطراف الطاولة المزينة بخريطة الإمبراطورية،
عيناه تمسحان الخريطة بعنایة كأنه يرسم ملامح
المستقبل.

وضع الصolgاجان على الطاولة برفق، وكأنها لحظة فصل
بين الماضي والحاضر.

أمسك الرسالة لمرة أخيرة وكأنه يحاول فك شفترتها قبل
أن يفتحها بأصابعه القوية، ويكسر الختم ببطء، ثم فرد
الورقة أمامه وعينيه تتسعان قليلاً، ونبرة صوته
تنخفض كأنه يقرأ سرّا خطيراً.

وبصوت عميق و متحفز تتم.

"الباحث وصل إلى القلعة... على أطراف الإمبراطورية، الفخ
نصب له بـإتقان وأوقعه الأستاذ."
"توقيع البشير.. ظل السلطان"

طوى مراد الرسالة ببطء، وكأنه يزن الكلمات الثقيلة التي
حملتها إليه ورفع نظره إلى الأفق البعيد، ثم قرب
الرسالة من شمعة الموضوعة على طرف الطاولة بجانب
الصوجان، احترقت الورقة وأحترق معها آخر فتات انتقام
مراد متحولاً لرماد.

ومع انطفاء آخر رفات الورقة، سحب مراد نفساً محملاً
بعمق ونفح الشمعة، انطفأت لتظلم الغرفة، ويغمر الظلام
المكان تدريجياً، ما عدا خيط من ضوء القمر يخترق النافذة
عبر باب الشرفة.

لكنه ليس وحده...

في زاوية بعيدة، يظهر طيف فاريما بفستان أبيض يعلوه
رداء طويل أسود ذو قلنسوة فضفاض للحظة، نظرت إلى
مراد بتمعن واشتياق مبتسم برضاء، ثم يتلاشى في
الظلال كما جاء، تاركاً خلفه أبواباً مفتوحة لأسرار لم تُكشف
بعد...

لم تمض الليلة بعد وكأن القمر معلق في السماء، شاحب كوجه مراد الذي وقف في شرفته الملكية، عباءته السوداء تحيطه كستار مسرحي يخفي رجلاً ممزقاً بين صراعات الحب والخيانة.

البوسفور في الأسفل يعكس تلطم أمواجه، وكأنه يهمس بحكايات القصر، حكايات كل من عبروا أسواره حاملين أقدارهم وأسرارهم.

يده القوية تقبض على صولجانه الذهبي، لكن قبضته تخون ثقته، هذا الصولجان الذي كان يوماً رمزاً للسلطة بات الآن ثقلاً يذكره بكل ما فقد، رفعه قليلاً نحو القمر، همس وكأنه يخاطب ظله المنعكss.

همس مراد بصوت مختنق وكلمات تؤرقه. "مراد، لقد خانوني جمِيعاً... لكنني لن أخون نفسي مرة أخرى."

لحظة صمته لم تدم طويلاً، خطوات سريعة على الأرضية الرخامية أعادته إلى الواقع.

التفت ببطء ليجد أردخان آغا يدخل الشرفة، وجهه مشحون بالتوتر، يحمل بيديه رسالة مختومة بالشمع الأحمر.

بجدية وبنبرة متعددة أعلن أردخان: مولاي... هذه رسالة عاجلة وصلت من إيطاليا.

تناول مراد الرسالة، وأخذ لحظة يتأمل
ختتها قبل أن يكسره، كانت الورقة مكتوبة بخط يد دقيق،
لكن كلماتها كانت ثقيلة كأنها تحمل أوزانًا من الذكريات.
"إلى ابنتي العزيزة فاريا"

أعلم أن الزمان لم يكن رؤوفًا بنا، لكنني أستجديك الآن
لمساعدتي السلطان مراد، زوجك، هو أمل الأخير،
أرجوك أقنعيه أن يدعمنا في مواجهة خطر داهم، الأمير
جيوفاني دي بارتولو، سيطر على إيطاليا ويخطط للانتقام
مما حدث لرسوله، وإذا لم أحصل على دعم السلطان،
فإن كل شيء سنبنيه سينهار...

"فيتريو دي روسيني،"
"والدك المخلص، دوق إيطاليا"

وقف مراد في مكانه، صمت مخيف غطى الشرفة، نظر إلى
الرسالة مطولاً، ثم رفع عينيه نحو الأفق وكأن فاريا تقف
هناك في البعد، تستجديه كما فعل والدها في كلماته.

همس مراد والأسى متملك من قلبه.
"فاريا... حتى بعد رحيلك، لا تزالين ترسلين لي طلباتك." أخذ نفساً عميقاً وأعاد الرسالة إلى طاولة صغيرة بالشرفة، التفت نحو أردخان آغا.
مراد: استدعي شيخ الإسلام أنيس أفندي فوراً.

في الداخل، جلس مراد في غرفة مكتبه الخاص، أضواء الشموع ترسم ظلالاً على وجهه الحازم، دخل أنيس أفندي، وقور بلحية بيضاء تنم عن حكمة السنوات.

تروى بهدوء وسائل بود.

أنيس أفندي: مولاي، ما الذي يشغل قلبكم الليلة؟ ناوله مراد الرسالة بصمت، ثم استند على حافة الطاولة بعينيه المثبتتين على شيخ الإسلام الذي أخذ يقرأ الكلمات بتمعن.

و بعد لحظات من الصمت، تحدث مراد بصوت أثقل من الهواء المحيط.

مراد: أنيس أفندي، إنهم أصهاري، وأنا مدين لفاريا كونها ساعدتني بكشف الحقيقة، لذلك أرجوك أخبرني، هل يوجد مانع شرعي من دعمي لاسترجاع عرشهم بما أني سلطان المسلمين؟

رفع أنيس أفندي عينيه عن الرسالة، نظر إلى مراد مليئاً قبل أن يجيب بصوت هادئ.

أنيس أفندي: مولاي، طالما أن قراركم لا يؤثر على إدارة الدولة الإسلامية، وطالما أن الدوق لا يحارب المسلمين، فلا أرى مانعاً شرعياً من تقديم العون، الأمر يعود إلى حكمتكم، إن رأيتم في ذلك وفاءً لأمانة الأميرة فاريا.

عاد مراد إلى شرفته بعد انصراف أنيس أفندي،
الرياح الباردة حملت معه نسمات من الماضي، وقف
هناك، الرسالة في يده، ينظر إلى الأفق مرة أخرى.

كان البوسفور هادئاً، لكن قلب مراد لم يعرف الهدوء، رفع
الرسالة نحو الشمعة المضيئة بجانيه، أشعلها وراقبها وهي
تحول إلى رماد، كأنها طيف من ذكريات لن تعود.
تمتم بصوت خافت، لكن كلماته كانت مليئة بالإصرار.
مراد: لقد خنتك يا فارييا مرة؛ ولن أدع أحداً يؤذى من
تحبّينهم مرة أخرى وأنا حي.

وفي تلك اللحظة، ظهر الطيف، فارييا تقف هناك في
الشرفه، ترتدي فستانًا أبيض بسيطًا يعلوه رداء أسود،
نظرت إليه بابتسمة مليئة بالرضا، وكأنها تشكره على
قراره.

حدق مراد في الطيف، لكن قبل أن يتمكن من الحديث،
تلاشى كما جاء، تاركاً خلفه السلطان مراد وحيداً، لكن هذه
المرة، لم يكن الشعور بالوحدة قاسياً.
كان مليئاً بسلام غريب، كأنه تصالح أخيراً مع ماضيه.

تمت بحمد الله | 4 ديسمبر 2024 م